فَضْلُ مَجَالسِ العِلْمِ وَحِلَقِ الذِّكْرِ وآدَابِهَا

جَمَعَهُ

أَبُو محمَّد عَبْدُ الله بنُ أَحْمَدِ بن لَمْح الخَوْلَاني

وفّقَهُ اللهُ وَغفَرَ لَهُ

المقَـدّمَة

الحمدُ لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عِوجًا، قيما لينذر بأسًا شديدًا من لدُنْه، ويبشِّر الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجرًا حسنًا، وأشْهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك يذكُرُ من ذكَره، ويشكُر من شكرَه، ويستجيبُ من دعَاه، ويهدي مَن استهدَاه، ويفيض على قلبِ مَنْ أَنسَ بذِكْره بهجةً وسرورًا، ويُسكنهم يوم القيامة غُرَفًا وقصورًا، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، نزَّل الفرقانَ على قلبه ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما لهج العالَمون بتسبيحهِ وتحميده وكبَّروه تكبيرا.

أمَّا بعــد:

لقد تبوَّأت مَجَالِسُ العِلْم وحِلَقُ الذِّكْر منزلةً عظيمةً، ومكانةً رفيعة، ومرتبةً منيفة، في الشريعة الإسلامية.

وما ذلك إلا للفضَائل الكريمة التي اشتملت عليها، والثِّمار والآثار العظيمة التي تنتجُ عنها في مجتمعات المسلمين، وأُسَرهِم، وأفرادِهم، في أخلاقِهم وعباداتِهم ومعَاملاتِهم.

إنَّ مَجَالِس العِلْم وحِلَقَ الذِّكْر:

* **نورٌ يَستنيرُ بها المُسْلِم**، ويَستضِيءُ بها المؤمن، ويَستَبصِرُ بها المسترشد. فيكتسبُ منها العبدُ فرقانًا يُفرِّقُ به بين الحقِّ والباطل، ومنهاجًا يسيرُ عليه يَضبطُ به أَخلاقَه وعباداتِه وسائرَ أحوالِه. فهي نورٌ لقلبه وجَوارحه، وظاهِره وباطنه.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فهذان صنفان: الأوَّل هو: المؤْمن، استنار بالإيمان بالله ومحبَّته ومعرفَتِه وذِكْره، والآخَرُ: هو الغافل عن الله تعالى المعرضُ عن ذِكْره ومحبته، والفلاح كلُّ الفلاح في النور،

والشقاء كلُّ الشقاء في فواته.

* **وهي سِيَاطٌ تسوقُ القلوبَ إلى علَّام الغيوب**، رغبةً ورهبةً، واستسْلامًا وانقيادًا، فإنْ وُجدتْ تلك السياط؛ انصاعتْ القلوبُ، وإلَّا تمرَّدت وشردَت، واستحْكم عليها الرَّان، ولا ريبَ أنَّ القلبَ يصدأُ كما يصدأُ الحديد والنُّحاس والفضَّة وغيرها، وجلاؤُه بالذِّكر فإنه يجلُوه حتى يدعَه كالمرآة البيضَاء.

* **وهي تُذيبُ قسوةَ القلْب وتُداويْه**، وذلك أنَّ القلبَ كلما اشتدَّت به الغفلةُ؛ اشتدتْ به القَسْوةُ والأمراض، وما أُذيبتْ قسوةُ القلوبِ بمثل العِلْم وذكر الله تعالى.

* **وهي توقظ القلبَ مِن نومته، وتُنبِّهه من سِنَتِه**، والقلب إذا كان نائِمًا فَاتته الأَرباحُ والمتاجر، وكان الغالب عليه الخُسران، لكن إذا استيقظَ وعلِمَ ما فاتَه في نومته؛ شدَّ المئزر وأحياَ بقيَّة عمُره، واستدركَ ما فاتَه، ولا تحصل يقظتُه إلا بالتعلُّم والتذكير.

* **وهي نقطةُ تحوُّل لكثير من النَّاس عن سُبُل الغواية** والجهالة، والشَّقاوة والتَّعاسة، إلى طريق السَّعادة والنَّعيم، والعزْ والتمكين.

فيا لله! كم من الكفَّار وعُبَّاد الأوثان؛ بسبب الدعوة والتذكير أسلَمُوا. وكَم من العصاة والمتمرِّدين بسِيَاط المواعِظ تحوَّلوا إلى أتقياء صَالحين. وكم من مُشرك بالله العظيم، تحوَّل إلى رأسٍ في الموحدين. وكم من عاقٍّ لولديه، برَّهما. ومُؤذٍ للناس صَار مُحسنا إليهم. وظَالم صَار عادلًا. وكاذب صار صادقًا. ومختلس للأموال؛ بسرقة، أو نهب، أو رشوة، أو قطع طريق، أو خيانة، صار: أمينًا. وكم مِن مُدمن عُهرٍ أو خمرٍ؛ انزجرَ وأقلعَ وصارَ عفيفًا. وكم من تارك للصلاة أصبح مواظبًا عليها، وكم من مُتكبر: تواضَع. وعُتُلٍّ جَوَّاظ بسبب التعليم والتذكير: أصبح رحيمًا رقيقًا.

* **وبالجملة:**

فإنَّ ألوانَ المعاصي والمنكرَات لا تُحصى، وكم ممَّن تردَّى في تلك الأَوحَال، واستحكمتْ من قلبه تلْكَ الأَقفال، تحوَّل من تلكَ الحياة الـمُرَّة البائسة إلى: استقَامةٍ وطُمأنينة وثباتٍ على الدين، وكانَ سببُ ذلك كله؛ شهودَه مجلسَ عِلْم وذِكْر موفَّق. والله

يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

* **وهي طريقُ الجنة**، مَن سَلكها سهَّل الله له بها طريقًا إلى الجنة.

* **وهي طريقُ المغفرة**، ومِن أعظم الأسباب في مَحْو السيئات، وحطِّ الخطيئات.

* **وهي طريق العلم النافع**، بل أعظم السُّبل لتحصيل العِلْم النافع، والفقه في الدِّين، وأيسر الطرق، وأحسنها، وأتقنها.

* **وهي حياةُ العبد**، بها يحيا قلبُه وتسكُن جوارحُه، كما روى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(١).

* **وهي حِرزٌ حريزٌ للعبد من الشَّيطان**، وحِصنٌ حصينٌ له من وَساوسِه وخطَراتِه، ونزغاته، وتزيينِهِ خُطُواتِه.

كما في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الله أَمَرَ يَحيَى بنَ زَكَرِيَّا بِخَمسِ كَلِمَاتٍ أَن يَعمَلَ بِهَا وَيَأمُرَ بَنِي إِسرَائِيلَ أَن يَعمَلُوا بِهَا...**» ومنها، قال: «**وَآمُرُكُم أَن تَذكُرُوا الله فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصنٍ حَصِينٍ فَأَحرَزَ نَفسَهُ مِنهُم كَذَلِكَ العَبدُ لَا يُحرِزُ نَفسَهُ مِن الشَّيطَانِ إِلَّا بِذِكرِ الله**»(٢).

* **وهي تُورثُ الخشيةَ، ورِقَّة القلْب، والخوف من الله**، وإجلاله وتعظيمه، وتورثُ العبدَ المراقبة؛ حتى يلجَ منزلةَ الإحسان، وهكذا تُورث الإنابةَ، والتوبة، والرجوع إلى الله تعالى.

* **وهي تورثُ ذكرَ الله تعَالى للعبْد**، كما قال تعالى: ﴿**فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا**

---

(١) لفظ البخاري (٦٤٠٧)، ولفظ مسلم «**مَثَلُ البَيتِ الَّذِي يُذكَرُ الله فِيهِ وَالبَيتِ الَّذِي لَا يُذكَرُ الله فِيهِ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» (٧٧٩)، وللحافظ ابن حجر رحمه الله بحث في «الفتح» على لفظ البخاري وأنه مروي بالمعنى، فراجعه إن شئت.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٦٣٩) وأحمد (٤/ ٢٠٢، ١٣٠)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي ـ رحمه الله ـ (١/ ٢٣١).

تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، ولو لم يكن فيها إلا هذه الفضيلة وحْدَها لكفَى به شرفًا وفضلًا، وقال النبي ﷺ: قال الله تعالى «**وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذكُرُنِي إِن ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ ذَكَرتُهُ فِي نَفسِي وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرتُهُ فِي مَلَإٍ هُم خَيرٌ مِنهُم**»(١).

* **وتلك مَجَالِسُ الملائكة**، وليس لهم مجلس من مَجَالِس الدنيا إلا المجلس الذي يُذْكَر اللهُ فيه، وعلى الضِّد من ذلك؛ فإنَّ مَجَالِس الغفلة: مَجَالِس الشياطين، وكلٌّ مضاف إلى شكْله وأشْباهِه، وكلُّ امرئ يصيرُ إلى ما يُناسبه، فليخْتَر العبدُ أعجبهما إليه! وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

* **وبها يتحصَّل العبدُ على صَلاةِ الله عزَّ وجلَّ، وملائكته**، ومن صلى اللهُ تعالى عليه، وملائكتُه، فقد أفلح كلَّ الفلاح، وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣]، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى، ومن ملائكته: هي سببُ الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصَلت لهم الصَّلاة من الله تبارك وتعالى وأُخرجوا من الظلمات إلى النور؛ فأي خير لم يحصلْ لهم؟ وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرةَ الغافلين عن ربِّهم ماذا حُرموا من خيرِه وفَضْلِه.

* **وهي المجالس التي يُباهِي الرَّب سُبحانَه وتعالى بأهلها**؛ أهلَ السماء من الملائكة البررة، وهذه المباهاة من الرب -سبحانه وتعالى- دليل على شرَف هذه المجالس، ومحبَّة الله تعالى لأهلها ولعَملِهم، وأنَّ لهذا العمل مزيَّة على غيره من الأعمال.

* **وتلك المجالس الطَّيبة: رياضُ الجنَّة**، فمَن شاء أنْ ينزل في رياض الجنة؛ فليستوطن تلك المجالس.

* **وفي تلك المجالس شُغلٌ ـ وأكرم به من شغل ـ لأهلها**: بالخير عن الشر، وبالحسنة عن السيئة، بل إنَّها من أعظم الحسنات. فإنَّ العبد لا بُدَّ أنْ يشغلَ نفسَه بشيء ـ أي شيء ـ

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٦٥).

فإمَّا أنْ يُبادر إلى الطاعات، وإلا دفعتْهُ نفسُه إلى الشهوات. و(نفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتْكَ بالباطل).

ففي تلك المجالس شُغلٌ عن مَجَالِس الغيبة، والنميمة، والكذب، والفُحش، والباطل، واللغو، وعلى تقدير حسَن يُحمَلُ أن يكون عليه المسْلم، فهي ترفعُه من الاشتغال بمجَالس المباحات، التي يُشبه بها بهيمة الحيوانات، إلى مصافَّة الملائكة الذين لا يعصُون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

*** وبها يكْسِبُ العبدُ المسلم:**

ـ القربَ من الله تعالى، المفْضي إلى محبته، وتأييده.

ـ وتفتحُ له أبوابًا كثيرة من أبواب المعرفة.

ـ وتزوِّدُه بقوتِ قلبه وروحه.

ـ وتزيد إيمان العبد وتقوِّيه، فإنَّ الإيمان يزيدُ بالطاعات، وشهودُها من أجل الطاعات.

ـ وتفتح له أبوابًا من أبواب الرزق.

ـ وتزيل عمَّن يشهدُها : الهمَّ والغمّ والملَلَ والضَّجَر ـ وتُورثُه الفرحَ والسرور والرضا والأُنس والسكينة.

*** وهي تُعين العبد بل وتدفعُه وتحضُّه على طاعة الله،** فإنها تحبِّبها إلى النفوس، وتُسَهِّلُها عليها، وتلذِّذها له، وتقوِّيه على أدائها.

*** واختصارا:**

ففوائد مَجَالِس العِلْم والذِّكْر لا تحصى كثرةً، ولا يوفِّي بها كاتب.

ولهذا وذاك؛ جاءت النُّصوص، وتواردَت الأخبار، بالأمر بها، ولزومها، والنهي عن تركها، والتحذير من التغافُل عنها، والشريعة طافحةٌ بما يُبيِّن عظيم فضلها؛ من الجهة الأخرى.

ومع توسُّع الناس في الحياة، وانفتاحهم على الدنيا، وهجْمة الشهوات عليهم: قَلَّت ورُبما

ندرت تلك المجالس في بعض مجتمعات المسلمين- والله المستعان - حتى لم يبْقَ لهم إلا خطبة الجمعة، لا تكاد تؤثِّر في من يَشهدُها أثرًا، ولا يستفيد منها كبير شيء؛ لأسباب مختلفة!!.

والبعض الآخر من مجتمعات المسلمين ـ التي توفَّرت عندهم تلك المجالس ـ فلا تسأل عن الزُّهد فيها، والإعراض عنها، بل ربما التحذير منها، والتنفير عنها!.

يُعلَن عن مجلس العِلْم أو الذِّكْر، والسبُل ميسَّرة، والطرق مسهَّلة، وليس ثمَّ أي مشقة في شهودها! ثُم لا تجد من يبالي بها، إنَّما يشهدُها القليل!؟.

والكثير الكثير؛ قد شغلته نفسُه، وليس بمشغُول وإنْ زعَم، وآخرون مُقيمون على سفاسف الأمور، وإلى الله ترجع الأمور.

فلهذه الأسباب وتلك، مجتمعةً، **رأيتُ أنْ أكتبَ هذه الرسالة غَيرةً ونُصحًا**، ومن باب: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، ومن باب: «**مَنْ دَعَا إِلى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»، ومن باب: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

وتوَخَّيتُ الاختصار ما استطعت، ملتزمًا صحَّة ما أُوردُه وأستشهد به.

والله أسأل أنْ يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يهدينا سبل السلام، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما.

كتَبهُ

ـ حامدًا لربِّه ذي الإنعَام، ومُصَليا ومسلِّما على خير الأَنَام ـ

أبو محمَّد عبدُ الله بن أحمد بن لَـمْـح الخَـولانِـي

وقد كتبت أصله قديمًا، ثمَّ راجعتُه وهذَّبته وزدتُ عليه في أيام متفرِّقة من عام / ١٤٣٩ هـ / بمكة بلد الله الحرام

المحتويات

تلخَّصت مقاصد هذا الكتاب في الفصول التالية:

- الفصل الأول : فضائل مجالس العلم والذِّكْر.
- الفصل الثانـي : أثر مجالس العلم والذِّكْر على من يشهدها.
- الفصل الثالث : فضل التعليم والوعظ والتذكير.
- الفصل الرابع : آداب حضور حِلَق العِلْم والذِّكْر.
- الفصل الخامس: المجالس المشوّهة. وفيه الكلام على مجالسة أهل الأهواء.
- الفصل السادس : الجامع. وفيه بعض المباحث المتفرِّقة.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

فَضَائِلُ مَجَالِسِ العِلْمِ وَالذِّكْرِ

* وقد تلخَّصت مقاصد هذا الفصل في الفقرات الآتية:

- أمْرُ الشارع بالجلوس في مَجَالِس العِلْم وحِلَق الذِّكْر.
- شهود مَجَالِس العِلْم والذِّكْر من عمارة بيوتِ الله.
- جملة من فوائد عمارة المساجد بالعلم والوعظ والتذكير: سلوك طريق الجنة. نزول السكينة عليهم. الملائكة يحفون مجالس العلم ويكتبون من يشهدها. غشيانهم الرحمة.
- مباهاة الرب عز وجل: الملائكةَ، بأهل حِلَق الذِّكْر.
- غفران الله تعالى لمن يشهد حِلَق العِلْم والذِّكْر.
- الأجر العظيم في شهودها.
- ذكر الله تعالى أهل مَجَالِس العِلْم في الملأ الأعلى.
- رب العزة والجلال يُؤوي من أوى إلى حِلَق العِلْم والذِّكْر.
- الأجر العظيم في المشي إلى مَجَالِس العِلْم وحِلَق الذِّكْر، وبيوت الله تعالى.
- خيرية وأفضلية من يشهد حِلَق تعليم القرآن الكريم.
- شهود حِلَق العِلْم دليل على إرادة الله تعالى بالعبد خيرًا.
- مَجَالِس العِلْم والذِّكْر خير من اللهو ومن التجارة
- من أتى حلق العلم ليتعلم أو يُعلِّم فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله.
- دعاء الرسول ﷺ لمستمع العِلْم وحافظه ومبلِّغه.
- حِلَق العِلْم والذِّكْر من أعظم أسباب الرزق.
- حِلَق العِلْم والذِّكْر: رياض الجنة.

قدَّمتُ في المقدِّمة طائفةً من فضائل حِلَق العِلْم والذِّكْر بالرمْز والإشارة وها نحن الآن على موعد ذكرها بالتفصيل وذكْر الأدلَّة على ذلك.

وهذا الفصْل هو أهم ما في الرسالة، وهو المقصود بالذات، لأنه المحرِّك للنفوس نحو ما به سعادتها في الدنيا والآخرة (العلم ، وذكر الله تعالى).

والنفوسُ مجبولةٌ على معرفةِ فوائد ما تقُومُ به من أعمال، ولهذا نجدُ كثيرًا من الأوامر في الكتاب والسنة، أو ما كان بمثابة الأوامر، كمدْح بعض الأعمال أو العُمَّال ـ نرى أنه يعقُبها ذكْر الجزَاء، أو الثمرة، تهييجًا للنفوس وإلْـهَابًا لها بالتوجُّه بالعزم الصَّادق نحو هذا العمل، وحتى يتضح ذلك تمام الاتضاح أضرب بعض الأمثلة:

– فمن ذلك قولُ النبي ﷺ: «**كافِلُ اليتيمِ لهُ أو لِغيرِهِ أنا وهُو كهاتينِ فِي الجنّةِ**»، وأشار مالِكٌ ـ أحد الرواة ـ بِالسّبّابةِ والوُسطى[(١)].

– ومنها قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلّا الله وحدهُ لا شرِيك لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ وهُو على كُلِّ شيءٍ قدِيرٌ فِي يومٍ مِائة مرّةٍ كانت لهُ عدل عشرِ رِقابٍ وكُتِبت لهُ مِائةُ حسنةٍ ومُحِيت عنهُ مِائةُ سيِّئةٍ وكانت لهُ حِرزًا مِن الشّيطانِ يومهُ ذلِك حتّى يُمسِي ولم يأتِ أحدٌ أفضل مِمّا جاء بِهِ إلّا أحدٌ عمِل أكثر مِن ذلِك ومن قال سُبحان الله وبِحمدِهِ فِي يومٍ مِائة مرّةٍ حُطّت خطاياهُ ولو كانت مِثل زبدِ البحرِ**»[(٢)].

في مئات الأمثلة، مما هو نظير ذلك، وهذا الباب منه، فإنَّ مَن تأملَ في هذه الفضائل الآتي ذكرُها –إن شاء الله– لا أحسب أنه يألُوا جهْدًا، ولا يدَّخرُ وُسعًا، في المحافظة على مَجَالِس العِلْم، بل يُقبلُ عليها بكلِّ شَوق وعزيمة وبنفْس منْشَرحة مهما شغلتْهُ الشَّواغل، حتى يصبحَ قلبُه معلّقًا بالمسَاجد وحِلَق العِلْم والذِّكْر.

---

(١) مسلم (٢٩٨٣)، وبنحوه في البخاري (٥٣٠٤)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أمر الشارع بالجلوس في مَجَالِس العِلْم وحلق الذِّكْر

لما كانت مجالس الذِّكر بتلك المنزلة والأهمية التي مرَّ الإشارة إليها، فلا يُستغرب أن يُؤْمَر بشهودها، ويُحضُّ عليها، فإنَّ هذا شأن الشريعة الإسلامية السَّمحة، الأمر بكل ما يَتمحَّضُ الخير فيه، والنفع به.

والإرشاد والدلالة على الخير؛ شأنُ الأنبياء والرسل أجمعين ـ صلوات الله وسلامه عليهم - كما أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنه لَمْ يَكُن نَبِيٌّ قبلي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيهِ أَن يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيرِ مَا يَعلَمُهُ لَهُم وَيُنذِرَهُم شَرَّ مَا يَعلَمُهُ لَهُم**»(١).

والأمر بشُهودها يختلف تبعًا لاختلاف المشهود، فإنه ومن البديهي أنَّ مَجَالِس العِلْم والذِّكْر ليستْ على وتيرة واحدة من الأهمية، **فربما كان الأمر للاستحباب** ـ وهذا هو الأصل ـ مع ما يقترن بهذا الأمر من التهييج والترغيب في شُهودها، تحصيلًا لما ينتج عن ذلك من الفوائد والثمار العظيمة.

وربما كان الأمر؛ جازمًا كفائيًا: وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية، ولهذا يقولُ العلماء في بعض العلوم الشرعية: إنه قد يتعيَّن على شخصٍ ما، أنْ يتعلَّم هذا العِلْم المعيَّن ـ والذي قد لا يحصُل إلا بشهود الحِلَق التي يتعلَّمُه فيها ـ وهو مستحب في غيره.

قال النووي رحمه الله: «واعلم أنَّ للقائم بفرض الكفاية، مزيةٌ على القائم بفرض العين، لأنه أسقط الحرَج عن الأمة»(٢).

وربما كان الأمر: أمرًا جازمًا عينيًّا، وذلك فيما يتعيَّن على العبد تعلُّمه ومعرفتُه من العِلْميات والعَمَليات، وقد لا يحصُل له ذلك إلا بشُهود الحلقات التي تُعنى بتعليم

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢) «المجموع» (١/ ٥١).

المسلمين ما أوجب الله عليهم، فإذا كان لا يُحسن أنْ يصلِّي كما صلَّى رسول الله ﷺ، وتَمَّ مِن حلَقات العِلْم ما يحصُل له ذلك فيها؛ بحيث يتعلَّم فيها كيف صلَّى رسول الله ﷺ، فإنه يتعيَّن عليه شهود ذلك المجلِس، ليتسنَّى له القيام بما أمره الله تعالى به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهكذا قُل؛ في سائر شرائع الإسلام، مما هو نظير ذلك.

قال النووي رحمه الله: «(فرع) يلزمُه معرفةُ ما يحِلُّ وما يحرُم، من المأكول، والمشروب، والملبوس، ونحوها مما لا غنى له عنه غالبًا، وكذلك أحكام عِشْرة النساء إنْ كان له زوجة، وحقُوق المماليك إن كان له مملوك، ونحو ذلك»[(١)].

وهكذا أحكام البيع، والنكاح، وصلاة النافلة، وشبهها مما لا يجب أصله، ولكن يَحرم الإقدام عليه إلا بعد معرفته، فإنْ لم يحصُل ذلك إلا بشهوده حِلَق العِلْم؛ تَعيَّن ذلك عليه والله تعالى أعلم.

ومما يتعين شهوده من تلك المجالس: خُطبتي الجمعة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩].

قال ابنُ الجوزي رحمه الله: «وفي المراد «بذكر الله» قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب»[(٢)].

قال ابنُ العربي ـ رحمه الله ـ محقّقًا: «الصَّحيح أنَّه واجب الجميع، أوله الخطبة، فإنها تكون عقب النداء؛ وهذا يدلُّ على وجوب الخطبة، وبه قال علماؤنا، إلا عبد الملك بن الماجشون فإنه رآها سُنَّة، والدليل على وجوبها أنها تحرِّم البيع، ولولا وجوبها ما حرَّمته؛ لأنَّ المستحب لا يحرِّم المباح. وإذا قلنا: إن المراد بالذكر: (الصلاة) فالخطبة من الصلاة،

---

(١) «المجموع» (١/ ٤٩)، وقال العز بن عبد السلام في «شجرة المعارف»: «الجهل بالفروع ضربان: ضرب يجب إزالته على كل مكلَّف، وهو الجهل بما يباشره من العبادات والمعاملات، وضرب إزالته فرض كفاية وهو ما زاد على المتعيّن من الأحكام».

(٢) «زاد المسير» (٨/ ٥٤)، ط: دار الكتب.

والعبد يكون ذاكرًا لله بفعله، كما يكون مسبِّحًا لله بفعله»[(١)].

وقال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: «**وفي هذه الآيات فوائد عديدة:**

منها: أن الجمعة فريضةٌ على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعْي لها والمبادرة والاهتمام بشأنها.

ومنها: أنَّ الخطبتين يومَ الجمعة فريضتَان يجبُ حضُورهما، لأنه فُسّر الذِّكْر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه، والسَّعي له [أي الذِّكْر]»[(٢)].

أقول: وفي إيجاب شهود خطبتي الجمعة؛ إشارة واضحة للأمر بشهود حِلَق الذِّكْر مما هو نظيرها، وإن لم تساوها في الإيجاب. وفي إيجاب شهودها: دلالة واضحة على أهمية حِلَق التذكير والتعليم والوعظ والإرشاد، وأهمية تعاهُد القُلوب بما يُصلحها، ويُقيمها، ويرشدها إلى ما يَنفعُها.

ومن الأمر العام بشهود حِلَق العِلْم والذِّكْر قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فهذه الآيةُ الكريمة فيها الأمرُ بحبْس النفس مع الذين يذكُرون الله تعالى، بُكرةً وعشيًّا.

قال ابنُ كثير رحمه الله[(٣)]: «أي: اجلِس مع الذين يذكرون اللهَ ويهلِّلونه، ويحمدونه ويسبِّحونه ويكبِّرونه، ويسألُونه بكرةً وعشيًا من عباد الله، سواء كانُوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء».

وروَى الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه»[(٤)]: من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطردْ هؤلاء لا يجترئون علينا!. قال:

(١) «أحكام القرآن» (٤/ ٢٢٥ـ٢٢٦)، ط: إحياء التراث.
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٨٠٠)، ط: الرسالة.
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١١٤).
(٤) رقم (٢٤١٣).

وكنتُ أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال ورجلان نسيتُ اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أنْ يقع، فحدّثَ نفسَه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢].

ولا يصح تخصيص الآية بشيء معيَّن، ولهذا قال الشنقيطي *رحمه الله*: «وقال بعضُ العلماء: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ أي: يُصلُّون صلاةَ الصبح والعصر!، قال: والتحقيقُ أنَّ الآيةَ تشملُ أعمّ مِن مُطلَق الصلاة، والله تعالى أعلم»(١).

وقال ابنُ عطية *رحمه الله*: «ويدخُل في الآية مَن يدعُو في غير صَلاة، **ومَن يجتمعُ لمذاكَرةِ عِلْم**»(٢).

شهود مَجَالِس العِلْم والذِّكْر من عمارة بيوتِ الله

أمر الله تعالى بعمارة المساجد عمارةً حسيَّةً ومعنويَّة، ورتَّب على ذلك الفضل الكبير والأجر العظيم، فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله تَعَالَى يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»(٣).

واعلم أنَّ مِن أعظم العمارة لبيوت الله تعالى: عقدَ مجالس العلم، وحِلَقِ الذِّكر فيها، وتعليم الناس العلوم الشرعية ابتداءً بالكتاب العزيز والسنَّة المطهرة، تلقينًا، وتفسيرًا، وتبيينًا.

وقد أمر الله تعالى بذلك، فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٦، ٣٨].

قال ابن كثير *رحمه الله*: «أمر الله تعالى برفعها، أي: بتطهيرها من الدّنس واللغو،

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ٨٨)، ط: عالم الكتب.

(٢) «المحرر الوجيز» (١٠/ ٣٩٤). ط: الباز.

(٣) البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

والأفعال والأقوال التي لا تليق فيها، وقال قتادة: هي هذه المساجد، أمر الله، سبحانه، ببنائها ورفعها، وأمر بعمارتها وتطهيرها».

وقال الشيخ السعدي رحمه الله مبيِّنًا معنى قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: «يدخُل في ذلك الصَّلاة كلِّها، فرضِها، ونفْلِها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذِّكْر، **وتعلُّم العِلْم وتعليمه، والمذاكرة فيها**، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان وصيانة لها، **وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين**، ولهذا شُرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد وجوبًا عند أكثر العلماء»[(١)].

وقد مدح الله من عمَرها واستوطنها، وفي هذه الآية أكبر دليل وشاهد على ذلك، وهو أيضا مستلزم للأمر بالاستمرار والمداومة على ذلك.

قال الشنقيطي رحمه الله: «ووصْفُه تعالى لهؤلاء الذين يسبِّحون له بالغُدو والآصال، بكونهم: (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) على سبيل مدْحِهم، والثناء عليهم: يدلّ على أنَّ تلك الصفات لا ينبغي التساهل فيها بحال، لأن ثناءَ الله على المتصف بها يدلُّ على أنَّ مَن أخلَّ بها يستحقُّ الذمّ، الذي هو ضدّ الثناء، ويوضِّح ذلك أنَّ الله نهى عن الإخلال بها نهيًا جازمًا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩] الآية إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الله تعالى في مدح عُمَّار بيوت الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨] فذكرَ الله تعالى في هذه الآية مَن هم عُمَّار مساجد الله، فوصفهم

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥١٨).

بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عُمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها»[(١)].

فتبيَّن من ذلك أنَّ الجلوسَ والتحلُّق للعلم في المساجد، من أعظم ما عُمرتْ به المساجد، ولهذا ذمَّ الله تعالى من صدَّ عن ذلك ومنعَه، وجعلَ فعْلَه من أظلم الظُّلم، بل ومن خرابها!.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] ، وقد اختلفَ المفسِّرون في المقصود بهذه الآية من هو؟ هل هم الروم، كما قاله جماعةٌ واختاره ابنُ جرير، أو المقصود قريش، **واختارهُ ابنُ كثير وقال** *رحمه الله* ـ **متعقبًّا ابن جرير** *رحمه الله* ـ: «وأما اعتماده على أنَّ قريشًا لم تسْعَ في خراب الكعبة، فأي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشِرْكِهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]، وقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة:١٧]، ثم قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، فإذا كانَ مَن هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها، فأي خراب لها أعظم من ذلك؟ **وليس المراد من عمارتها: زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنما عمارتها بذكر**

---

(١) فإن قيل: قد يعمُر مساجدَ الله من ليس فيه هذه الصفات. فالجواب: أنَّ المراد أن مَن كان على هذه الصفات المذكورة، كانَ من أهل عمارتها، العمارة الحقيقية، وكان من المنهومين بذلك، المشغوفين به، وليس المراد أنَّ كل مَن عمرَها كان بهذه الصفة؛ فتفهَّم، وأما حديث: «**إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ**»، فأخرجه الترمذي، عن أبي سعيد رضي الله عنه وسنده ضعيف.

الله فيها وإقامة شرعه فيها، ورفعها عن الدنس والشرك».

والأقرب ـ والله أعلم ـ أنَّ الآية عامَّة في كلِّ من اتصف بهذه الصفات، من المنع والصد والتخريب الحسي والمعنوي، لا خصوص العرب أو الروم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «**وهذا عامٌّ، لكلِّ مَن اتصفَ بهذه الصفة**، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش حين صدُّوا رسولَ الله عنها عام الحديبية، والنصارى حين أخربُوا بيتَ المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادَّة لله، ومشاقة، فجازاهم الله، بأنْ منعَهم دخولها شرعًا وقدرًا، إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالمشركون الذين صدُّوا رسولَه، لم يلبثْ رسول الله ﷺ إلا يسيرًا، حتى أذنَ الله لهُ في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٩]، وأصحاب الفيل: قد ذكَرَ اللهُ ما جرَى عليهم، والنصارى: سلَّط اللهُ عليهم المؤمنين، فأجلَوهم عنه، وهكذا كلُّ من اتصفَ بوصْفهم، فلا بدَّ أن ينالَه قسْطه، وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر. وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، **فلا أعظم إيمانا ممن سعَى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية**، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾»[(١)].

جملة من فوائد عمارة المساجد بالعلم والوعظ والتذكير:

١- سلوك طريق الجنة:

أخرج الإمام مسلم رحمه الله عن أبِي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**من نفّس عن مُؤمِنٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفّس الله عنهُ كُربةً مِن كُربِ يومِ القِيامةِ، ومن يسّر على مُعسِرٍ يسّر الله عليهِ فِي الدُّنيا والآخِرةِ، ومن ستر مُسلِمًا سترهُ الله فِي الدُّنيا والآخِرةِ، والله فِي عونِ العبدِ ما كان العبدُ فِي عونِ أخِيهِ، ومن سلك طرِيقًا يلتمِسُ فِيهِ عِلمًا سهّل الله لهُ بِهِ**

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٤٥).

طرِيقًا إلى الجنّةِ، وما اجتمع قومٌ فِي بيتٍ مِن بُيُوتِ الله يتلُون كِتاب الله ويتدارسُونهُ بينهُم إلّا نزلت عليهِم السّكِينةُ، وغشِيتهُم الرّحمةُ، وحفّتهُم الملائِكةُ، وذكرهُم الله فِيمن عِندهُ، ومن بطّأ بِهِ عملُهُ لم يُسرِع بِهِ نسبُهُ»(١).

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، وفضائل عظيمة:

منهـا: وهو شاهدنا: أنَّ مَن مشى إلى حِلَق الذِّكْر لتحصيل العِلْم الشرعي، قاصدًا به وجه الله تعالى، جازاه الله عليه بأنْ يوصلَه إلى الجنة، مسلَّمًا مكرَّمًا، وفي ذلك حضّ على الرحلة في طلب العِلْم، والاجتهاد في تحصيله.

ومنهـا: فضل الاجتماع والانضمام في حِلَق الذِّكْر.

ومنهـا: مشروعية عَقد حِلَق العِلْم، ومُدارسة القرآن الكريم، في المساجد.

ومنهـا: أنَّ أهل حِلَق الذِّكْر يُكرَمون بكرامات كثيرة، كما يأتي في الفقرات الآتية.

وقال مسدد *رحمه الله* (٢): ثنا عيسى ثنا هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلنا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له رجل: أيُّ العمَل أفضل؟، قال: ذكرُ الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: **(ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون كتاب الله ويتعاطونه بينهم، إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وإلا كانوا أضياف الله عز وجل حتى يقومُوا، وما سلَكَ رجلٌ طريقًا يبتغي فيه العلم إلا سهَّل الله له سبيلًا إلى الجنة، ومَن يُبطئ به عملُه، لا يُسْرع به نسبُه).**

٢- نزول السكينة عليهم:

للحديث السابق.

قال القرطبي *رحمه الله*: «و«السكينة» إما: السُّكون والوقار، والخشوع، وإما: الملائكة(٣)

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٨/ ٣٠٥/ ٨١١٢)، وسنده حسن.

(٣) يؤيده حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاري قال: قرأ رجلٌ سورةَ الكهْف وفي الدار الدابَّة، فجعلتْ تنفرُ فسلّم فإذا ضبابة أو سحابة غشِيَتْه فذكَره للنبي ﷺ فقال: «**اقرأ فلان فإنها السَّكينة نزلتْ للقرآن أو تنزَّلتْ للقرآن**»، وانظر «جامع العلوم والحكم» (٣٤٦/ حديث: ٣٦).

الذين يستمعون القرآن، سُمُّو بذلك: لما هم عليه من السكون والخشوع»[١].

وقال الإمام ابنُ القيم رحمه الله[٢]: «السَّكينة فعيلة من السُّكون وهو: طمأنينة القلب واستقراره وأصلها في القلب ويظهر أثرها على الجوارح.

قال: «وثمرةُ هذه السكينة: الطمأنينة للخبر تصديقًا وإيقانًا، وللأمر تسليمًا وإذعانًا، فلا تدَعُ شُبهةً تُعارض الخبرَ، ولا إرادةً تعارض الأمْر، فلا تمرُّ معارضَات السوء بالقلب؛ إلا وهي مُجتازة، من مُرور الوسَاوس الشيطانية التي يُبتلى بها العبد، ليقْوى إيمانُه، ويعْلو عند الله ميزانُه، بمُدافعتها وردِّها وعدم السُّكون إليها، فلا يظنُّ المؤمن أنها لنقْص درَجَته عندَ الله»[٣].

وقال رحمه الله: «وأصْل السكينة هي: الطمأنينة، والوقَار، والسُّكون، الذي ينزله الله في قلب عبْده عند اضطِرابه، من شدَّة المخاوف، فلا ينزعجُ بعدَ ذلك لما يردُ عليه، ويُوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثبات، ولهذا أخبرَ سُبحانه عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين، في مواضع القلق والاضطراب: كيوم الهجْرة إذ هو وصَاحبه في الغار والعدوّ فوق رؤوسهم لو نظر أحدُهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولَّوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلْوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس»[٤].

٣- الملائكة يَحفُّون مجالس العلم ويستمعون الذكر ويكتبون من يشهدها:

كما في الحديث السابق، وأخرج الإمام مسلم رحمه الله عن الأغرِّ أبِي مُسلِمٍ أنه قال:

---

(١) «المفهم» (٦/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨).

(٢) قال رحمه الله: «ولشدة الحاجة إلى السكينة وحقيقتها وتفاصيلها وأقسامها نشير إلى ذلك بحسب علومنا القاصرة وأذهاننا الجامدة وعباراتنا الناقصة». ثم تكلَّم عن السكينة بما هو معروف من عادته، فراجعْه إن شئت، وانظر «مدارج السالكين/ منزلة السكينة»، و«مفردات» الراغب.

(٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٠٢).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ٥٠٣/ منزلة السكينة).

أشهدُ على أبِي هُريرة وأبِي سعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما شَهِدَا على النّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**لا يقعُدُ قومٌ يذكُرُون الله عزّ وجلّ إِلّا حفّتهُم الملائِكةُ وغشِيتهُم الرّحمةُ ونزلت عليهِم السّكِينةُ وذكرهُم الله فِيمن عِندهُ**»(١).

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله عن أبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجُمُعةِ غُسل الجنابةِ ثُمّ راح فكأنّما قرّب بدنةً ومن راح فِي السّاعةِ الثّانِيةِ فكأنّما قرّب بقرةً ومن راح فِي السّاعةِ الثّالِثةِ فكأنّما قرّب كبشًا أقرن ومن راح فِي السّاعةِ الرّابِعةِ فكأنّما قرّب دجاجةً ومن راح فِي السّاعةِ الخامِسةِ فكأنّما قرّب بيضةً فإِذا خرج الإمام حضرت الملائِكةُ يستمِعُون الذِّكر**» (٢).

وفي رواية له: عن أبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النّبِيُّ ﷺ: «**إِذا كان يومُ الجُمُعةِ كان على كُلِّ بابٍ مِن أبوابِ المسجِدِ الملائِكةُ يكتُبُون الأوَّل فالأول فإِذا جلس الإمامُ طوَوا الصُّحُفَ وجاءُوا يستمِعُون الذِّكر**»(٣).

قال النووي رحمه الله: قوله: «**فإِذا جلس الإمام طووا الصُّحُف**»، وفِي الحدِيث الآخر: «**فإِذا خرجَ الإمام حضرت الملائِكة يستمِعُون الذِّكر**»، ولا تعارُض بينهما، بل ظاهِر الحدِيثينِ: أنّ بِخُرُوجِ الإمام يحضُرُون، ولا يطوُون الصُّحُف، فإِذا جلس على المِنبر طَوَوها».

٤- غشيانهم الرحمة:

وهي أن تغشاهم كما يغشى اللباسُ لابسَه، والليلُ النهار، وبذلك يحصُل لهم تكفير السيئات، ورفعة الدرجات، والوصول إلى الجنات(٤).

---

(١) مسلم (٢٧٠٠). ومعنى «حفَّتهم»: أي: أحاطوا بهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وترى الملائكةَ حافِّينَ مِن حَولِ العَرْش﴾ [الزمر:٧٥]، وإحاطتهم بكلِّ شيء بحسبه. راجع «شرح السنة» (١/ ٢٧٤).

(٢) البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٣) البخاري (٣٢١١).

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٥٠).

فائدة: في إطلاق حِلَق الذِّكْر على مجَالس التعليم:

اعلم ـ علَّمني الله وإياك ـ أن (حِلَق الذِّكْر) تُطلق على حِلَق العِلْم، بل كلُّ نصٍّ جاء فيه فضل حِلَق الذِّكْر مما مضى وسيأتي، فإنَّ التحلُّقَ للعلم الشرعي وتدارُس السُّنن داخل دخولًا أوليًا في تلكَ الأدلة، وقد نصَّ العلماء على ذلك تنبيهًا عليه، ومن ذلك:

قال ابنُ الحاج رحمه الله: «قال علماؤنا رحمةُ الله عليهم: الذِّكْر والمجالس المذكورات في هذه الأحاديث[1]: مجالس العلم، وهي مجالسُ الحلال والحرام، هل يجوز أو لا يجوز، كيف يتوضّأ، وما يجبُ فيه وما يُسنّ ويُستحب ويُكره ويمتنع، وكيف يصلِّي، وما يجب فيها ويُسنّ ويستحب ويكره ويمتنع، وكيف ينكِحُ وما يجب في ذلك ويسنُّ ويستحب ويكره ويمتنع، وكيف يبيع وكيف يشتري وما يجبُ في ذلك ويُسنّ ويُستحب ويُكرَه ويمتنع. إلى غير ذلك حتى الحركات والسكنات، والنطق والصَّمت، فيجب أن تعرف الأحكام عليك في ذلك كلِّه.

ولأنَّه ليس المقصود والمراد: الذِّكْر باللسان خاصَّة، بل المقصود معرفة الإيمان وأحكامه وفروعه، والمشي على تلك الأحكام، ويتعيَّن عليه من ذلك ما يخصُّه في نفسه من الأحكام التي هو محتاج»[2].

وقال النووي رحمه الله[3]: «فصل: **اعلم أنَّ فضيلةَ الذِّكْر غيرُ منحصرةٍ في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كلُّ عاملٍ لله تعالى بطاعةٍ فهو ذاكرٌ لله تعالى**، كذا قاله سعيدُ بن جُبير رضي الله عنه وغيره من العلماء. وقال عطاء رحمه الله: **مجالسُ الذِّكر هي مجالسُ الحلال والحرام كيف تشتري وتبيعُ وتصلّي وتصومُ وتنكحُ وتطلّق وتحجّ** وأشباه هذا».

وقال الشاطبي رحمه الله: «وإذا اجتمعَ القوم على التذكير لنعم الله، أو التذاكُر في العلم

(١) يعني الأحاديث التي فيها فَضْلُ حِلَقِ الذِّكْر.
(٢) «المدخل» (١/ ٨٧).
(٣) «الأذكار» (٢٤).

إن كانوا عُلماء أو كان فيهم عالم فجلسَ إليه متعلِّمون، أو اجتمعُوا يُذكِّر بعضُهم بعضًا بالعمل بطاعة الله، والبُعد عن معصيته، وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله ﷺ في أصحابه، وعمل به الصحابةُ والتابعون، **فهذه المجالس كلُّها مجالس ذِكْر**، وهي التي جاء فيها من الأجر ما جَاء»[١].

مباهاة الرب عز وجل: الملائكةَ، بأهل حِلَق الذِّكْر

أخرج الإمام مسلم *رحمه الله* عن أَبِي سعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قال: خرج معاويةُ على حلْقةٍ فِي المسجِدِ فقال: ما أجلسكُم؟ قالُوا: جلسنا نذكُرُ الله، قال: آلله ما أجلسكُم إِلّا ذاك؟ قالُوا: والله ما أجلسنا إِلّا ذاك. قال: أما إِنِّي لم أستحلِفكُم تُهمةً لكُم وما كان أحدٌ بِمنزِلتِي مِن رسُولِ الله ﷺ أقلّ عنهُ حدِيثًا مِنِّي وإِنّ رسُول الله ﷺ خرجَ على حلْقةٍ مِن أصحابِهِ فقال: «**ما أجلسكُم؟**» قالُوا: جلسنا نذكُرُ الله ونحمدُهُ على ما هدانا لِلإِسلامِ ومنّ بِهِ علينا قال: «**آلله ما أجلسكُم إِلّا ذاك**» قالُوا والله ما أجلسنا إِلّا ذاك! قال: «**أما إِنِّي لم أستحلِفكُم تُهمةً لكُم ولكِنّهُ أتانِي جِبرِيلُ فأخبرنِي أنّ الله عزّ وجلّ يُباهِي بِكُم الملائِكة**»[٢].

ومعناه: يُظْهِرُ فضلَكُم لهم، ويُرِيهم حُسْن عملِكُم، ويُثنِي عليكُم عندَهم، وأصل البهاء: الحُسن والجمال، وفُلان يُباهِي بِماله، أي: يفخَر ويتجمّل بِهِ على غيره .

ويكفي في شرف مجالس العلم والذكر: أنَّ الله يُباهي ملائكتَه بأهله[٣].

غفران الله تعالى لمن يشهد حِلَق العِلْم والذِّكْر

أخرج الإمام مسلم *رحمه الله* عن أَبِي هُريرة رضي الله عنه عن النّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنّ لله تبارك وتعالى ملائِكةً سيّارةً فُضُلًا**[٤] **يتتبّعُون مجَالِس الذِّكر فإِذا وجدُوا مجلِسًا فِيهِ ذِكرٌ قعدُوا**

(١) «الاعتصام» (٢/ ٩٢).

(٢) مسلم (٢٧٠١).

(٣) انظر «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٨).

(٤) قال القرطبي *رحمه الله* : الصواب (فَضْلا)، أي: زيادة على كُتَّاب الناس. «المفهم» (٧/ ١١).

معهُم وحفَّ بعضُهُم بعضًا بِأجنِحتِهِم حتّى يمْلئُوا ما بينهُم وبين السّماءِ الدُّنيا فإِذا تفرّقُوا عرجُوا وصعِدُوا إِلى السّماءِ قال فيسأَلُهم الله عزّ وجلّ وهُو أعلمُ بِهِم مِن أين جِئتُم فيقُولُون جِئنَا مِن عِندِ عِبادٍ لك فِي الأرض يُسبِّحُونك ويُكبِّرُونك ويُهلِّلُونك ويحمدُونك ويسأَلُونك قال وماذا يسأَلُونِي قالُوا يسأَلُونك جنّتك قال وهل رأوا جنّتِي قالُوا لا أي ربِّ قال فكيف لو رأوا جنّتِي قالُوا ويستجِيرُونك قال ومِمّ يستجِيرُوننِي قالُوا مِن نارِك يا ربِّ قال وهل رأوا نارِي قالُوا لا قال فكيف لو رأوا نارِي قالُوا ويستغفِرُونك قال فيقُولُ قد غفرتُ لهُم فأعطيتُهُم ما سأَلُوا وأجرتُهُم مِمّا استجارُوا قال فيقُولُون ربِّ فِيهِم فُلانٌ عبدٌ خطّاءٌ إِنّما مرّ فجلس معهُم قال فيقُولُ ولهُ غفرتُ هُم القومُ لا يشقى بِهِم جلِيسُهُم»[1].

وهذا الحديث فيه **فوائد وفضائل كثيرة:**

منهـا: تتبُّع الملائكة حِلَق العِلْم والذِّكْر.

ومنهـا: قُعُود الملائكة في تلك المجالس، وحَفِّهم وإِحْداقِهم بأَهلها.

ومنهـا: عُروج الملائكة إلى السماء، ثم إلى الله تعالى، بخبَر هؤلاء الجالسين في مجلِسِ العِلْم، وشهادتهم لهم بأنهم:

ـ عباد لله تعالى في الأرض.

ـ وأنهم يمجِّدُون الله، ويسبِّحُونه، ويحمدُونَه، ويسألونَه الجنة، ويستجيرونه من النار، وفي ضمن ذلك استغفار الملائكة لهم، وشفاعتهم لهم.

ومنهـا: -وهو من أعظمها- قوله تعالى: «**قدْ غفرْتُ لهُمْ فأعْطيْتُهُمْ ما سألُوا وأجرْتُهُمْ مِمّا اسْتجارُوا**».

ومنهـا: بركة هذه المجالس على أهلها، ومن يَشهدُها، يظهرُ ذلك من استبعاد الملائكة دخول ذلك الرجل الخطَّاء مع أهل المجلس في المغفرة، لأنه لم يكن من عادته حضور مَجَالِس الذِّكْر، بل عادته ملازمة الخطايا، فعرَض له هذا المجلس فجلَس فيه، ومع ذلك

---

(١) مسلم (٢٦٨٩).

عادت عليه بركةُ ذلك المجلِس، فدخل مع أهله فيما قُسم لهم من المغفرة والرحمة.

فيُستفادُ منه: الترغيب العظيم في حضُور مَجَالِس الذِّكْر، ومجالس العلماء والصالحين.

وقوله في الحديث: «**هُمْ الْقَوْمُ لا يشْقَى بِهِمْ جلِيسُهُمْ**»: «هذه مبالغةٌ في إكرامهم، وزيادةٌ في إعلاء مكانتهم، ألا ترَى: أنه أُكرم جليسُهم بنحو ما أُكرموا به لأجْلهم، وإن لم يشفَعوا فيه، ولا طلبوا له شيئًا، وهذه حالةٌ شريفة، ومنزلةٌ منيفة، لا خيَّبنا الله منهم، وجعلنا من أهلها.

الأجر العظيم في شهودها

أخرج الإمام أبو داود *رحمه الله* عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**لأَن أقعُد مع قومٍ يذكُرُون الله تعالى مِن صلاةِ الغداةِ حتّى تطلُع الشّمسُ أحبُّ إلَيّ مِن أن أعتِق أربعةً مِن ولَدِ إسْماعيل ولأَنْ أقعُدَ معَ قَومٍ يذْكُرُون الله مِن صَلاةِ العصْرِ إلى أنْ تغرُب الشّمسُ أحبُّ إلَيّ من أن أعتِق أربعةً**»(١).

قال في «عون المعبود»: «قوله: «**يذكُرُون الله تعالى**» أي: مِن قِراءة القُرآن والتّسبِيح والتّهلِيل والتّحمِيد والصَّلاة على النّبِيّ ﷺ ويُلحَق بِهِ ما فِي معناهُ كدَرْسِ عِلم التّفسِير والحدِيث وغير ذلِك مِن عُلُوم الشّرِيعة، وقوله: «**مع قوم يذكُرُون الله**»: ظاهِرُه وإِنْ لم يكُن ذاكِرًا، بل مُستمِعًا، و «**هُم القَوم لا يَشْقَى جلِيسُهم**»(٢).

ذكر الله تعالى أهل مَجَالِس العِلْم في الملأ الأعلى

أخرج الإمام مسلم *رحمه الله* عن أبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسُول الله ﷺ قال: «**يقُولُ الله عزّ وجلّ: أنا عِند ظنِّ عبدِي بِي وأنا معهُ حِين يذكُرُنِي إن ذكرنِي فِي نفسِهِ ذكرتُهُ فِي نفسِي وإِن ذكرنِي فِي ملإٍ ذكرتُهُ فِي ملإٍ هُم خيرٌ مِنهُم وإِن تقرّب مِنِّي شِبرًا تقرّبتُ إليه ذِراعًا وإِن**

---

(١) أبو داود برقم (٣٦٦٧) وحسنه شيخُنا رحمه الله في «الجامع الصحيح» (٢/ ٥٣٥)، والعلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٩١٦).

(٢) «عون المعبود» (٨/ ١٦٦).

تقرّب إليّ ذِراعًا تقرّبتُ مِنهُ باعًا وإن أتاني يمشِي أتيتُهُ هرولةً»[(١)].

قال القرطبي *رحمه الله*: «قوله: «**وإن ذكرني في ملإٍ ذكرتُهُ في ملإٍ هُم خيرٌ مِنهُم**»: يعني أنّ مَن ذكره في ملأ من النَّاس، ذكرَهُ الله في ملأ من الملائكة، أي: أثنى عليه، ونوَّه باسمه في الملائكة، وأمرَ جبريل أنْ ينادي بذكْره في ملائكة السماوات».

قال: «وهذا الذِّكْر، يُحتمل أنه ذكر ثناء وتشْريف، ويحتمل أن يكون ذِكْر مباهاة، كما باهى الملائكة بأهل عرفة»[(٢)].

وقال ابنُ رجب *رحمه الله*: «وذِكْر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته، ومباهاته به وتنويهه بذكْره، قال الربيعُ بن أنس *رحمه الله*: إن الله ذاكرٌ من ذكَرَه، وزائدٌ من شكَرَه، ومعذِّبٌ من كفره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤١ـ٤٣]، وصلاةُ الله على عبدِه هي: ثناؤه عليه بين ملائكته، وتنويهه بذكره، كذا قالَ أبو العالية ذكرَهُ البخاري في «صحيحه»»[(٣)].

رب العزة والجلال يُؤوي من أوى إلى حِلَق العِلْم والذِّكْر

أخرجَ الإمامُ البخاريُّ *رحمه الله* عن أبِي واقِدٍ اللّيثِيِّ رضي الله عنه أنّ رسُولَ الله ﷺ بينما هُو جالِسٌ فِي المسجِدِ والنّاسُ معهُ إِذ أقبلَ ثلاثةُ نفَرٍ فأقبلَ اثنانِ إلى رسُولِ الله ﷺ، وذهبَ واحِدٌ، قال فوقفَا على رسُولِ الله ﷺ، فأمّا أحدُهُما فرأى فُرجةً فِي الحلْقةِ فجلسَ فِيها، وأمّا الآخرُ فجلَس خلفهُم، وأمّا الثّالِثُ فأدبر ذاهِبًا، فلمّا فرغ رسُولُ الله ﷺ قال: «**ألا أُخبركُم عن النّفرِ الثّلاثةِ أمّا أحدُهُم فأوَى**[(٤)] **إلى الله فآواهُ الله وأمّا الآخرُ فاستَحْيا**

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) «المفهم» (٧/ ٧) و(٦/ ٦٨٨).

(٣) «جامعُ العلوم والحِكَم» (٣٤٦).

(٤) لفظة (أوى) بِالقصرِ، و(آواهُ) بِالمدِّ هكذا الرِّواية، وهذِهِ هِي اللُّغة الفصِيحة، وبِها جاء القُرآن =

فاستَحْيا الله مِنهُ وأمّا الآخرُ فأعرض فأعرض الله عنهُ»[١].

قال القرطبي *رحمه الله*: «ومعنى ذلك: أنَّ هذا الرجُل لما انضمّ إلى الحلْقة، ونزلَ فيها، جازاه الله تعالى بأنْ ضمَّه إلى رحمته، وأنزله في جنته، وكرامته»[٢].

وقال ابن عبد البر *رحمه الله*: «قوله ﷺ في الثالث: «**فأعرض فأعرضَ اللهُ عنْه**»، يُحتمل: أن يكون المعرض عن ذلك المجلس مَن في قلبه نفاق ومرض، لأنه لا يعرض في الأغلب عن مجلس رسول الله ﷺ إلا من هذه حاله، بل قد بان لنا بقول رسول الله ﷺ: «**فأعرض فأعرض الله عنه**» أنه منهم، لأنه لو أعرض لحاجةٍ عرَضَت له، ما كان من رسول الله ﷺ ذلك القول فيه، ومَن كانت هذه حاله، كان إعراضُ الله عنه سخطًا عليه، وأسأل الله المعافاة والنجاة من سخطه بمنه ورحمته»[٣].

الأجر العظيم في المشي إلى مَجَالِس العِلْم وحِلَق الذِّكْر، وبيوت الله تعالى

إنَّ كلَّ جهد يقومُ به العبد المسلم لشُهود تلك المجالس، فإنه في ميزان حسناته، وإذا ثبت فضل تلك المجالس، ثبت فضل وسائلها، فإنَّ للوسائل أحكام المقاصد، وبقدر المشقة التي تلحق من يشهدها؛ يعظم الأجر، كما قال ﷺ: «**أجرُك على قَدْرِ نَصَبك**»[٤].

والمسلم إذا خرج من بيته يريد مَجَالِس العِلْم، فإنه يتبعه مَلَكٌ برايته، فلا يزال تحت رايته حتى يرجع، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِن خَارِجٍ يَخْرُجُ يَعنِي مِن بَيتِهِ إِلَّا بِيَدِهِ رَايَتَانِ رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيطَانٍ، فَإِن خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛**

أنه إذا كان لازِمًا كان مقصُورًا، وإن كان مُتعدِّيًا كان ممدُودًا، قال اللهّ تعالى ﴿أرأيْت إِذْ أوْينا إلى الصّخْرة﴾ وقال تعالى: ﴿إِذْ أوى الْفِتْيةُ إلى الْكهْفِ﴾ وقال فِي الْمُتعدِّي: ﴿وآوْيناهُما إلى ربْوة﴾ وقال تعالى: ﴿ألمْ يجِدْك يتِيمًا فآوى﴾.

(١) البخاري (٤٧٤)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) «المفهم» (٥/ ٥٠٨).

(٣) «التمهيد» (١/ ٣١٧).

(٤) البخاري (باب أجر العمرة على قدر النصب) من حديث عائشة، والمعنى: أنَّ الثواب في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة الذي لا يذمُّه الشرع.

اتَّبَعَهُ المَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَم يَزَل تَحتَ رَايَةِ المَلَكِ حَتَّى يَرجِعَ إِلَى بَيتِهِ، وَإِن خَرَجَ لِمَا يُسخِطُ الله، اتَّبَعَهُ الشَّيطَانُ بِرَايَتِهِ فَلَم يَزَل تَحتَ رَايَةِ الشَّيطَانِ حَتَّى يَرجِعَ إِلَى بَيتِهِ»(١).

بل إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها، لمن خرج إلى مَجَالِس العِلْم!، ابتغاء العِلْم، كما في «المسند» من طريق عاصم بن أبي النجود عن زرِّ بن حبيش قَالَ: أَتَيتُ صَفوَانَ بنَ عَسَّالٍ المرَادِيَّ، فَقَالَ: (مَا جَاءَ بِكَ) فَقُلتُ: ابتِغَاءَ العِلمِ، قَالَ: «**فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلمِ رِضًا بِمَا يَطلُبُ**»(٢).

فتضمَّن هذا الحديث: تعظيم الملائكة له، وحبّها إياه، وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العِلْم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفًا وفضْلًا.

والمسلم بسلُوكه طريقًا يوصّله إلى حِلَق العِلْم، يسلُك بنفسه سبيل النجاة، بل والسعادة الأبدية، فإنَّ الله يُيسر له بذلك السعي طريقًا إلى الجنة، كما أخرج مسلم *رحمه الله* من حديث أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمِسُ فِيهِ عِلمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلى الجَنَّةِ وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِن بُيُوتِ الله يَتلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَينَهُم إِلَّا نَزَلَت عَلَيهِم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتهُم الرَّحمَةُ وَحَفَّتهُم المَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُم الله فِيمَن عِندَهُ**»(٣).

قال النوويُّ *رحمه الله*: «وفي الحديث: فَضل المشي في طَلَب العِلْم، ويَلزم مِن ذلكَ الاشتغَال بالعلم الشَّرعيّ، بشَرط أَن يَقصِد بهِ وجه الله تعالى».

وقال المناوي *رحمه الله*: «والمعنى: سهَّل الله له بسبب العِلْم طريقًا من طرق الجنة، وذلك لأن العِلْم إنما يحصُل بتعب ونصَب، وأفضل الأعمال أحزَمُها، فمن تحمَّل المشقة في طلبه، سُهِّلت له سبل الجنة، سيما إن حصَل المطلوب، والطريق في الحديث: تشمل

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣)، والحديث في «الصحيح المسند» (٢/ ٣١١)، لشيخنا *رحمه الله*.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٠) والترمذي (٣٥٣٥) وعبد الرزاق (٧٩٥) وابن حبان (١٣٢١)، وسنده حسن، **وقد صرح برفعه** من طرق أخرى كما مضى، والحديث في «الصحيح المسند» (١/ ٤٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وسيأتي بطوله في فصل «الفضائل»، إن شاء الله.

الحسيَّة والمعنوية، ونكَّرهما لتتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل أنواع العلوم. وظاهر قوله: «**يلتمس**»: أنه لا يُشترط في حصول الجزاء الموعود به حصولُه، فيحصُل إذا بذل الجهد بنية صادقة، وإن لم يُحصِّل شيئًا لنحْو بلادَةٍ»[١].

وقال ابنُ القيم رحمه الله: «والطريق التي يسلُكها إلى الجنة؛ جزاءً على سلُوكه في الدُّنيا طريق العِلْم الموصلة إلى رضَا ربِّه، ووَضْع الملائكة أجنحتَها له؛ تواضعًا له، وتوقيرًا، وإكرامًا لما يحمِلُه من ميراث النبوَّة ويطلبه، وهو يدلُّ على المحبة والتعظيم، فمِن محبةِ الملائكة له وتعظيمه: تَضعُ أجنحتَها له، لأنه طالبٌ لما به حياة العالَم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة»[٢].

وقوله في الحديث: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله**»، على إثر قوله: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا...**»، إشارة واضحة لأمرين:

الأول: أنَّ المقصود بالطريق هنا ـ بالأصالة ـ: الطريق الحسيَّة، وإن كان يشملُ المعنوية.

فائدة: فضْل جعْل حِلَق العِلْم في المسَاجد:

الثاني: أنَّ أفضلَ مكان اجتُمع فيه لعلْم أو تذكير ووعْظ، بيوتُ الله تعالى (المسَاجد)، وهذا أمرٌ لا شكَّ فيه، أنَّ أحسنَ ما عُقدتْ مَجَالِس العِلْم والذِّكْر في المساجد وعلى ذلك أدلَّة:

١ـ منها هذا الحديث.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور:٣٦].

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

(١) «فيض القدير» (٦/ ١٥٤).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٣).

وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [التوبة:١٨]

٤ـ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا**»(١). ومجالس العلم مما يحبُّه الله ويأمُر به، وكونها في أحبِّ البقاع إليه عليه سنةُ النبيِّ ﷺ وأصحابه ومن سَلف، ومتى عُقدت في المساجد كان مَن شهدها قد جَلَس في أحبِّ بقاع الأرض إلى الله، على خير ما جُلس من أجله. والله الموفِّق.

٥ ـ حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ والذِّكْرِ إِلَّا تَبَشْبَشَ الله لَهُ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ**»(٢).

قال الخطيب *رحمه الله*: «يستحبُّ للمحدِّث أن يجعلَ تحديثَه في المسْجد»(٣).

وبوَّب في كتابه «الفقيه والمتفقه»(٤) بابًا فقال: (فضْل تدْريس الفقْه في المسَاجد). وذكَر آثارًا عدَّة.

وقال ابنُ الحاج *رحمه الله*(٥): «لا يخلُو موضع التدريس من ثلاثة أحوال؛ إما أنْ يكون: بيتًا، أو مدرسةً، أو مسجدًا، وأفضل مواضع التدريس المسجد، لأنَّ الجلوسَ للتدريس إنما فائدتُه: أنْ تظهَر به سنَّة، أو تخمَد به بدعة، أو يتعلَّم به حكم من أحكام الله تعالى

---

(١) رواه مسلم (٦٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٨)، وابن ماجه (٨٠٠) وذكره شيخنا في «الجامع الصحيح» (٢/ ٥٢٢)، ثم رأيت الإمام الدارقطني *رحمه الله* قد أعل الحديث في «العلل» (١١/ ٨ ـ ٩) فأبان الاختلاف في أسانيده، وقال في آخر البحث: «ويشبه أن يكون الليث قد حفظه». وقد رجَّح في رواية الليث أنها عن المقبري عن ابن عبيدة أو أبو عبيده ـ رجل مجهول ـ عن أبي الحباب عن أبي هريرة، فزاد في الإسناد رجلًا مجهولًا، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٧) وابن خزيمة (١٤٩١)، وقد قرئ بحث الدارقطني على شيخنا في حياته فوافقه، وتراجع عن تصحيح الحديث أفادني بتراجع الشيخ غيرُ واحد من إخواني حفظهم الله.

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٦٠)، وكذا قال السمعاني *رحمه الله* في «أدب الإملاء» (٤٢).

(٤) (٢/ ٢٧٠).

(٥) «المدخل» (١/ ٨٥ ـ ٨٦).

علينا، والمسجد يحصُل فيه هذا الغرض متوفِّرًا، لأنَّه موضعُ مجتمَع النَّاس، رفيعُهم ووضيعُهم، وعالمهم وجاهلهم، بخلاف البيت؛ فإنَّه محجورٌ على النَّاس إلا مَن أبيحَ له، وذلك لأُناس مخصُوصين، وإنْ كان العالم قد أباح بيتَه لكلِّ مَن أتى، لكن جرَت العادةُ أنَّ البيوت تُحترم وتهاب، وليس كلُّ النَّاس يحصل له الإدلال على ذلك، فكان المسجد أولى لأنه أعلم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة. وكذلك أيضًا بالنظر إلى هذا المعنى **يكون المسجد أفضل من المدرسة**، لوجهين:

أحدهما: أن السَّلف رضوان الله عليهم لم تكن لهم مدارس، وإنما كانوا يدرسون في المساجد -وإن كان ذلك في المدرسة فيه المنفعة والخير والبركة- لكن لـمَّـا أنْ لم يقعْ ذلك للسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كان أخذُه في المساجد فيه صورة الاقتداء بهم في الظاهر، وإن كان غيره يجوزُ وكفى لنا أُسوة بهم.

الوجْه الثانـي: أنَّ المدْرسَة لا يدخُلها في الغالب إلا آحاد النَّاس بالنسبة إلى المسجد، لأنَّه ليسَ كلُّ النَّاس يقصدُ المدرسة، وإنما يَقصد أعمُّهم المساجد، وليس كل النَّاس أيضًا له رغبة في طلب العِلْم، وإذا كان التدريس أيضًا في المدرسة؛ امتنع توصيل العِلْم على من لا رغبة له فيه[1]، والمقصُود بالتدريس كما تقدَّم إنما هو التبيين للأمَّة، وإرشاد الضَّال وتعليمه، والدّلالة على الخيرات، وذلك موجُود في المسجد أكثر من المدرسة ضرورة، وإذا كان المسجد أفضل فينبغي أن يبادر إلى الأفضل ويترك ما عداه، اللهم إلا لضرورة والضرورات لها أحكام أخر».

---

(١) لأنه ربما إذا كان في المسجد وجلس مرَّة؛ سمع ما يُعجبه وتقرّ له عينه فيلين ويكون سببَ حبِّه للعلم الشرعي. وكم من طلاب علم برّزوا فيه يذكرون لنا من أعظم السبب لطلبهم العلم شهودهم مجالس علمية لشيوخ موفَّقين في العرض والتدريس والنصح الخالص. أقول: بل تخصيصها بالمدارس أيضًا يمتنع توصيل العلم لمن له فيه رغبة! فكم من شيخ قويٍّ في فنِّه من علوم الشريعة يُحصر علمه على من يحضر في غرفة وقاعة الدراسة، ويُحرم مَن يحبّ أن يأخذ هذا العلم ولا يسمح له بالدخول ولو بصفة: مستمع، كون النظام لا يسمح بذلك!، هذا في بعض الأماكن!. فربما حضره وسمعه من قصْدُه الورقة، ومُنع منه من قصْده الحدَقَة!.

قلت: إذا تقرَّر هذا، فاعلم أنَّ كلَّ دليل دلَّ على فضْل المشي إلى المساجد، فإنه يدل على ما نحن بصدده، من بيان فضيلة المشي إلى تلك المجالس، وهي بمثابة مجموعة أخرى من أوجه الاستدلال.

فالذاهب إلى مجلس العِلْم والذِّكْر الذي في المسجد، داخل تحت الأدلة العامة التي بيَّنتْ فضل ذلك، والتي أشرنا إلى طرف منها آنفًا ـ من جهة، ومن جهة أخرى: يدلُّ على فضله، ومدحه، الأدلة الكثيرة التي وردَت في فضل الذهاب إلى المساجد، ومنها:

- عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَن غَدَا إلى المَسجِدِ أو رَاحَ أَعَدَّ الله لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أو رَاحَ**»(١).

- عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَن تَطَهَّرَ فِي بَيتِهِ ثُمَّ مَشَى إلى بَيتٍ مِن بُيُوتِ الله لِيَقضِيَ فَرِيضَةً مِن فَرَائِضِ الله كَانَت خَطوَتَاهُ إِحدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخرَى تَرفَعُ دَرَجَةً**»(٢).

- عَن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعلَمُ رَجُلًا أَبعَدَ مِن المَسجِدِ مِنهُ وَكَانَ لَا تُخطِئُهُ صَلَاةٌ قَالَ فَقِيلَ لَهُ أو قُلتُ لَهُ لَو اشتَرَيتَ حِمَارًا تَركَبُهُ فِي الظَّلمَاءِ وَفِي الرَّمضَاءِ، قَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنزِلِي إلى جَنبِ المَسجِدِ! إِنِّي أُرِيدُ أَن يُكتَبَ لِي مَمشَايَ إلى المَسجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعتُ إلى أَهلِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَد جَمَعَ الله لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**»(٣)، وفي رواية لمسلم: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ مَا احتَسَبْتَ**».

- عن جَابِر بن عَبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَت دِيَارُنَا نَائِيَةً عَن المَسجِدِ فَأَرَدنَا أَن نَبِيعَ بُيُوتَنَا فَنَقتَرِبَ مِن المَسجِدِ فَنَهَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ لَكُم بِكُلِّ خَطوَةٍ دَرَجَةً**»(٤).

- عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُم عَلَى مَا يَمحُو الله بِهِ الخَطَايَا**

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢)، ومسلم (٦٦٩).
(٢) رواه مسلم (٦٦٦).
(٣) رواه مسلم (٦٦٣).
(٤) رواه مسلم (٦٦٥).

وَيَرفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **«إِسبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثرَةُ الخُطَا إِلى المَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُم الرِّبَاطُ»**(١).

۞ جملةٌ من الفوائد لمن يشهدُ حِلَقَ العِلْم في المسجد:

أخرج الإمام البخاري *رحمه الله* عن أَبِي هُريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قال: **«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمسًا وَعِشرِينَ ضِعفًا وَذَلِكَ أنه إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلى المَسجِدِ لَا يُخرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَم يَخطُ خَطوَةً إِلَّا رُفِعَت لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَم تَزَل المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللهمَّ صَلِّ عَلَيهِ اللهمَّ ارحَمهُ وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُم فِي صَلَاةٍ مَا انتَظَرَ الصَّلَاةَ»**(٢).

في هذا الحديث العظيم فوائد وفضائل كثيرة من فضائل حِلَق الذِّكْر:

منها: أنها سببٌ – غالبًا – لأداء الصلاة في جماعة.

ومنها: فضل المشي إليها، وقد مضى فصلٌ في ذلك.

ومنها: أنَّ مَن صلَّى ثمَّ بقي في مُصَلَّاه، يستمعُ العِلْمَ فلا تزال الملائكة تصلي عليه وتدعوا له وتستغفر له، وتطلب له من الله تعالى الرحمة، وكفى بهذا!.

ومنها: أنه لا يزال في صلاة؛ ما بقي في الحلقة يستمع العِلْم والذِّكْر، إذا كانت الحلقة يعقبها صلاة فرض، وهو ينتظرها.

خيرية وأفضلية من يشهد حِلَق تعليم القرآن الكريم

قال الإمام البخاري *رحمه الله*: (باب خيرُكُم من تعلّم القُرآن وعلّمهُ) (٣).

حدّثنا حجّاجُ بنُ مِنهالٍ حدّثنا شُعبةُ قال أخبرني علقمةُ بنُ مرثدٍ سمِعتُ سعد بن عُبيدة عن أَبِي عبدِ الرّحمنِ السُّلمِيِّ عن عُثمان رضي الله عنه عن النّبِيِّ ﷺ قال: **«خيرُكُم من تعلّم**

(١) رواه مسلم (٢٥١).

(٢) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٣) رقم (٥٠٢٧)، واللفظ الآخر، برقم (٥٠٢٨).

القُرآن وعلّمهُ»، قال وأقرأ أبُو عبدِ الرّحمنِ فِي إمرةِ عُثمان حتّى كان الحجّاجُ، قال: وذاك الّذِي أقعدنِي مقعدِي هذا !.

وفي رواية للبخاري: «**إنّ أفضلكُم من تعلّم القُرآن وعلّمهُ**».

قال الحافظُ ابن حجر رحمه الله: «القُرآن أشرف العُلُوم فيكُون من تعلَّمهُ وعلّمهُ لِغيرِهِ أشرف مِمّن تعلّم غير القُرآن وإنْ علّمهُ، ولا شكّ أنّ الجامِع بين تعلُّم القُرآن وتعلِيمه مُكمِّل لِنفسِهِ ولِغيرِهِ جامِع بين النّفع القاصِر والنّفع المُتعدِّي ولِهذا كان أفضل، وهُو مِن جُملة مَن عنى سبحانه وتعالى بِقولِهِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] والدُّعاء إلى الله يقع بِأُمُورٍ شتّى مِن جُملتها تعلِيم القُرآن وهُو أشرف الجمِيع».

شهود حِلَق العِلْم دليل على إرادة الله تعالى بالعبد خيرًا

قال الإمام البخاري رحمه الله: (باب من يُرِد الله بِهِ خيرًا يُفقِّههُ فِي الدِّين). ثم ساق حديثَ معاوية رضي الله عنه قال سمِعتُ النّبِيّ ﷺ يقُولُ: «**من يُرِد الله بِهِ خيرًا يُفقِّههُ فِي الدِّينِ وإنّما أنا قاسِمٌ والله يُعطِي ولن تزال هذِهِ الأُمّةُ قائِمةً على أمرِ الله لا يضُرُّهُم من خالفهُم حتّى يأتِي أمرُ الله**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ومفهُوم الحديث أنّ مَن لم يتفقّه في الدِّين ـ أي: يتعلّم قواعد الإسلام وما يتّصل بها من الفُرُوع ـ فقد حُرم الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضْل العُلماء على سائر النّاس، ولفضل التّفقُّه في الدِّين على سائر العُلُوم».

قلتُ: الحديث ظاهر في فضل التفقُّه والأمر به، والحث عليه، والترغيب فيه، وذلك يحصل غالبًا في حِلَق العِلْم، فكانت سببًا عظيمًا لإرادة الله تعالى بعبْده خيرًا(٢).

* وقال الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ

---

(١) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) انظر: «الفقيه والمتفقه» (١/ ٧٢).

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

والأقرب أنَّ المقصود بالحكمة هنا: الفهْم في القرآن، والعلم، والفقه في الدِّين، وذلك مستلزم لـ: الإصابة، والعقل، والفهم، والورع، وغير ذلك مما قاله المفسرون، وتخصيصها بـ (النبوَّة) لا وجه له.

قال ابنُ كثير رحمه الله[١]: «الصحيح أنَّ الحكمة ـ كما قالهُ الجمهور ـ لا تختص بالنبوَّة، بل هي أعمّ منها، وأعلاها النبوة، ولكن لأتْباع الأنبياء حظٌّ من الخير على سبيل التَّبع».

* وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم فِي الإِسلَامِ إِذَا فَقِهُوا**»[٢].

مَجَالِس العِلْم والذِّكْر خير من اللهو ومن التجارة

قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧].

قَالَ قَتَادَةُ: (كَانَ القَومُ يَتَّجِرُونَ وَلَكِنَّهُم كَانُوا إِذَا نَابَهُم حَقٌّ مِن حُقُوقِ الله لَم تُلهِهِم تِجَارَةٌ وَلَا بَيعٌ عَن ذِكرِ الله حَتَّى يُؤَدُّوهُ إلى الله)[٣].

اعلمْ أنَّ معْرفة الحقائق من المواهب التي يمنُّ اللهُ به على مَن يشاء من عباده، ومعرفة حقيقة الشيء هو: العلْم التامّ به، والله سُبحانه وتعَالى يقُوْل: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١]. ومَن أحاط معرفةً، وارتوى علمًا بحقيقة (ما عند الله)، بـ: حقيقة الآخرة، والجنة، ومَن تأمَّل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة مما يبيِّن حقيقة السعادة الأُخروية، ولَّدَ لهُ ذلك علما يقينيًا راسخًا، يثمرُ دواعيَ جبّارة، تدعُوا إلى كلِّ خير وفضيلة، وتزجر عن كل شر ورذيلة. والدواعي تشُد القوى، والقلوب ليست سوى.

---

(١) (١/ ٤٢٩).

(٢) البخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٦٣٨).

(٣) علَّقه البخاري قبل حديث (٤٨٩٩).

ولهذا يأمر الله تعالى بتحقيق العلم، بحقيقة الآخرة، وحقيقة الدنيا، حتى يُنزَّل كل في محلِّه ومنزلته، قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٥ – ٨].

ومن هُنا كان العلمُ سرَّ الحياة الحقيقية، والنورَ الذي لا غنى للعبد عنه، وبدونه يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، والشيطان وأعوانه حريصون كل الحرص على تجهيل العبد، وعلى تعظيم الدنيا وزخارفها في نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ومتى علم العبدُ حقيقةَ مجالس العِلْم والذِّكْر، غُرس في قلبه محبتُها، والشوقُ إليها، حتى تصبحَ غذاءَه الذي لا يستغني عنه لتمام حياته.

والعلومُ والفوائد التي يتحصَّل عليها المسلم من مَجَالِس العِلْم، لا تُقدَّر بثمن، ولا يقارن بها حطام الدنيا، لمن عقَل حقيقة الأمرين، وسأذكر لك دليلًا على هذا الذي أقوله، لا يدعُ مجالًا للشك ـ إن شاء الله ـ وهو ما أخرجه الإمام مسلم من حديث عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَنَحنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «**أَيُّكُم يُحِبُّ أَن يَغدُوَ كُلَّ يَومٍ إلى بُطحَانَ أو إلى العَقِيقِ فَيَأتِيَ مِنهُ بِنَاقَتَينِ كَومَاوينِ فِي غَيرِ إثمٍ وَلَا قَطعِ رَحِمٍ**» فَقُلنَا يَا رَسُولَ الله نُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ: «**أَفَلَا يَغدُو أَحَدُكُم إلى المَسجِدِ فَيَعلَمُ أو يَقرَأُ آيَتَينِ مِن كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ خَيرٌ لَهُ مِن نَاقَتَينِ وَثَلَاثٌ خَيرٌ لَهُ مِن ثَلَاثٍ وَأَربَعٌ خَيرٌ لَهُ مِن أَربَعٍ وَمِن أَعدَادِهِنَّ مِن الإِبِلِ**»(١).

وانظر إلى هذا الأسلوب النبوي العظيم، من أساليب الإقناع، يذهب النبي ﷺ إلى

(١) «صحيح مسلم» (٨٠٣).

أهل الصفة، وأنت تعرف من هم أهل الصفة[١]، قوم من المسلمين بلغ بهم الفقر والحاجة مبلغه، مسكنهم المسجد، أكثر أحوالهم الجوع، ترى إلى أي شيء يتطلَّعون؟، حينما أتاهم النبي ﷺ قال لهم ـ بأسلوبه الحكيم ـ أيُّكم يحبُّ أن يذهبَ إلى مكان كذا، ليس بالبعيد! ومع ذلك يرجع بمال جزيل كثير، بدون مشقة ولا إثم؟ لا شك؛ كلُّ أحد يريد ذلك، ولا شك أيضًا أنَّ النبي ﷺ دليلُ آخرةٍ وليس بدليل دُنيا، وإنما أراد التوطئة بمقدمة تهيئ النفوس لفهم واستقبال ما سيطرحه، والاقتناع به، ولما تهيأت نفوسهم لذلك: نقلهم من الحطام الفاني، إلى النعيم الباقي، وذلك دأبه ﷺ في نظائر كثيرة كما قال لهم: «**أَتَدرُونَ مَن المُفلِسُ**» قَالُوا المُفلِسُ فِينَا مَن لَا دِرهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فنقلهم من الفلك الذي هم فيه، إلى الآخرة، فَقَالَ: «**إِنَّ المُفلِسَ مِن أُمَّتِي يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعطَى هَذَا مِن حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ فَإِن فَنِيَت حَسَنَاتُهُ قَبلَ أَن يُقضَى مَا عَلَيهِ أُخِذَ مِن خَطَايَاهُم فَطُرِحَت عَلَيهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٢].

وهنا يقول لهم ﷺ: «**أَفَلَا يَغدُو أَحَدُكُم إِلى المَسجِدِ فَيَعلَمُ أو يَقرَأُ آيَتَينِ مِن كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ خَيرٌ لَهُ مِن نَاقَتَينِ وَثَلَاثٌ خَيرٌ لَهُ مِن ثَلَاثٍ وَأَربَعٌ خَيرٌ لَهُ مِن أَربَعٍ وَمِن أَعدَادِهِنَّ مِن الإِبِلِ!!**».

من أتى حلق العلم ليتعلم أو يُعلِّم فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله

قال الإمام أحمد رحمه الله: حَدَّثَنَا قُتَيبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بنُ إِسمَاعِيلَ عَن حُمَيدٍ الخَرَّاطِ عَنِ المَقبُرِيِّ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَن جَاءَ مَسجِدِي هَذَا لَم يَأتِ إِلَّا لِخَيرٍ يَتَعَلَّمُهُ فَهُوَ بِمَنزِلَةِ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله وَمَن جَاءَ لِغَيرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنزِلَةِ رَجُلٍ**

(١) للسخاوي رحمه الله رسالة «رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة»، مطبوع، وطبع معه رسالة: «أهل الصفة وأحوالهم» للإسكداري، في مجلد بدار السَّلف.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٨١).

يَنظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيرِهِ»[١].

---

(١) أحمد (٢/ ٣٥٠، ٤١٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠٩)، وابن ماجة (٢٢٧)، وأبو يعلى (٦٤٧٢)، والحاكم (١/ ٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٩١)، عن حاتم به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجَّا بجميع رواته، ولا أعلم له علة. كذا قال، ولم يخرج البخاري لحميد.

وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته.

قلت: سنده حسن إن شاء الله، لكن فيه علة، فقد قال الدارقطني في «العلل» (١٠/ ٣٨٠): اختُلف فيه على سعيد المقبري، فرواه أبو صخر حميد بن زياد عن المقبري عن أبي هريرة، وخالفه عبيدُ الله بن عمر فرواه: عن سعيد عن عمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن كعب **قوله**، ورواه ابنُ عجلان عن سعيد المقبري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن كعب قوله، وقول عبيدالله أشبه بالصواب. فرجَّح الموقوف. لكن للحديث شاهد باللفظ، وآخران بالمعنى، تدلُّ على أنَّ له أصلًا مرفوعًا.

أما شاهده باللفظ: فقد قال الطبراني (٦/ ١٧٥/ رقم ٥٩١١): حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني يعقوب بن حميد بن كاسب ثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من دخل مسجدي هذا ليتعلم خيرا أو ليعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه وهو شيء غيره**»، وهذا سند صحيح رجاله ثقات لولا يعقوب بن حميد بن كاسب فإنه مختلف فيه، ولخص الحافظ ابن حجر، فقال: صدوق ربما وهم، ومشى عليه الشيخ الألباني، والذي يظهر أنه ضعيف، لكنه قوي في المتابعات.

وأما شاهدا المعنى فالأول: حديث أبي أمامة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلِّمه كان له كأجْر حاج تامًّا حجتُه**»، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٩٤/ ٧٤٧٣) وفي «مسند الشاميين» (٤٢٣) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧)، وأخرجه الحاكم (١/ ٩١) من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامه به. قال الحاكم: على شرطهما، قال الذهبي: على شرط البخاري.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٢٣): رجاله موثقون. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ٤٦١): إسناده جيد. **قلت**: سنده على شرط البخاري، رجاله ثقات، أخرج البخاري لهذه السلسلة حديثا في الأطعمة باب (ما يقول إذا فرغ من طعامه).

وأما الثاني: فأخرجه الترمذي (٢٦٤٧) فقال: حدثنا نصر بن علي قال حدثنا خالد بن يزيد العتكي =

دعاء الرسول ﷺ لمستمع العِلْم وحافظه ومبلِّغه

أخرجَ الإمامُ أبو داود رحمه الله عَن زَيدِ بنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ الله امرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إِلَى مَن هُوَ أَفقَهُ مِنهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ لَيسَ بِفَقِيهٍ**»(١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**نضَّرَ الله وجْهَ امرئٍ سَمع مقالتي فحمَلها، فرُب حَامل فقهٍ غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله تعالى، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين**»(٢).

قال ابنُ العربي رحمه الله: «هذا دعاءٌ من النبي ﷺ لحامِل عِلْمه، ولابد ـ بفضل الله تعالى ـ مِن نَيل بركَتِه»(٣).

وقال البغوي رحمه الله(٤): «قال أبو سليمان الخطابي: معناه الدعاء له بالنضَارة، وهي: النعمة والبهجة، وقيل: ليس هذا من حُسن الوجه، إنما معناه: حُسْن الجاه والقَدْر في الخلق».

عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه. **قلت**: سنده ضعيف من أجل أبي جعفر، وهو صالح في الشواهد.

(١) أبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجة (٢٣٠)، وسنده صحيح، وهو في «الصحيح المسند» (١/ ٢٩٩) وقال: صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٨٨)، وهو في «الصحيح المسند» (٢/ ٢١٦). وهذا الحديث قد جاء عن جمع من الصحابة، وجمعت فيه أجزاء، جمعَ فيه: أبو عمرو أحمد بن محمد المديني (ت ٣٣٣هـ)، مطبوع بدار ابن حزم، والحافظ الخطيب البغدادي، وكذا الحافظ ابن حجر، ثم الشيخ عبد المحسن العباد انظر: «التعريف بما أفرد من الأحاديث بالتصنيف» (١٥٩).

(٣) «عارضة الأحوذي» (١٠/ ١٢٥).

(٤) «شرح السنة» (١/ ٢٣٦).

حِلَق العِلْم والذِّكْر من أعظم أسباب الرزق

أخرج الإمام الترمذي رحمه الله[١] عن أنسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه قال: كان أخوانِ على عهدِ النّبِيِّ ﷺ، فكان أحدُهُما يأتِي النّبِيّ ﷺ والآخرُ يحترِفُ فشكا المُحترِفُ أخاهُ إلى النّبِيِّ ﷺ، فقال: «**لعلّك تُرزقُ بِهِ**».

حِلَق العِلْم والذِّكْر: رياض الجنة

وهذه فضيلةٌ عظيمة، ومرتبة منيفة، ذِكْرُها يغني عن التعليق عليها! وقد أخبر النبي ﷺ بذلك وهو الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، وذلك في الحديث الآتي:

عن أنسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه أنّ رسُول الله ﷺ قال: «**إذا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجنّةِ فارْتَعُوا**» قالُوا: وما رِياضُ الجنّةِ؟ قال: «**حِلَق الذِّكر**»[٢].

---

(١) في سننه رقم (٢٣٤٥).

(٢) حديث حسن لغيره.

أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠) والترمذي (٣٥١٠) وأبو يعلى (٣٤٣٢) والبيهقي في «الشعب» (٥٢٩) والأصبهاني قوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٦٣) وابن عدي (٦/ ٢١٤٧) من طريق محمد بن ثابت عن أبيه عن أنس به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس.

قلت: وهذا سند ضعيف، محمد بن ثابت بن أسلم، متفق على تضعيفه، والذي يظهر أنه ليس بساقط الاعتبار، بل يصلح في الشواهد والمتابعات، وأشد ما قيل فيه قول ابن معين: ليس بشيء، وهذا محمول على قلة حديثه مع ضعفه، ويؤيده قول الحاكم: هو عزيز الحديث ولم يأت بحديث منكر، وأما قول البخاري: فيه نظر، فليسَ كلُّ مَن قال فيه البخاري: فيه نظر؛ ساقط الحديث لا يعتبر به ـ وإن كان يستعملها في الضعف الشديد ـ لأنَّ أكثر أهل الحديث على تضعيفه ضعفًا منجبرًا، وهذا ما اعتمده الحافظ ابن حجر والله أعلم.

نعم ذكر الترمذيُّ هذا الحديث في «العلل الكبير» (١/ ٣١٣)، وقال: سألتُ محمدًا عن هذه الأحاديث فلم يعرف شيئًا، وقال: لمحمد بن ثابت عجائب.

وقد ذكر ابنُ عدي هذا الحديث في أحاديث أخرى في ترجمته من «الكامل»، وكذا الذهبي في «الميزان»: (٣/ ٤٩٥)، وقال ابن عدي: لا يتابع عليها.

=

قلت: أما هذا الحديث فلعله يعني: من وجه يصح، وإلا فقد وجدتُّ له متابعًا، أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٨٩٠) وأبو نعيم في «الحلية» (تقريب البغية) (٣/ ٣٧٧) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٣) والحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ١٩) من طريق زائدة ابن أبي الرقاد ثنا زياد النميري، عن أنس بن مالك به.

قلت: وزياد بن عبد الله النميري: ضعيف، وزائدة بن أبي الرقاد: أضعف منه، وفي القلب من الاعتضاد به، بل ليس هناك. فهذه المتابعة لا تغني الحديث شيئًا، ونقد العلامة الألباني لهذه الطريق في «الضعيفة» (٣/ ٢٩١) أجود من نقْده لها في «الصحيحة» (٦/ ١/ ١٣١).

وقول الحافظ في «النتائج» (١/ ٢٠): وهي متابعة جيدة. ليس بجيد والله أعلم.

لكن للحديث شواهد، فقد جاء عن أبي هريرة، وجابر، وابن عمر، وابن عباس، ومعاذ، وابن مسعود، وابن عمرو، وأبي الدرداء، ومرسل من مراسيل العلاء بن زياد.

فأما حديث أبي هريرة فأخرجه الترمذي (٣٥٠٩) فقال: حدّثنا إِبراهِيمُ بنُ يعقُوب حدّثنا زيدُ بنُ حُباب أنّ حُميدًا المكِّيّ مولى ابنِ علقمة حدّثهُ أنّ عطاء بن أَبِي رباح حدّثهُ عن أَبِي هُريرة قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**إِذا مررتُم بِرياضِ الجنّةِ فارتعُوا**» قُلتُ يا رسُول الله وما رِياضُ الجنّةِ؟ قال: «**المساجِدُ**» قُلتُ: وما الرّتعُ يا رسُول الله؟ قال: «**سُبحان الله والحمدُ لله ولا إِله إِلّا الله والله أكبرُ**». وقال: هذا حدِيثٌ حسنٌ غرِيبٌ.

قلت: وهذا سند ضعيف، حميد المكي؛ مجهول، وقال البخاري: لا يُتابع على حديثه، والحديث أخرجه محمد بن عاصم الثقفي الأصبهاني في «جزئه» (١١٨): حدثنا زيد بن الحباب به، وأخرجه الحافظ في «نتائج الأفكار» (١/ ٢١ـ٢٢) وقال: رواته ثقات إلا حميد المكي فإنه مجهول، ولم يرو عنه إلا زيد بن الحباب.

وأما حديث جابر: فأخرجه مسدد في «المسند»، وأحمد بن منيع، وعبد بن حميد، والبزار (كما في «المطالب العالية» (٤/ ٢٨ـ ٢٩)، و«إتحاف الخيرة المهرة» (٨/ ٣١٣ـ٣١٤)، وأبو يعلى (٣/ ٣٩٠/ ١٨٦٥)، والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٦٤٤/ ١٨٩١) والحاكم (١/ ٤٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥٢٨)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٦٧)، والحافظ في «نتائج الأفكار» (١/ ١٦) كلُّهم من طريق عمر بن عبد الله مولى غُفرة قال: سمعتُ أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري يقول: قال جابر بن عبد الله: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، إن لله سرايا من الملائكة تحل فتقف على مَجَالِس الذِّكْر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة**». قالوا: وأين رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «**مَجَالِس الذِّكْر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله عز وجل، واذكروه في أنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منزلته حيث أنزله من نفسه**».

=

قال البزار: لا نعلمه يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. فتعقَّبه الذهبي فقال: عمر: ضعيف.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٧٧): فيه عمر بن عبد الله مولى غفرة، وقد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح

قال الحافظ في «النتائج» (١/ ١٨): هذا حديث غريب، وأخرجه الحاكم وصحَّحه فوهم، فإن مداره على عمر بن عبد الله مولى غفرة وهو ضعيف.

وأما حديث ابن عمر: فأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (تقريب البغية (٣/ ٣٧٨)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٣) من طريق محمد بن عبد بن عامر ثنا قتيبة بن سعيد عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذِّكْر**».

محمد بن عبد بن عامر هو السمرقندي، قال الحافظ في «اللسان» (٥/ ٢٧١): معروف بالوضع. قلت: فهو أهلٌ أن يأتي بمثل هذا السند، وله ترجمة في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٨٦) مطولة.

ووقع تحريف في اسمه في بعض نسخ «الحلية»، فلهذا قال الشيخ الألباني *رحمه الله* في «الضعيفة»: (٣/ ٢٩١): لم أعرفه وأخشى أن يكون قد وقع في اسمه تحريف. إلا أنه قوّى أن يكون محمد بن عبد الله بن نمير في «الصحيحة» (٦/ ١/ ١٣١)، وإنما هو من عرفْت، والله تعالى أعلم.

ومثله ما رواه محمَّد بن إسحاق الصيرفي يعرف بأبي ذر عن علي بن معبد بن نوح عن علي بن معبد بن شداد عن مالك عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**». قال الدارقطني في «غرائب مالك»: هذا باطل موضوع وأبو ذر هذا كان ضعيفًا. «لسان الميزان» (٥/ ٧٣).

وأما حديث ابن عباس: فأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٩٥رقم١١١٥٨) فقال: حدثنا الحسن بن علي المعمري ثنا أحمد بن العباس صاحب الشامة ثنا الحارث بن عطية ثنا بعض أصحابنا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قيل يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: «**مَجَالِس العِلْم**».

قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٣٥): أخرجه الطبراني في «الكبير» وفيه رجل لم يسم

وأما حديث معاذ: فأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٠٢/ ٩٥٠٦) ومن طريقه الطبراني (٢٠/ ١٥٧ / ٣٢٦) وإسحاق في «مسنده» ومن طريقه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٣٣) كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي ثنا أبو عبد الله القراظ عن معاذ رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: «**منْ أحبّ أنْ يرْتع فِي رِياضِ الْجنّةِ، فلْيُكْثِرْ ذكر الله**».

قلت: موسى بن عبيدة شديد الضعف، وبه أعله الحافظ ابن حجر، وكذا العراقي في «المغني عن

=

حمل الأسفار» (١/ ٢٤١)، وأبو عبد الله القراط هو دينار، وقد تصحف إلى القراط في جميع المصادر، وحديثه محتج به، إلا أنه يرسل ولا يدرى أسمع من معاذ أم لا؟.

وأما حديث عبد الله بن عمرو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٤)، فقال: أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، نا أبو عثمان سعيد بن عثمان الحمصي بحمص، نا عبيد بن جناد، ثنا عطاء بن مسلم الحلبي، عن زيد العمي، عن القاسم يعني ابن محمد عن عبد الله يعني ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» - يعني: حِلَق الذِّكْر - «**أما إني لا أقول حِلَق القصاص ولكن حِلَق الفقه**».

قلت: وهذا سند ضعيف، عطاء بن مسلم هو الخفاف نزيل حلب: ضعيف. وزيد العمي هو ابن الحواري البصري؛ ضعيف أيضًا.

قال الخطيب: كذا روى هذا الحديث الأصم بهذا الإسناد، وعلى هذا اللفظ، وروي عن موسى بن مروان الرقي عن عطاء بن مسلم بخلافه، ثم قال: أخبرناه أبو القاسم علي بن الحسن بن محمد بن أبي عثمان الدقاق، أنا أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن البواب، نا أبو محمد بن الربيع الأنماطي، نا عمر بن شبة، نا موسى بن مروان، نا عطاء بن مسلم، عن زيد بن حبان، عن القاسم بن الوليد، قال: قال **عبد الله بن مسعود** قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا أما إني لا أعني حِلَق القصاص ولكني أعني حِلَق الفقه**». **قلت**: عبيد بن جناد الحلبي -في السند الأول- وموسى بن مروان الرقي -في السند الثاني-: صدوقان، قاله أبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل»، والتخليط من عطاء الخفاف نفسه، فإنه ضعيف كما تقدَّم، قال الإمام أحمد: عطاء بن مسلم: مضطرب الحديث، وقال ابن حبان: دفنَ كتبه، ثم جعل يحدِّث، فيخطئ فبطل الاحتجاج به. انتهى من «إكمال تهذيب الكمال» (٩/ ٢٥٢). وشيخه زيد بن حبان: ضعيف أيضًا.

وأما حديث أبي الدرداء: فأخرجه ابنُ الجوزي في كتابه «القصَّاص والمذكِّرين» (١/ ١٩٦)، فقال: أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي قال أخبرنا الحسن بن الحسين بن دوما قال أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرحي قال أخبرنا الحسن بن علي القطان قال أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال أخبرنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي قال أخبرنا جعفر بن الحارث عن شهر بن حوشب أنه قال دخل أبو الدرداء ذات يوم مسجد بيت المقدس فإذا بقوم يذكِّرُهم مذكِّرٌ لهم قد رفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء، فقال أبو الدرداء بأبي وأمي النواحون على أنفسهم قبل يوم النوح، ثم قال يا ابن حوشب عجِّل بنا حتى نأتي هؤلاء، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا**» قلنا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذِّكْر فوالذي نفسي بيده ما اجتمع قوم على ذكر الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده فإذا أرادوا أن يقوموا، ناداهم مناد أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات**» ثم انطلق إلى القوم فجلس إليهم رغبةً في

=

والرتع: التوسعة والاطمئنان، كما في قول إخوة يوسف: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾، فشبه الخوض في ذكره تعالى بالرتع في الخصب. كما هي عادة الناس إذا خرجوا إلي الرياض والبساتين. أي: تبسّطوا واهنأوا في هذه الرياض، الموصلة إلى الجنة.

وأشار الحديث إلى أنَّ في الدنيا رياضًا لا يدخل المؤمن رياض الجنة حتى يدخلها، كما أن في الدنيا نعيمًا لا يذوق نعيم الآخرة حتى يذوقَه في الدنيا.

قال الصنعاني *رحمه الله*: «سماها رياض الجنة لأنها سبب لسكونها أو لأنه يحصل لحاضرها والمقيم بها من الارتياح وانتشاط القلب واطمئنانه به ما يحصل لأهل رياض الجنة، كما قال بعضُ الصالحين: إنها لتمر بي ساعات، أقول إنْ كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش طيب»[1].

مجلسهم.

وهذا سند تالف، جعفر بن الحارث هو الواسطي أبو الأشهب: ضعيف، ومثله: شهر بن حوشب، ولم يسمع من أبي الدرداء، قاله أبو حاتم، كما في «تحفة التحصيل» (١٤٩)، وإسحاق بن بشر: كذاب، راجع له «اللسان».

وأما مرسل العلاء بن زياد: فأخرجه مسدد في «المسند» كما في «المطالب العالية» (٤/ ٢٩/ ٣٤٠٨)، و«إتحاف الخيرة» (٨/ ٣١٤)، قال: ثنا المعتمر ثنا أبي عن قتادة عن العلاء بن زياد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «**تبادروا رياض الجنة**»، قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذِّكْر**».

قال البوصيري: هذا إسناد رواته ثقات.

قلت: هو كما قال، وقد رمي سليمان بن طرخان بالتدليس، ولا يضر فإنه من الطبقة الثانية، حسب تصنيف الحافظ، وكذا القول في عنعنة قتادة؛ فإنها مغتفرة عند الأئمة، راجع «النصيحة» للعلامة الألباني *رحمه الله* (١٠٩ ـ ١١٠).

فالخلاصة أنَّ الحديث حسن لغيره، بمجموع حديث أبي هريرة وجابر ومرسل العلاء، وحديث أنس أيضا في الباب، وما عدا ذلك فشديد الضعف، والله أعلم.

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٢١٥- ٢١٦).

الفَصْلُ الثَّانِي

أَثَرُ مَجَالِسِ العِلْمِ وَالذِّكْرِ عَلَى مَنْ يَشْهَدُهَا

قد مضَى شذراتٌ مهمةٌ متفرِّقة من مقاصد هذا الفصل، ونفرد هنا بعض الآثار العظيمة التي تؤكِّد على أهمية العناية بمجالس العلم وحِلَق الذِّكْر، وتمثِّلُ في نفس الوقت شطرًا جديدًا من فضَائلها وثمراتها.

وتلخص مقاصد هذا الفصل في الفقرات الآتية:

- **حِلَق الذِّكْر ترقِّق القلوب، وتورثُ الخشية والرقة.**

- **حِلَقُ الذِّكْر ومجَالس العِلْم تقوِّي الإيمان.**

- **مَجَالِس العِلْم والذِّكْر ترفع العبد إلى مرتبة الإحسان.**

- **نموذج عظيم : غلام يتردَّد على مجلس علم.**

حِلَق الذِّكْر ترقق القلوب، وتورث الخشية والرقة

أخرج الإمام الترمذي *رحمه الله* عن العِرباضِ بنِ سارِية رضي الله عنه قال: **وعظنا رسُولُ الله ﷺ يومًا بعد صلاةِ الغداةِ موعِظةً بليغةً ذرفت مِنها العُيُونُ ووجِلت مِنها القُلُوبُ** فقال رجُلٌ إنّ هذِهِ موعِظةُ مُودِّعٍ فماذا تعهدُ إلينا يا رسُول الله قال: «**أوصِيكُم بِتقوى الله والسّمعِ والطّاعةِ وإن عبدٌ حبشِيٌّ**(١) **فإنه من يعِش مِنكُم يرى اختِلافًا كثِيرًا وإِيّاكُم ومُحدثاتِ الأُمُورِ فإنها ضلالةٌ فمن أدرك ذلِك مِنكُم فعليهِ بِسُنّتِي وسُنّةِ الخُلفاءِ الرّاشِدِين المهدِيِّين عضُّوا عليها بِالنّواجِذِ**»(٢).

في هذا الحديث فوائد وفضائل كثيرة:

أولـها: التأثر بالمواعظ والتذكير، وهذه صِفة الصالحين، التأثُّر بالمواعظ، والتفاعل معها، بحيث يخشع قلبُه، وتذرف عيناه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣].

ثانيها: أن حِلَق الذِّكْر ومجالس العلم ليس لها وقت محدد معين لا تصلح إلا فيه، لكن

---

(١) قال البغوي *رحمه الله*: «يريد به طاعة من ولاه الله تعالى، وإن كان عبدًا حبشيًا، ولم يُرد أن يكون الإمام عبد حبشي، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال «**الأئمة من قريش**» [انظر «صحيح البخاري» باب: (مناقب قريش)، ح: ٣٥٠١، ٣٥٠٠، و«الجامع الصحيح» (٤/ ٥٦١) لأدلة هذا الموضوع]، أو ذكر ذلك على طريق ضرب المثل، فإن المثل قد يضرب في الشيء بما لا يكاد يصحّ في الوجود كقوله ﷺ «**من بنى مسجدا لله كمفحص قطاة..**» [أحمد (١/ ٢٤١)] «شرح السنة» (١/ ٢٠٦).

(٢) الترمذي (٢٦٧٦).

ينبغي أن يراعى لها وقت فراغ البال عن الأثقال والأشغال، حتى يقبل المستمعون على العلم بقلوبهم.

ثالثها: أنه ينبغي على الداعي والمعلم أنْ يُخلص في دعوته وتعليمه، وأن يبذل قصارى جهده ووسعه، حتى ينفعَ الله بذلك الجهد، ومع ذلك يحاول جاهدًا أن يدفع عن نفسه وساوس الشيطان، وحظوظ النفس.

فإن النبي ﷺ اجتهد في موعظته حتى ظنُّوا أنه يودِّعهم! فطلبوا منه أن يوصيهم.

رابعها: أنه ينبغي أن تشتمل المواعظ والدروس على التحذير من البدع، والتنفير عنها، والأمر بلزوم السنة والجماعة، والتأكيد على أهمية السير في خط السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

فكلُّ خير في اتباع من سلف ... وكلُّ شرٍّ في ابتداع من خلف

حِلَقُ الذِّكْر ومجَالس العِلْم تقوِّي الإيمان

قال الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله[(١)]: حدثنا وكيع قال: حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال المحاربي قال: قال لي معاذ رضي الله عنه: **(اجلس بنا نؤمن ساعة - يعني نذكر الله)**.

قال: حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال: قال كان معاذ رضي الله عنه يقول لرجل من إخوانه: **(اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان يتذاكران الله ويحمدانه)**.

سنده صحيح، وصحَّح إسناده الحافظ في «الفتح»[(٢)] حيث علَّقهُ البخاري.

وقد وردَ نحوه عن عبدالله بن رواحة، أخرجه أحمد[(٣)] في «المسند» من حديث أنس،

---

(١) «المصنف» (١١/ ٢٥).

(٢) (١/ ٤٨).

(٣) (٣/ ٢٦٥).

وفيه حديث مرفوع، ولفظه: قال كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجلَ من أصحابه يقول: **(تعال نؤمن بربنا ساعة)** فقال ذات يوم لرجل؛ فغضب الرجل! فجاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبي ﷺ: «**يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تباهى بها الملائكة عليهم السلام**».

وسنده ضعيف، فيه: زياد بن عبد الله النميري، وعمارة بن زاذان، وكلاهما ضعيف.

مَجَالِس العِلْم والذِّكْر ترفع العبد إلى مرتبة الإحسان

أخرج الإمام مسلم *رحمه الله* عن أَبِي عُثمان النّهدِيِّ *رحمه الله* عن حنظلة الأُسيِّدِيِّ رضي الله عنه قال: وكان مِن كُتّابِ رسُولِ الله ﷺ – قال: لقِينِي أَبُو بكرٍ فقال: كيف أنت يا حنظلةُ؟ قال قُلتُ: نافق حنظلةُ! قال سُبحان الله! ما تقُولُ؟ قال قُلتُ: نكُونُ عِند رسُولِ الله ﷺ يُذكِّرُنا بِالنّارِ والجنّةِ حتّى كأنّا رأيُ عينٍ فإذا خرجنا مِن عِندِ رسُولِ الله ﷺ عافَسْنَا الأزواج والأولاد والضّيعاتِ فنسِينَا كثِيرًا، قال أَبُو بكرٍ: فوالله إِنّا لنلقى مِثل هذا، فانطلقتُ أنا وأَبُو بكرٍ حتّى دخلنا على رسُولِ الله ﷺ قُلتُ نافق حنظلةُ يا رسُول الله! فقال رسُولُ الله ﷺ: «**ومَا ذاك**» قُلتُ يا رسُول الله نكُونُ عِندك تُذكِّرُنا بِالنّارِ والجنّةِ حتّى كأنّا رأيُ عينٍ فإذا خَرجْنا مِن عِندِك عافَسْنَا الأزواج والأولاد والضّيعَاتِ نسِينَا كثِيرًا، فقال رسُولُ الله ﷺ: «**والّذِي نفسِي بِيدِهِ إِن لو تدُومُون على ما تكُونُون عِندِي وفِي الذِّكر لصافحتكُم الملائِكةُ على فُرُشِكُم وفِي طُرُقِكُم ولكِن يا حنظلةُ ساعةً وساعةً**»[(١)].

وإنما كان هذا أثرها لأنها مَجَالِس تذكِّر الآخرة، والجنة والنار، حتى كأنَّ مَن يشهدها يرى ذلك رأي العين، وهي تقوي مراقبة العبد لربه، وخوفه منه، وشدَّة رغبته فيما عنده، وشعوره باطلاع الله عليه في سائر أحواله. بالإضافة إلى أنها تهدي الضال، وتنبه الغافل، وتذكِّر بالله عز وجلّ.

---

(١) مسلم (٢٧٥٠).

وسبَقَ أنَّ مِن آثارها محبة الله لأهلها، ومغفرته لهم، وأنَّ يُباهي بأهلها ملائكتَه المسبِّحة بقُدْسه، مع ما لهم من الأجُور العظيمة من شهودها، والعلم والفقه في الدِّين الذي هو سبب رفعة العبد في الدنيا والآخرة، والقرب من الله تعالى، وفيها مجالسة للصالحين الذين يكسب من خيرهم وعلْمهم ونُصْحهم ودُعَاءهم.

نموذج عظيم : غلام يتردَّد على مجلس علم

وهذا خبر صحيح عن قصة عظيمة، مليئة بالعظات والعبر، يخبرنا بها رسول الله ﷺ، عن غُلام يشهدُ مجلسَ عِلم، فينفعه الله عز وجلَّ بذلك، ويرفعُه ويُكرمه، ويقوِّيه ويُثبِّته، ويحفظه ويحوطُه، ثم يكون سببًا في إسلام أمم من النَّاس!.

إنَّ مبدأ هذا الخير كلَّه: شهودُ ذلك الغلام مجلس علم أعجبَهُ، فتردَّد عليه، واستفاد منه، فكان وراءه: سعادته وسعادة أمة كاملة من النَّاس!. فتأمَّل.

أخرج الإمام مسلم رحمه الله[1]: **عَن صُهَيبٍ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَن كَانَ قَبلَكُم وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلمَلِكِ إِنِّي قَد كَبِرتُ فَابعَث إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمهُ السِّحرَ فَبَعَثَ إليه غُلَامًا يُعَلِّمُهُ **فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إليه وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعجَبَهُ** فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إليه فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إلى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُل حَبَسَنِي أَهلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهلَكَ فَقُل حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَد حَبَسَت النَّاسَ فَقَالَ اليَومَ أَعلَمُ آلسَّاحِرُ أَفضَلُ أَم الرَّاهِبُ أَفضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللهمَّ إِن كَانَ أَمرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيكَ مِن أَمرِ السَّاحِرِ فَاقتُل هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأخبرهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَي بُنَيَّ أَنتَ اليَومَ أَفضَلُ مِنِّي قَد بَلَغَ مِن أَمرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبتَلَى فَإِن ابتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الغُلَامُ يُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائِرِ الأَدوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلمَلِكِ كَانَ قَد عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ

(١) «صحيح مسلم» (٣٠٠٥).

فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجمَعُ إِن أَنتَ شَفَيتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشفِي الله فَإِن أَنتَ آمَنتَ بِالله دَعَوتُ الله فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِالله فَشَفَاهُ الله فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إليه كَمَا كَانَ يَجلِسُ فَقَالَ لَهُ المَلِكُ مَن رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيرِي قَالَ **رَبِّي وَرَبُّكَ الله** فَأَخَذَهُ فَلَم يَزَل يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلَامِ فَجِيءَ بِالغُلَامِ فَقَالَ لَهُ المَلِكُ أَي بُنَيَّ قَد بَلَغَ مِن سِحرِكَ مَا تُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ وَتَفعَلُ وَتَفعَلُ فَقَالَ **إِنِّي لَا أَشفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشفِي الله** فَأَخَذَهُ فَلَم يَزَل يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارجِع عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالمِئشَارِ فَوَضَعَ المِئشَارَ فِي مَفرِقِ رَأسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارجِع عَن دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ المِئشَارَ فِي مَفرِقِ رَأسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارجِع عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصحَابِهِ فَقَالَ اذهَبُوا بِهِ إلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصعَدُوا بِهِ الجَبَلَ فَإِذَا بَلَغتُم ذُروَتَهُ فَإِن رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاطرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ فَقَالَ اللهمَّ اكفِنِيهِم بِمَا شِئتَ فَرَجَفَ بِهِم الجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمشِي إلى المَلِكِ فَقَالَ لَهُ المَلِكُ مَا فَعَلَ أَصحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ الله فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصحَابِهِ فَقَالَ اذهَبُوا بِهِ فَاحمِلُوهُ فِي قُرقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحرَ فَإِن رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاقذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللهمَّ اكفِنِيهِم بِمَا شِئتَ فَانكَفَأَت بِهِم السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمشِي إلى المَلِكِ فَقَالَ لَهُ المَلِكُ مَا فَعَلَ أَصحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ الله فَقَالَ لِلمَلِكِ إِنَّكَ لَستَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصلُبُنِي عَلَى جِذعٍ ثُمَّ خُذ سَهمًا مِن كِنَانَتِي ثُمَّ ضَع السَّهمَ فِي كَبِدِ القَوسِ ثُمَّ قُل بِاسمِ الله رَبِّ الغُلَامِ ثُمَّ ارمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلتَ ذَلِكَ قَتَلتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهمًا مِن كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهمَ فِي كَبِدِ القَوسِ ثُمَّ قَالَ بِاسمِ الله رَبِّ الغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهمُ فِي صُدغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدغِهِ فِي مَوضِعِ السَّهمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ فَأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيتَ مَا كُنتَ تَحذَرُ قَد وَالله نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَد آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالأُخدُودِ فِي أَفوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّت وَأَضرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَن لَم يَرجِع عَن دِينِهِ فَأَحمُوهُ فِيهَا أو قِيلَ لَهُ اقتَحِم فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَت امرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَت أَن تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الغُلَامُ يَا أُمَّه اصبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ».

قال القرطبي رحمه الله[1]: «ذكرَ رسولُ الله ﷺ هذا الحديث في معرض الثناء على الراهب والغلام، على جهة الاستحسان لما صدر منهما».

وقال رحمه الله: «وهذا الحديث كلُّه إنما ذكره النبي ﷺ لأصحابه ليصبروا على ما يلقون من الأذى ومن الآلام والمشقَّات التي كانوا عليها، ليتأسَّوا بمثل هذا الغلام في صبْره وتصلُّبِه، في الحق، وتمسُّكه به، وبذْله نفسه في حقِّ إظهار دعوته، ودخول النَّاس في دين الله تعالى، مع صِغَر سنِّه وعظيم صبره.

وكذلك الراهب صبَر على التمسُّك بالحقِّ حتى نُشر بالمنشار، وكذلك كثير من النَّاس، لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار، ولم يرجعوا عن دينهم».

(١) «المفهم» (٤٢٤ ـ ٤٢٦).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

فَضْلُ التَّعْلِيْمِ وَالوَعْظِ وَالتَّذْكِيْرِ

وهذا الفصْل المهمّ أوجِّهه لمحْور ارتكاز مجالس العلم، وحِلَق الذِّكر، أعني: **الشيوخ المعلمين، والمذكِّرين الواعظين** ، عسى أنْ تبعثَ هذه النبذة المختصرة في فضل مَن علَّم الناس وذكَّرهم ووعظَهُم، وأمرَهم بالمعروف ونهاهُم عن المنكر: تبعث همَّةً ، وتكون دافعًا للجلوس للناس وإفادتهم.

وأنبِّه إلى أنه: لابدَّ للناس مِن تعاهُدهم وترويضهم وتعويدهم على مجالس الذِّكر والعلْم قبل أن تثقل عليهم، وتقسُوا قلوبهم، وتصبح تلك المجالس مبغوضَةً لهم، تنفرُ منها نفوسُهم، وتشمئز منها طباعُهم. ولعمرو الله إنَّ هذا لأمر ملاحظ لا يختلف عليه اثنان، ففي كثير من البلدان حيث يكسلُ فيها أهلُ العلم والشيوخ والوُعَّاظ، برهةً من الزمان، حتى إذا ارتفعَتْ منهم السِّنة، وانكشفت عنهم البطالة، فعاود أهلُ التعليم نشاطَهم لم يكادُوا يجدوا مَن يسمعُ لهم، أو يلتفّ حولهم، إذ قد اعتاد الناس غير ما يَرومُونه منهم، وأَلِفُوا غير ما يطرحُونه لهم، لغلبة الشهوات، وكثرة المغريات، فيصبح ترويضهم بعيد المنال، إلا أنْ يشاء الله الكريم المتعال.

* **وتلخَّص مقاصد هذا الفصل في ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: فضل العِلْم والتعليم.

المبحث الثاني: فضل التذكير بالله تعالى، ومجالس الوعظ.

المبحث الثالث: نماذج من اهتمام السلف بمجالس العِلْم وحلق الذِّكْر.

المبحث الأول: فضل العِلْم والتعليم

قد تكَاثرتْ الآياتُ والأخبارُ والآثارُ وتواترتْ، وتطابقت الدلائِل الصَّريحة وتوافَقت، على فَضيلة العِلْم والحث على تحصيله، والاجْتهاد في اقتباسه وتَعليمه.

وقد أكثر العُلماءُ من التَّصنيف، في فَضْل العِلْم، وجمْعِ ما يدلُّ على ذلك، بالتصانيف المفردة، بل إنَّ (كتاب العِلْم) أحد الكتب أو الأبواب، التي لا يخلوا منها مُصنَّف من أمهاتِ الكتب!.

ومنزلة العلم وأهلِه، متى عرفها عاقلٌ؛ لم يألُ جهدًا في الازدياد منه، والتنقيب عنه، والصبر من أجله، وبذل النفس، والنفيس في سبيل تحصيلِهِ.

ولهذا رأيتُ بعد أن ذكرت نبذةً من فضائل حِلَق العِلْم، أنْ أنوِّه بشَأْنه بإشارات، وأُهيبُ بفضله بعبارات، تشحذُ الهمم نحْوَ مَجَالسه، وتصقُل العزيمة صَوْبَ مَدارسِه.

ونظرتُ في الكتب المُشار إليها آنفا، فكان من أحسن من تكلَّم عن فضائل العِلْم؛ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في كتابه: «مفتاح دار السعادة»، فكان مما قال:

* **فمِن أوْجه فَضل العِلْم وأهله**: أنَّه سبحانه أمرَ نبيَّه أنْ يسأله المزيد من العِلْم فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وكَفَى بهذا شرفًا للعلم، أنْ أَمر نبيَّه ﷺ أن يسألَه المزيد منه.

* **ومنها**: أنه سُبحانه أخبر عن رفعة دَرجات أهل العِلْم من أهل الإيمان خاصَّة، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

* **ومن فضَائل العِلْم وأهله**: أنَّه سُبحانه نفَى التسوِيَة بين أهله وبين غَيرِهم، كما نَفى التسْوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩] كما قال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠]، وهذا يدل على غاية فضْلِهم وشَرِفِهم.

* **ومنها**: أنَّه سُبحانه أخبر أنَّ أهل العلم هم أهلُ خشيته، بل خَصَّهم من بين النَّاس بذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، وهذا حصْر لـ [كمال]

خشيته في أُولى العِلْم.

* **ومن فضائله**: أنه سُبحانه عدَّد نعمَه وفَضْله على رسُوله، وجعَل من أجلِّها أنْ آتاهُ الكتابَ، والحكْمةَ، وعلَّمهُ ما لم يكُن يعلم، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

* **ومنها**: أنه سُبحانه ذكَّر عبادَه المؤمنين بهذه النِّعمة، وأمرَهم بشُكْرها، وأنْ يَذكُروه على إِسْدَائها إليهم، فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١، ١٥٢].

* **ومنها**: أن الله عز وجل استشهد بأهل العِلْم على أجلِّ مشهودٍ به، وهو التوحيد، وقَرَن شهادتَهم بشهادته، وشهادة ملائكته وفي ضمْن ذلك تعديلهم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

* **ومنها**: أنه سُبحانه شَهد لمن آتاه العِلْمَ، بأنَّه قد آتاه خيرًا كثيرًا، فقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

* **ومن فضائله**: أنَّ العِلْم حياةٌ ونور، والجهلَ موتٌ وظُلمة، والشَّر كلُّه سببُه عدمُ الحياة والنور، والخيرُ كلُّه سببه النور والحياة، فإنَّ النور يكشفُ عن حقائقِ الأشياء، ويبين مراتبها، والحياةُ هي المُصَحِّحَة لصفات الكمال، الموجبة لتسديد الأقوال والأعمال، فكلَّما تصرَّف من الحياة فهو خيرٌ كله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، فأخبر أنَّه رُوحٌ تحصُل به الحياة، ونورٌ يحصل به الإضاءة، فجمَع العلمُ بين الأصلين، الحياة والنور.

* **ومنها**: أن العِلْم يَشرحُ الصدرَ ويوسِّعُه، حتى يكون أوسَع من الدنيا، والجهْل يورِثه الضِّيْقَ والحصْر والحبْس، فكلما اتسع علمُ العبد انشرح صدرُه واتسع، وليس هذا لكل علْم؛ بل للعلم الموروث عن الرسول ﷺ، وهو العِلْم النافع، فأهلُه أشرح النَّاس صدرًا، وأوسعهم قلوبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

* **ومن فضائل العلم**: ما في الصَّحيحين من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن يُرِد الله بِهِ خَيرًا يُفَقِّهه فِي الدِّينِ**»[1]، وهذا يدُلُّ على أنَّ من لم يُفقِّهه في دينه؛ أنه لم يُرد به خيرًا، كما أنَّ مَن أراد به خيرًا فقَّهه في دينه.

* **ومنها**: ما في الصحيحين[2] أيضا من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ الله بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن الهُدَى وَالعِلمِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرضًا فَكَانَت مِنهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَت المَاءَ فَأَنبَتَت الكَلَأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ وَكَانَ مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَت المَاءَ فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنهَا وَسَقَوا وَرَعَوا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنهَا أُخرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً وَلَا تُنبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَى الله الَّذِي أُرسِلتُ بِهِ**».

شبَّه ﷺ في هذا الحديث، العِلْمَ والهدى -الذي جاء به- بالغيث، لما يحصُل بكل واحد منهما من الحياة، وشبَّه القلوبَ بالأراضي التي وقع عليها المطر، لأنَّها المحلُّ الذي يُمسك الماء، فينبتُ سائر أنواع النبات النافع، كما أنَّ القلوب تعي العِلْم فيُثمر فيها، ويزكُو وتظهَر بركتُه وثمرتُه.

واشتمل هذا الحديث الشريف العظيم على: التنبيه على شرَفِ العِلْم والتعليم، وعِظَم موقعه، وشَقاء من ليس من أهْله، وذَكَر أقسَام بني آدم بالنِّسبة فيه إلى: شقيِّهم وسَعيدِهم، وتَقَسَّم سعيدُهم إلى: سَابقٍ مقرَّب، وصاحبِ يمين مُقتصد.

وفيه دلالة على أنَّ حاجةَ العباد إلى العِلْم كحَاجتهم إلى المطر بل أعظَم، وأنَّهم إذا فقدوا العِلْم، فهم بمنزلة الأرض التي فَقدت الغيثَ، قال الإمامُ أحمد: النَّاس محتاجون إلى العِلْم أكثر من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب، لأنَّ الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس.

---

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

* **ومما يدل على فضل العِلْم وأهله**: ما في «الصحيحين»(١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «**لأَنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَك من حُمْر النَّعَم**».

وهذا يدُلُّ على فضْل والتعليم، وشرَف منزلة أَهْلِه، بحيث إذا اهتدَى رجُلٌ واحدٌ بالعالِم، كانَ ذلك خيرًا لهُ من حُمْر النَّعم، وهي خيارُها وأشرفُها عند أهلها، فما الظَّن بمن يهتدِي به كل يوم طوائفُ من النَّاس.

* **ومن ذلك**: ما روى الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِن الأَجرِ مِثلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ لَا يَنقُصُ ذَلِكَ مِن أُجُورِهِم شَيئًا وَمَن دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيهِ مِن الإِثمِ مِثلُ آثَامِ مَن تَبِعَهُ لَا يَنقُصُ ذَلِكَ مِن آثَامِهِم شَيئًا**»(٢).

يُخبر ﷺ أنَّ المتسببَ إلى الهدى بِدعْوَتِه؛ له مِثل أجْر مَن اهتدَى به، والمتسبب إلى الضَّلالة بدعوتِه، عليه مثل إِثْم من ضلَّ به، لأَنَّ هذا بَذَل قُدرتَه في هداية النَّاس، وهذا بذَلَ قُدرته في ضلالتهم، فنُزِّل كل واحد منهما بمنزِلَة الفاعل التام، **وهذه قاعدة الشريعة**، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٣].

وهَذا يدُلُّ على: أنَّ مَن دعا الأمَّة إلى غيرِ سُنة رسول الله ﷺ، فهو عَدوُّهُ حقًا، لأَنَّه قَطعَ وُصولَ أَجرِ مَن اهتدَى بسُنته إليه، وهَذا مِن أَعظَم مُعاداتِه، نَعوذُ بالله من الخذلان.

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثنَتَينِ رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ الله حِكمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(٣).

---

(١) البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) مسلم (٢٦٧٤).

(٣) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، والمراد بالحسد هنا: الغبطة، وهي: أن يتمنى مثله. ومعناه =

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انقَطَعَ عَنهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَهُ**»(١).

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَبتَغِي فِيهِ عِلمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلمِ وَإِنَّ العَالِمَ لَيَستَغفِرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ وَفَضلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ إِنَّ الأَنبِيَاءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلمَ فَمَن أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢).

تضمن هذا الحديث: تَعظيم الملائكة لطالب العلم، وحبها إياه، وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العِلْم إلا هذا الحظ الجزيل، لكفى به شرفا. وتضمن أيضًا فضل معلِّمي الناس الخير، وكرمه على الله وعلى خلقه، ورفيع منزلته لتعليمه الناس ما ينفعهم.

قال القرطبي رحمه الله(٣): «وهذا حديث عظيم، يدلُّ على أن طلبَ العلم أفضلُ الأعمال، **وأنَّه لا يبلغُ أحدٌ رُتبةَ العلماء، وأنَّ رتبتهم ثانيةً عن رتبة الأنبياء**».

وقوله ﷺ: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»، هذا مِن أعظم المناقِب لأَهل العِلْم، فإِنَّ الأنبياء خيرُ خلْق الله، فورثتُهم خيرُ الخلق بعدَهم، ولما كان كل موروث يَنتقِل ميراثُه إلى ورثته ـ إذْ هم الذين يقومون مقامه من بعده ـ ولم يكن بعد الرسُل مَن يقومُ مقامَهم في تبليغ ما أُرسلوا به؛ إلا العلماء: كانوا أحقَّ النَّاس بميراثهم.

ينبغي أن لا يُغبط أحد إلا في هاتين الخصلتين الموصلتين إلى رضاء الله تعالى.

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجة، وابن حبان (٨٨)،و غيرهم، وفي إسناده ضعف، وأعله بعضهم بالاضطراب، قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٦٠): لكن له شواهد يتقوى بها قلت: وهو كذلك، فما من فقرة من فقراته إلا ولها شاهد، وحسَّن الحديث ابن القيم، واحتج به ابن كثير، وصححه العلامة الألباني، رحم الله الجميع.

(٣) «المفهم» (٦/ ٦٨٥).

وفي هذا تنبيه على أنَّهم أقرب النَّاس إليهم، فإنَّ الميراثَ إنما يكون لأقرب النَّاس إلى الموروث، وهذا كما أنَّه ثابت في ميراث الدِّينار والدرهم، فكذلك هو في ميراثِ النُّبوة، والله يختص برحمته من يشاء.

* وأسند الإمام الدارمي ـ رحمه الله ـ عَن وَهبِ بنِ مُنَبِّهٍ رحمه الله قَالَ: **(مَجلِسٌ يُتَنَازَعُ فِيهِ العِلم أَحَبُّ إليّ مِن قَدرِهِ صَلاةً، لَعَلَّ أَحَدَهُم يَسمَعُ الكَلِمَةَ فَيَنتَفِعُ بِهَا سَنَةً أو مَا بَقِي مِن عُمُرِهِ)**[١].

* وقال الإمام الدارمي: أخبرنَا يعقُوبُ بنُ إبراهيمَ أخبرنَا وَكيعٌ قَال: قَال سُفيَان رحمه الله: **(مَا أَعلَمُ عَمَلاً أَفضَلَ مِن طَلَبِ العِلم وَحِفظِهِ لِمَن أَرَادَ اللهَ بِهِ)**[٢].

قال الإمامُ ابن حزْم رحمه الله[٣]: «لو لم يكن من فائدة العِلْم والاشتغال به، إلا أنَّه يقطعُ المشتغلَ به عن الوساوس المضنية، ومَطارح الآمال التي لا تُفيد غيرَ الهمّ، وكِفاية الأفكار المؤلمة للنَّفس: لكانَ ذلك أعظم داع إليه، فكيفَ وله من الفضائل ما يطول ذكره! ومن أقلها مَا ذكرنا مما يحصل عليه طالبُ العِلْم، وفي مثله أتعبَ ضُعفاء الملوك أنفسَهم، فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج، والنرد، والخمر، والأغاني، وركض الدواب في طلَب الصيد، وسائر الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والآخرة، وأما فائدة؛ فلا فائدة، لو تدبَّر العالم في مرور ساعاته، ماذا كفاه العِلْم من الذُّل بتسلط الجُهَّال، ومن الهمِّ بمغيب الحقائق عنه، ومن الغِبطَة بما قد بان له وجهُه من الأمور الخفية عن غيره، ، لزاد حمدًا لله، عز وجل وغِبطة بما لديه من العِلْم، ورَغبة في المزيد منه».

وقال الماوردي رحمه الله[٤]: «اعلَم أَنَّ العِلْم أَشرَفُ مَا رَغِبَ فِيهِ الرَّاغبُ، وأَفْضَل مَا طلبَ وجَدَّ فيهِ الطَّالبُ، وأَنفعُ مَا كسَبَهُ واقتَنَاهُ الكَاسبُ؛ لِأَنَّ شَرفَهُ يُثمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ،

---

(١) «مقدمة سنن الدارمي» (رقم ٣٣٤/ العَرف الوردي)، وسنده صحيح.

(٢) الدارمي (٣٣٥/ العرف)، وسنده صحيح. وكذا ما بعده (٣٣٦).

(٣) «الأخلاق والسير»، (٧٤)، ضمن «مجموع رسائل في العلم»، ط: دار البصيرة.

(٤) «أدب الدنيا والدين» (٤١، ٥٣)، ط: دار الكتب.

وَفَضلَه يُنمِي عَلى طَالبِهِ، والعِلم عِوَضٌ مِن كُلِّ لذَّةٍ، ومُغنٍ عَن كُلِّ شَهوةٍ، ومَن كانَ صَادِقَ النِّيَّةِ فِيهِ لم يكُن لهُ هِمَّةٌ فِيما يجِدُ بُدًّا مِنهُ، فينبغي لمن زهد في العِلْم أن يكون فيه راغبا، ولمن رغب فيه أن يكون له طالبا، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثرًا، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملًا، ولا يطلب لترْكِه احتجاجًا ولا للتقصير فيه عذرًا، ولا يسوِّف نفسه بالمواعيد الكاذبة، ويمنيها بانقطاع الأشغال المتصلة، فإن لكل وقت شغلًا، ولكل زمان عذرًا، قال الشاعر:

نـــروح ونغـــدو لحاجاتنـــا وحاجـة مـن عـاش لا تنقضـي
تمـــوت مـــع المـــرء حاجاتـــه وتبقـى لـه حـاجـة مـا بقـي»

* **والعلم الشرعي هو الحاكم المفرِّق بين الشك واليقين**، والغَيِّ والرشَاد، والهُدَى والضَّلال. به يُعرف الله، ويُعبد، ويُذكر، ويُوحَّد ويُحمد ويُمجَّد، وبه اهتدى إليه السالكُون، وبه تُعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلالُ من الحرام، وبه تُوصل الأرحَام، وبه تُعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومُتابعتها يُوصل إليه من قريب.

وهو إمامٌ والعمل مأموم، وهو قائدٌ والعمل تابع، وهو الصاحب في الغُربة، والمحدِّث في الخَلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغِنَى الذي لا فَقر على من ظفَر بكنزه، والكنف الذي لا ضيعَةَ على من أوى إلى حِرزه، مُذاكرتُه تسبيحٌ، والبحث عنه جهادٌ، وطلبُه قربة، وبذلُه صدقَة، ومُدارسته تُعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام[1].

فهذه نبذة مختصرة في فضل العِلْم، وأهله ومعلميه، وهي تنبئ بفضل مَجَالِس العِلْم، والعناية بها، وإقامتها، والانشغال بها، والتردُّد عليها. والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٦٩).

المبحث الثاني: فضل التذكير بالله تعالى، ومجالس الوعظ

إنَّ من أفضل الأعمال عند الله تعالى ـ لمن أراد به وجه الله ـ تذكير المؤمنين، وتنبيه الغافلين، قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥]، ووعد الله تعالى من أمر بصدَقة، أو معروف، أو إصلاح بين النَّاس ـ يبتغي بذلك وجه الله ـ أجرًا عظيمًا، وأخبر نبيُّه ﷺ أنَّ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(١)، وكفى بذلك فَضْلا عميمًا.

وقد كانت مَجَالِس النبي ﷺ مع أصحابه عامتها مَجَالِس تذكير بالله، وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدين، **كما أمره الله تعالى في كتابه أن: يُذكِّر، ويَعِظُ، ويَقُص، وأنْ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنْ يُبشِّر، ويُنذِر.**

قال الله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٧٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:٢].

وهكذا؛ هذا الأمر، يُوجَّه إلى سائر الأنبياء والمرسلين: كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف:٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا

(١) تقدم تخريجه.

فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر:٢٤]، وكلهم يخبر عن نفسه ويقول: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود:٢٥].

وقد امتثل رسُل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أمرَ ربهم؛ **فوعظُوا، وذكَّروا، وبشَّروا، وأنذروا ، بل استغرق ذلك حياتهم كلها، صابرين محتسبين**، قال الله تعالى عن عبده نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح:٥-٩].

وقد كان للنبي ﷺ القدح المعلى في الصبر على التذكير والتبشير والإنذار، وربما اجتهد في موعظته حتى كأنه منذر جيش، يُخاطب القلوب ويستحثُّها، حتى تخاف وتوجَل، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «**وعظنا رسُولُ الله ﷺ يومًا بعد صلاةِ الغداةِ موعِظةً بليغةً ذرفت مِنها العُيُونُ ووجِلت مِنها القُلُوبُ...**»(١).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احمَرَّت عَينَاهُ، وَعَلَا صَوتُهُ، وَاشتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنذِرُ جَيشٍ؛ يَقُولُ صَبَّحَكُم وَمَسَّاكُم، وَيَقُولُ: «**بُعِثتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ**» ـ وَيَقرُنُ بَينَ إِصبَعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسطَى ـ وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله وَخَيرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَنَا أَولَى بِكُلِّ مُؤمِنٍ مِن نَفسِهِ مَن تَرَكَ مَالًا فَلِأَهلِهِ وَمَن تَرَكَ دَينًا أَو ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ**»(٢).

و التبشير والإنذار: هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس تُوجب لأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ كما ذكره العرباض رضي الله عنه ـ: رِقَّةَ القلب، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ومن حديث حنظلة رضي الله عنه ـ وقد مضى ـ أنه قال: «**نَكُونُ عِندَ رَسُولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأيُ عَينٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وسبق.

(٢) رواه مسلم (٨٦٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠).

ولا يحصل هذا التأثير في النَّاس لكلِّ أحد، ولا لكلِّ موعظة، ولهذا أمر الله تعالى بشيء زائد على مُطلق الدعوة، **وهو الدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة**، قال جل وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالدعوة المكتملة لا تستغني عن الموعظة الحسنة، بل هي لُبّها، لما للموعظة الحسنة من تأثير على النفوس، وتحريك للقلوب والمشاعر، فلا يكفي إخبار النَّاس بالحق مجرَّد إخبار وإعلام، بل لا بد من دفعهم إلى التزامه واتباعه، والاقتناع به، والله الموفق.

قال ابنُ رجب رحمه الله[1]: «والبلاغةُ في الموعظة مسْتَحْسَنة لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها، **والبلاغة: هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها**، وأفصحها وأحلاها لدى الأسماع، وأوقعها في القلوب، وكان النبي ﷺ يقصُر الخطبة ولا يُطيلها، بل كان يُبلِغ ويُوجز وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «**كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاتُه قَصْدًا وخطبته قَصْدًا**».

وفضل التذكير والوعظ لا يخفى على أحد، ولهذا أثنى اللهُ على من يقومُ بهذا الواجب، وجعل قولَه أحسنَ القول، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاةِ إلى الله، والثناء عليهم، **وأنه لا أحد أحسن قولا منهم**، وعلى رأسهم الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم أتباعهم، على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل، فأنت يا عبدالله؛ يكفيك شرفًا أن تكون من أتباع الرسل، ومن المنتظمين في هذه الآية الكريمة.

والدعوة إلى الله تعالى أحد أركان الأعمال الصالحة التي لا يتم الربح إلا بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢٥٩).

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

فإن التواصي بالحقّ يلزم منه الدعوة إلى الحق، والتواصي بالصبر يلزم منه الدعوة إلى الصبر على دين الله عز وجل في أصوله وفروعه.

وقد دلَّت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها ـ سوى ما تقدم ـ: قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ومنها: قوله عز وجل: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص:٨٧].

وفي صحيح البخاري من حديث عَبد الله بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١) ، ومن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَسْمَعُون ويُسْمَع مِنكُم ويُسمَع ممَّن سَمِع مِنكُم**»(٢). وأنت خبير أن هذه الأدلة تشمل التعليم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، فبيَّن سبحانَه وتعالى أنَّ أتْباع الرسول ﷺ هم الدُّعاة إلى الله، وهم أهلُ البصائر، وفي هذه الآية فضْل الدعوة إلى الله وأنْ أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة ـ والبصيرة هي العِلْم بما يدعو إليه وما يَنهى عنه ـ وفي هذا شرف لهم ورفعةٌ.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٤١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٥٩)، وسنده صحيح، وهو: خبر بمعنى الأمر أي: لتسمعوا مني الحديث، وتبلغوه عني، وليسمعه من بعدي منكم من بعدكم، وكذا من بعدهم وهلم جرا وبذلك يظهر العلم وينتشر ويحصل التبليغ وهذا هو الميثاق المأخوذ على العلماء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

(٣) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

وهذا أيضًا يدُلُّنا على فضل الدعوة إلى الله وما فيها من الخير العظيم، وأنَّ الداعي إلى الله جل وعلا يُعطَى مثل أُجُور مَن هداه اللهُ على يديه، ما بلغ عددُهم!.

والعباد لابد لهم من الوعظ والتذكير، والترغيب والترهيب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يستقيم حالهم، وتصلح معايشهم، إلا بذلك، فما أقرب مَن يتردَّد على حِلَق الوعظ والتذكير؛ من الله تعالى، وما أبعد من هجَرها وأعرض عنها من الله تعالى.

*** وفوائد الدعوة إلى الله عز وجل، والوعظ والتذكير؛ لا تُحصى، ولب ذلك:**

ـ **رقة القلوب، فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب** وصلاحه ورقته، ويُذهب الغفلة عنه قال الله تعالى ﴿ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزمر:٢٣].

ـ **الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة**، بما يحصُل في مَجَالِس الذِّكْر من ذكر عيوب الدنيا وذمِّها والتزهيد فيها، وذِكْر فضل الجنة ومَدْحها والترغيب فيها، وذِكْر النار وأهوالها والترهيب منها.

ـ **الهداية إلى: الحق، والسُّنة، والخير، وأعمال البر**، ومكارم الأخلاق، ومعالي الهِمَم، والتثبيت عليها. والتحذير من: الباطل، والبدع، والشر، ومنكرات الأعمال والأهواء، ومساوئ الأخلاق، والتنفير عنها، والتحقير من شأن أهلها.

في عشرات الفوائد الطيبة التي يحصل عليها أهل مَجَالِس التذكير، مما مضى وسيأتي ذكره.

المبحث الثالث: نماذج من اهتمام السلف بمجالس العِلْم وحلق الذِّكْر

إن اهتمام سلفنا الصَّالح من الصَّحابة رضوان الله عليهم، فالتابعين فمَن بعدَهم من علماء المسلمين وأئمة الدِّين، بمجالس العِلْم والتذكير، شيء لا يُستطاع أنْ يُعبّر عنه، وإنك حينما تقرأُ في سير هؤلاء الأئمة، في طلبهم للعلم واهتمامهم بحلقات العِلْم، والرِّحلة إلى البلدان البعيدة، لشُهود حلقة المحدِّث الفلاني، والتي يقطعُ الواحد منهم من أجلها الفيافيَ والقِفَار، حينما يُمعن الواحدُ منا نظرَه في تلك الجهود الكبيرة التي بذلوها في سبيل نصرة الدين، يندهش ويطول تعجُّبه من: صبرهم، وقوَّتهم، وعزيمتهم، وحرصهم الشديد على نشر الدين، وتعلمه وتعليمه، رجال يمشون بأقدامهم في الثرى، وهامة همتهم في الثريا!.

وذلك -والله أعلم- تصديقًا لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. فالله سبحانه وتعالى قد اختارهم، واصطفاهم، وغرَسَهم، لحفظ دينه ونشره وتبليغه، لإقامة الحجة، وبيان المحجة.

ونحن إذ نذكر ذلك، لا نذكره لمجرد التفكُّه، والدراسة النظرية، بل ليكون ذلك أكبر دافع لنا إلى الخير، كما قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ** رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وهذا الفصلُ طويلٌ جدًّا، وهو حريٌّ أن يُفرد بمصنَّف، ويكفيك مطالعة كتب السِّير، كـ «تذكرة الحفاظ» و«سير أعلام النبلاء»، ونحوهما لتنظر ما القوم عليه من الهمة، وسنذكر جملةً تنبئ عما وراءَها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* قال الإمام البخاري رحمه الله: (بَاب التناوُب فِي العِلْم) وذكر حديث عُمَرَ رضي الله عنه أنه قَالَ: (كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نتناوب النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ

بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إليه، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَتْ لَا أَدْرِي ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ الله أَكْبَرُ)[١].

قال النووي رحمه الله: «في هَذَا استحبَاب حُضُور مَجَالس العِلْم، وَاستحبَاب التناوب في حُضُور العِلْم، إِذَا لَم يَتيَسَّر لكُلِّ وَاحد الحُضُور بنَفسهِ، وَفيه مَا كَانُوا عَلَيه مِن حِرصهم عَلَى طَلَب العِلْم وتناوبهم فيه».

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: ابعث معنا رجلًا يعلِّمنا السُّنةَ والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح وقال: «**هَذا أَمِين هَذِهِ الأُمَّة**»[٢].

فهؤلاء الأفاضل رضي الله عنهم لما وفَدُوا على رسول الله ﷺ من حرصهم الشديد على العِلْم سألوا رسول الله ﷺ أن يبعثَ معهُم من يعلِّمُهم.

وهكذا كان النبي ﷺ يبعث في البلاد مع الوفود من يعلمهم ويفقههم ويذكرهم، وممن بعثَهُ رسول الله ﷺ معلِّما: معاذ، وأبو موسى، وعلي بن أبي طالب. والأحاديث في ذلك مشهورة[٣].

وهذه بعض النماذج في اهتمام السابقين بحِلَق العِلْم، ذكرها الذهبي رحمه الله في السير:

- قال إبراهيم بن رستم: قال أبو حمزة: (اختلفت إلى إبراهيم الصائغ نيّفًا وعشرين سنة!، ما علم أحد من أهل بيتي أين ذهبت، ولا من أين جئت). قلت ـ الذهبي ـ: لأنَّ إبراهيم الصائغ كان في السِّجن، ولا يذهب أحدٌ إليه إلا مختفيًا[٤].

---

(١) البخاري (٣٤)، ومسلم (٣٦٩٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٥)، وسنده صحيح.

(٣) «صحيح البخاري»: (بَاب بَعْثُ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وبَاب: بَعْثُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَام وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه إلى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٣٨٦) ترجمة: أبي حمزة السكري محمد بن ميمون، المروزي.

- وقال القعنبي: سمعت مالكًا *رحمه الله* يقول: (كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلَّم منه)[١].

- وروى غيرُ واحد أنَّ ابن المبارك *رحمه الله* قيل له: إلى متى تكتب العِلْم؟ قال: (لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد)[٢].

- عن أبي بكر بن عياش *رحمه الله* قال: (اختلفت إلى عاصم نحوًا من ثلاث سنين، في الحر والشتاء والمطر، حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل)[٣].

- وقال أبو حاتم *رحمه الله* -عن القعنبي-: (ثقة حجة لم أر أخشع منه، سألناه أن يقرأ علينا «الموطأ»، فقال: تعالوا بالغداة، فقلنا: لنا مجلس عند حجاج بن منهال، قال: فإذا فرغتم منه، قلنا: نأتي حينئذ مسلم بن إبراهيم، قال: فإذا فرغتم، قلنا: نأتي أبا حذيفة النهدي، قال: فبعد العصر، قلنا: نأتي عارمًا أبا النعمان، قال: فبعد المغرب، فكان يأتينا بالليل! فيخرُج علينا، وعليه كَبَل[٤]ما تحته شيء في الصيف، فكان يقرأ علينا في الحر الشديد حينئذ[٥]».

- قال صالح جزرة: سمعت حجاج بن الشاعر يقول: جمعَتْ لي أمِّي مئة رغيف، فجعلتُها في جِراب، وانحدرتُ إلى (شَبابة) بالمدائن، فأقمتُ ببابه مئة يوم!، أغمسُ الرغيف في دجْلَة وآكله!!، فلما نفدت خرجتُ[٦].

- قال عبدُ الرحمن بن أبي حاتم: كنَّا بمصر سبعة أشهر، لم نأكُل فيها مرَقة، كل نهارنا مقسَّم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النسخ والمقابلة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ١٠٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٤٠٧).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٥٠٢).
(٤) في «الصحاح» (كبل): فرْوٌ كَبَل ـ بالتحريك ـ: أي قصير.
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠ / ٢٦٠) ترجمة: القعنبي عبد الله بن مسلمة.
(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٣٠١) ترجمة: حجاج بن يوسف أبو محمد الشاعر.

قال: فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقتُ مجلسٍ، فلم يمكننا إصلاحَه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام!!، وكاد أن يتغيَّر، فأكلناه نيئًا! لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه!!.ثم قال: (**لا يستطاع العِلْم براحة الجسد**)[١].

- قال حفصُ بن غياث *رحمه الله*: (كنا نتعزَّى عن الدنيا بمجلس سفيان الثوري!)[٢].

- قال الحافظ عبدالله بن عدي *رحمه الله*: رأيت مجلس الفريابي يُحزَر فيه (خمسة عشر ألف محبرة)، وكان الواحد يحتاج أن يبيت في المجلس!، ليجد من الغد موضعًا![٣].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٦٦) ترجمة: ابن أبي حاتم.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٩) ترجمة: سفيان.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٠٠).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

آدابُ حُضُوْرِ حِلَقِ العِلْمِ وَمَجَالِسِ الذِّكْرِ

* تلخّصَت مقاصد هذا الفصْل في أربعة مبَاحث، كمَا يلـي:

- المبحث الأول: آداب تتعلَّق بالجالس نفسه.

- المبحث الثاني: آداب فيما بين السامع والمتكلِّم.

- المبحث الثالث: آداب تتعلَّق بالمجلس.

- المبحث الرابع: في الأسئلة.

تمهيد

لا يكفي أنْ يحضر المسلم حِلَق ومجالس العِلْم والذِّكْر، دون أن يتعرَّف على الآداب التي تلزم مَن يشهدها، وأن يتأدّب بها، فإنَّ لها آدابًا عظيمة، تكسب مَن يشهدها متأدّبًا مغنمًا عظيمًا، وذكرًا جميلًا.

وهذه الآداب منها:

- ما يتعلَّق بالجالس نفسه.
- ومنها ما يتعلَّق بمجلس العِلْم.
- ومنها ما يتعلَّق بالمعلم وأدب الجالس معه.

وهذه نبذ مختصرة، وكلمات معتصرة، من الكتب المشتهرة، في هذا الموضوع، تنبئ عما وراءها.

فإنَّ الأدبَ؛ كالبَحْر!، لفظُه يسيْر، ثلاثةُ أحْرُف لا غير، ومعناه وحقيقتُه تُحيِّر العقول، وتُدهشُ الأبصار، مِن سَعته وعظَمته وما فيه من الكُنوز الثمينة، والجواهر الغالية.

والحقَّ أنَّ الأدب الجميل، والخلق النبيل، سحرٌ يستميل، فكَم يملكُ صاحبُه من القلوب، تحبُّه وتوقِّره، تعظِّمه وتُثني عليه.

أحسِن إلى الناس تستعبد قلوبَهم لطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

ولهذا كان النبي ﷺ في أعلى درجاته، لأنه أدّبهُ ربُّه، ثم أثنى عليه به، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

وكلما كان المسلم أكثر اطلاعًا ومعرفة لأحوال النبي ﷺ، وسُنّته، كلما كان أعظم أدبًا، وأكملُ خُلقًا، إنْ كان ممن يجعل نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

المبحث الأول: آداب تتعلق بالمجالس نفسه

وهذه الآدابُ كثيرةٌ، أذكرُ أهمَّها فيما يلي:

📖 الإخلاص لله تعالى

قال ابنُ الصلاح رحمه الله: «أولُ ما عليه تحقيق الإخلاص، والحذر من أنْ يتخذَه وُصلةً إلى شيء من الأعراض الدنيوية، رُوِّينا عن حماد بن سلمة رحمه الله أنه قال: (مَن طلب الحديث لغير الله مكَر به)، وروّينا عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: (ما أعلم عملًا هو أفضل من طلب الحديث لمن أراد اللهَ به)، وليسأل الله تبارك وتعالى التيسير والتأييد والتوفيق والتسديد، وليأخُذ نفسه بالأخلاق الزكية والآداب المرضيَّة، فقد روّينا عن أبي عاصم النبيل قال: (**من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدِّين، فيجبُ أن يكونَ خيرَ الناس**)»[(١)].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: «ينبغي لمن اتسع وقتُه، وأصحَّ اللهُ تعالى له جسمَه، وحبّب إليه الخروج من طبقة الجاهلين، وألقى في قلبه العزيمة على التفقُّه في الدِّين أن يستعمل الجِد في أمره، **وإخلاص النية في قصده**، والرغبة إلى الله في أن يرزقه علما يوفِّقه فيه، ويعيذه من علم لا ينتفع به، وليحذر أن يكون قصده فيما طلبه المجادلة به، والمماراة فيه، وصرف الوجوه إليه، وأخذ الإعواض عليه»[(٢)].

وقال النووي رحمه الله: «ينبغي أن لا يقصد به توصُّلًا إلى غرض من أغراض الدُّنيا من مالٍ أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك»[(٣)].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: سمعت جعفر بن حيان، يقول: (ملاك هذه الأعمال

---

(١) «مقدمة ابن الصلاح» (١/ ٧٤٤).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٧١).

(٣) «التبيان» (٢٦)، ط: مكتبة دار البيان.

النيات، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلُغ بعمله)[١].

وأسند الدارمي عنِ الحسنِ البصري رحمه الله أنه قال: (من طلب شيئًا مِن هذا العِلم فأراد بِهِ ما عِند الله يُدرِك إِن شاء الله، ومن أراد بِهِ الدُّنيا فذاك والله حظُّهُ مِنهُ)[٢].

وأسند أيضًا عن إِبراهِيم رحمه الله أنه قال: (منِ ابتغى شيئًا مِن العِلم يبتغِي بِهِ وجه الله آتاهُ الله مِنهُ ما يكفِيهِ)[٣].

وفي «الصحيحين» عن عُمر بنِ الخطّابِ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ:«إِنّما الأعمالُ بِالنِّيّةِ وإِنّما لِامرِئٍ ما نوى فمن كانت هِجرتُهُ إِلى الله ورسُولِهِ فهِجرتُهُ إِلى الله ورسُولِهِ ومن كانت هِجرتُهُ لِدُنيا يُصِيبُها أو امرأةٍ يتزوّجُها فهِجرتُهُ إِلى ما هاجر إِليه»[٤].

قال الحافظ ابنُ رجب رحمه الله[٥]: «اتّفق العُلماءُ على صحّة هذا الحديث وتلقِّيهِ بالقبولِ، وبه صدّر البخاريُّ كتابه الصّحيح، وأقامَهُ مقام الخُطبةِ له، إشارةً منه إِلى أنّ كلّ عمَلٍ لا يُرادُ به وجهُ الله فهو باطلٌ، لا ثمرةَ له في الدُّنيا ولا في الآخرةِ».

وقال النووي رحمه الله، عند حديث «**من سلك طرِيقًا يلتمِسُ فِيهِ عِلمًا سهّل الله لهُ بِهِ طرِيقًا إِلى الجنّةِ**»: «وفيه فضل المشي في طلب العِلم، ويلزم مِن ذلك الاشتغال بالعلم الشّرعيّ، **بشرطِ أن يقصد بِهِ وجه الله تعالى**، وهذا وإِنْ كان هذا شرطًا في كُلّ عبادة، لكنّ عادة العُلماء يُقيِّدُون هذه المسألة به، لكونه قد يتساهل فيه بعض النّاس، ويغفُل عنهُ بعض المُبتدئين ونحوهم».

🕮 إصلاح هيئته وأخذه زينته

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٨) والخطيب في «الفقيه» (٢/ ١٧٢).

(٢) «مقدمة سنن الدارمي» (١٣٥/ العرف الوردي)، باب: العمل بالعلم والنية فيه، وسنده صحيح.

(٣) السابق (١٣٨)، وهو صحيح عنه.

(٤) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (٢٠) ط: دار ابن الجوزي.

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

قال ابن كثير *رحمه الله*[١]: «ولهذه الآية، وما وردَ في معناها من السنة، يستحبُ التجمُّل عند الصلاة، ولاسيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب؛ لأنَّه من الزينة، والسواك؛ لأنَّه من تمام ذلك، ومن أفضل الثياب البياض».

قلت: وحِلَق العِلْم والذِّكْر محلّ لاجتماع الناس، فهي داخلة في عموم هذه الآية، وهي وإن كانت في الزينة الواجبة ـ عند أكثر المفسرين ـ من ستر العورة ونحوه، إلا أنها تشير إلى أخذ الزينة المستحبة كما تقدَّم في كلام ابن كثير *رحمه الله*.

وقال القاضي أبو محمَّد ابن عطية *رحمه الله*[٢]: «ويدخُل فيها ما كان من الطيب للجمعة والسواك وبدل الثياب وكل ما وجد استحسانه في الشريعة ولم يقصد به مستعمله الخيلاء، ويدخل مع الصلاة: مواطن الخير كلّها».

وفي صحيح مسلم عن عبدِ الله بنِ مسعُودٍ رضي الله عنه عن النّبِيِّ ﷺ قال: «**لا يدخُلُ الجنّة من كان في قلبِهِ مِثقالُ ذرّةٍ مِن كِبرٍ**»، قال رجُلٌ: إنّ الرّجُل يُحِبُّ أن يكُون ثوبُهُ حسنًا ونعلُهُ حسنةً؟ قال: «**إنّ الله جمِيلٌ يُحِبُّ الجمال الكِبرُ بطرُ الحقِّ وغمطُ النّاسِ**»[٣].

وقد بوَّب الخطيب البغدادي *رحمه الله* بابا بنحْو الذي بوَّبنا، وذكَر ما ينبغي له الاعتناء به، ومما قال: «ينبغي له أنْ يكون في حال روايته على أكمَل هيئته، وأفضل زينته، وليبتدئ بالسِّواك، وليقصّ أظافيره إذا طالت، ويأخذ من شاربه، ويسَكِّن شعثَ رأسه، وإذا اتسخ ثوبه غسله، وإذا أكلَّ طعامًا زهمًا أنقى يديه من غمره، ويستحب له لباس الثياب البيض، ويكره له أنْ يلبس الثوب الخلق وهو يقدر على الجديد، وكما يكره له لبس أدون الثياب، فكذلك يكره له لبس أرفعها، خوفًا من الاشتهار بها، وأن تسمو إليه الأبصار فيها، ويستحبُّ له أنْ يلبَسَ القلنْسوة ويعتمّ من فوقها بالعمامة، وأنْ يمسّ من بخوره،

---

(١) (٢/ ٢٩٠).

(٢) «المحرر الوجيز» (٧/ ٤٥) ط: الباز.

(٣) مسلم (٩١).

ومن الطيب»[١].

🕮 لا يمنعه من شهودها الكبر أو الحياء

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب الْحياءِ فِي العِلْم. وقال مُجاهِدٌ: (لا يتعلّمُ العِلْم مُسْتحْيٍ ولا مُسْتكْبِرٌ)، وقالتْ عائِشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (نِعْم النِّساءُ نِساءُ الْأَنْصارِ لمْ يمْنعْهُنّ الْحياءُ أنْ يتفقّهْن فِي الدِّينِ)[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والحياء قسمان: شرعِي: وهو الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقعُ سببًا لترك أمْر شرعي؛ فهو مذمُوم وليس هو بحياء شَرعي، وإنما هو ضعْف ومهانة، وهو المراد بقول مجاهد: (**لا يتعلم العِلْم مستحْي**) وهو بإسكان الحاء و(لا) في كلامه: نافية، وكأنّه أرادَ تحريض المتعلِّمين على ترك العجز والتكبُّر لما يؤثر كلّ منهما من النقص في التعليم».

قال الماوردي رحمه الله: «ربما امتنع الإنسان من طلب العِلْم لكبر سِنّه، واستحيائه من تقصيره في صِغره: أنْ يتعلم في كِبره، فرضي بالجهل أن يكون موسومًا به وآثره على العِلْم أن يصير مبتدئًا به!، وهذا من خدع الجهل، وغرور الكسل، **لأن العِلْم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة**، ولأَنْ يكون شيخًا متعلِّما أولى من أن يكون شيخًا جاهلًا. حكي أنَّ بعض الحكماء رأى شيخًا كبيرًا يحب النظر في العِلْم ويستحي فقال له: يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله»[٣].

وقال ابن الصلاح: «ولا يكنْ ممن يمنعه الحياء أو الكبر عن كثير من الطلب»[٤].

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٨٤)، وقد ذكر رحمه الله أدلةً وآثارا كثيرة، على كل نقطة من هذه النقاط، تركناها اختصارا.

(٢) البخاري (ك: العلم، ب: ٥٠)، وأثر مجاهد: قال الحافظ: وصله أبو نعيم في «الحلية» من طريق على بن المديني عن ابن عيينة عن منصور عنه وهو إسناد صحيح على شرط المصنف. «الفتح» (١/ ٣٠٢) ط: دار السلام. وأما قول عائشة، فأخرجه مسلم (٣٣٢) إثر الحديث.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (٤٨).

(٤) «المقدمة مع التقييد» (١/ ٧٤٦).

وقال النووي *رحمه الله*[١]: «وينبغي أنْ يتواضعَ لمعلِّمه، ويتأدّب معه، وإن كان أصغَرَ منه سِنًّا، وأقلّ شهرةً ونسبًا وصلاحًا وغير ذلك، ويتواضع للعلم؛ فبتواضعه يدركه».

🕮 لا يقتصر على الحضور دون الفهم والتدبر

فإن لم يفهم بعضَ ذلك، سأل من يفهمه، ماذا عنى بكذا؟ ونحو ذلك.

* وقد ذم الله تعالى ـ المنافقين على حضُورهم مجلس رسول الله ﷺ بدون أن يفهمُوا كلامه، بل لا يكترثون به قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٦، ١٧].

قال ابن كثير *رحمه الله*[٢]: «يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم، وقلة فهمهم، حيث كانُوا يجلسُون إلى رسول الله ﷺ ويستمعُون كلامَه، ولا يفهمُون منه شيئًا، فإذا خرجُوا من عنده ﴿ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ من الصحابة: ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ أي: الساعة، لا يعقلون ما يقال!، ولا يكترثون له. قال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ أي: فلا فهم صحيح، ولا قصد صحيح. ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ أي: والذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها، ﴿ وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾».

وهذا في غاية الذمّ لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألْقَوا إليه أسماعَهم، ووعتْهُ قلوبُهم، وانقادَت له جوارحُهم.

ولا يلزم أنْ يحيطَ علمًا بكلِّ ما يقال، فقد لا يدرك ذلك لسبب من الأسباب، وحينئذ فحسبه أن يكون حاله كما قيل: «ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جُلّه».

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله*: «وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يُكثر، بل يأخذ

---

(١) «التبيان» (٣٧) ط: مكتبة البيان.

(٢) «تفسيره» (٤/ ٢٢٧).

قليلًا قليلًا، حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان:٣٢]»[١].

وقال ابن حزم رحمه الله[٢]: «إذا حضرتَ مجلسَ علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علمًا وأجرًا، لا حضورَ مستَغْن بما عندك، طالبًا عثرةً تُشيِّعها، أو غريبةً تُشنِّعها، فهذه أفعالُ الأرذَال الذين لا يُفلحون في العِلْم أبدًا، فإذا حضرتها على هذه النية، فقد حصّلت خيرًا على كلِّ حال، وإن لم تحضرْها على هذه النية، فجلوسُك في منزلك أروح لبدَنِك، وأكرم لخُلقك، وأسلم لدِيْنك. فإذا حضرتها كما ذكرنا، فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها، وهي:

ـ إما أن تسكت سكوت الجهَّال، فتحصل على أجر النية في المشاهدة، وعلى الثناء عليك بقِلّة الفضول، وعلى كرَم المجالسة ومودَّة مَن تجالس.

ـ فإن لم تفعل ذلك، فاسأل سؤال المتعلِّم، فتحصل على هذه الأربع محاسن، وعلى خامسة، وهي: استزادة العِلْم.

ـ والوجه الثالث: أن تراجع مراجعة العالم، وصِفة ذلك: أن تعارض جوابَه بما ينقصه نقصًا بيّنًا، فإن لم يكن ذلك عندك، ولم يكن عندك إلا تكرار قوله، أو المعارضة بما لا يراه خصمُك معارضةً، فأمسكْ، فإنك لا تحصُل بتكرار ذلك على أجْر، ولا على تعليم، ولا على تعلُّم، بل على الغيظ لك ولخصْمِك، والعداوة التي ربما أدَّت إلى المضرَّات.

📖 **فائدة**

قال الخطيب البغدادي: (باب: ذكر مقدار ما يحفظه المتفقه). «اعلم أنَّ القلب جارحة من الجوارح، تحتمل أشياء، وتعجز عن أشياء، كالجسم الذي يحتمل بعض الناس أن يحمل مائتي رطل، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلًا، وكذلك منهم من يمشي فراسخ

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠١).

(٢) «الأخلاق والسير» (١٢٨ ـ ١٢٩).

في يوم، لا يعجزه، ومنهم من يمشي بعضَ مِيل، فيضرّ ذلك به، ومنهم مَن يأكُل من الطعام أرطالًا، ومنهم من يتخمهُ الرطل فما دونه، فكذلك القلْب، من الناس من يحفظ عشر ورقَات في سَاعة، ومنهم مَن لا يحفظ نصف صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مِقدارُ حفْظِه نصف صفْحَة يرومُ أن يحفظ عشرَ ورقات تشبُّها بغيره لحقَه الملَل، وأدركهُ الضَّجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سَمع فليقتصر كلُّ امرئ من نفسه على مقدارٍ يبقى فيه ما لا يستفرغ كلَّ نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعلُّم من الذِّهن الجيد والمعلم الحاذق.

قال بعض الحكماء: إن لهذه القلوب تنافرًا كتنافر الوحش، فألِّفوها بالاقتصاد في التعليم، والتوسُّط في التقويم، لتحسن طاعتها، ويدوم نشاطُها ولا ينبغي أن يمرج نفسَه فيما يستفرغ مجهوده»[(١)].

📖 الاستماع والإنصات وملازمة حسن السمت والوقار

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله*[(٢)]: «أول ما يلزم الطالب عند السماع أنْ يصمُتَ ويُصغي إلى استماع ما يرويه المحدِّث، ويجب عليه أن يتجنب: اللعبَ والعبثَ والتبذُّل في المجالس، بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادُر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يُستجاز من المزاح يسيرُه ونادرُه، وطريفُه الذي لا يخرج عن حدِّ الأدب وطريقة العِلْم، فأما متصِلُه وفاحشُه وسخيفُه وما أوغَر منه الصُّدور وجلَب الشر؛ فإنه مذمُوم وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة».

وقال الإمام البخاري *رحمه الله*: (باب الإنصاتِ لِلعُلماءِ)[(٣)]. ثم ساق عن جرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبِيّ ﷺ قال لهُ فِي حجّةِ الوداعِ: «**استنصِت النّاس**» فقال: «**لا ترجِعُوا بعدِي كُفّارًا**

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢ / ٢١٥).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٥٦، ١٩٤ـ١٩٦).

(٣) البخاري (كتاب: العلم، باب: ٤٣).

يضرِبُ بعضُكُم رِقاب بعضٍ»[١].

قال ابن بطال رحمه الله: «فيه أنَّ الإنصات للعلماء لازم للمتعلمين لأنَّ «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٢].

📖 **فائدة:**

هكذا كانت حال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، مع النبي ﷺ في سائر مجالسه، استعمال، الأدب، وملازمة الوقار، والإجلال. وهكذا ينبغي أنْ يكون الحال في سائر مَجَالِس العِلْم والذِّكْر، في كل زمان ومكان.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله[٣]: «وإذا جلسُوا حولَه ـ أي الفقيه المعلم ـ فليستعملوا الوقار والصَّمت، ثم أسند حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه حوله كأن على رءوسهم الطير»[٤].

* وعَن زَيدِ بنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قالَ سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**نَضَّرَ الله امرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إِلَى مَن هُوَ أَفقَهُ مِنهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ لَيسَ بِفَقِيهٍ**»[٥].

---

(١) رقم (١٢١). قال ابن حجر رحمه الله: «وقد وقع التفريق بين الإنصات والاستماع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ومعناهما مختلف: فالإنصات: هو السكوت وهو يحصل ممن يستمع وممن لا يستمع كأن يكون مفكّرًا في أمر آخر، وكذلك الاستماع قد يكون مع السكوت وقد يكون مع النطق بكلام آخر لا يشتغل الناطق به عن فهم ما يقول الذي يستمع منه، وقد قال سفيان الثوري وغيره: (أول العِلْم الاستماع ثم الإنصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر)، وعن الأصمعي: تقديم الإنصات على الاستماع. «فتح الباري» (١/ ٢٧٨).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٨٧).

(٣) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٥٢).

(٤) وأخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأبو داود (٣٨٥٥) والنسائي في «الكبرى» (٧٥١٢) كلهم من طريق شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة به، وتابعه سُفْيان بن عُيَيْنة، ومِسْعر، والمسْعُودِي، والمُطّلِب، والأجْلح، وأبو عوانة، كلهم عن زياد به، انظر «المسند الجامع» (١ / ٢٦٩)، وسنده صحيح.

(٥) صحيح، وقد تقدم تخريجه في الفضائل.

وفي الحديث التنبيه على ثلاثة من أهم آداب مَن يشهد حِلَق العلم والذِّكر، وهي:

١) الإنصات والإصغاء، لقوله: «**سَمِع**».

٢) الوعي والتفهُّم لما يسمع، لقوله: «**وعَاهَا**».

٣) الحفظ، لقوله: «**فأدَّاها كما سَمِعَها**».

قلت: وهكذا كانت سيرةُ السَّلف في مَجَالِس العِلْم، ولهذا انتفعُوا كثيرًا منها، وبارك اللهُ لهم في حضُورهم، ودرُوسِهم، وعِلْمهم.

وهذه ثلاثة أمثلة ترشد إلى ذلك:

- قال الحاكم: وسمعت الحسن بن يعقوب يقول: ما رأيت مجلسًا أبهى من مجلس السَّري بن خزيمة، ولا شيخًا أبهى منه، كانوا يجلسون بين يديه، وكأنما على رؤوسهم الطير، وكان لا يحدِّث إلا من أصل كتابه *رحمه الله* (١).

- قال أحمد بن سنان: كان لا يُتحدّث في مجلس عبدالرحمن ابن مهدي ولا يُبرى قلم، ولا يتبسَّم أحدٌ، ولا يقوم أحدٌ قائمًا، كأن على رؤوسهم الطير (٢).

- قال جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ: ما رأيت من المحدثين أهيب من محمد بن رافع، كان يستند إلى الشجرة الصنوبر في داره، فيجلس العلماء بين يديه على مراتبهم، وأولاد الطاهرية ومعهم الخدَم، كأنَّ على رؤوسهم الطير، فيأخذ الكتاب، ويقرأ بنفسه، ولا ينطق أحد، ولا يتبسَّم إجْلالًا، وإذا تبسَّم واحد أو راطن صاحبه، قال: وصلَّى الله على محمَّد، ويأخذ الكتاب، فلا يقدرُ أحدٌ يراجعه أو يشير بيده (٣).

قلتُ: وفِعل محمَّد بن رافع *رحمه الله* ليس من حظوظ النفس في شيء، كما قد يظنُّه مَن لا فهم عنده، بل هو من توقير العِلْم والسنة، وتعظيم شعائر الله تعالى وحُرُماته، ومزيد

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٤٦) ترجمة السري بن خزيمة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٠١)، ترجمة: عبد الرحمن بن مهدي الإمام الناقد.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢١٦) ترجمة محمد بن رافع القشيري.

خوف من الله تعالى.

وقال الذهبي في «السِّير»[١]: وهذان البيتان أظنهما لابن المبارك:

مَـن كـان ملتمسًـا جليسًـا صَـالحًا فليـأتِ حلْقَـةَ مسْعَـر بـن كِـدَام

فيهـا السَّـكينة والـوَقَار وأهـلُها أهـلُ العَـفاف وعِلْيـةُ الأَقْـوام

ولهذا العلماء أجمع يحرصون على تربية من يشهد مَجَالِس العِلْم والسنة، على هذه الأخلاق العظيمة، وهذا من أعظم فوائد حضورها.

ومَن أخل بأدب المجلس فللمُعلِّم أن يزجرَه.

قال ابن جماعة رحمه الله[٢]: «وللمعلم أنْ يزجَر مَن تعدَّى في بحثه، أو ظهَر منه لددٌ أو سوءُ أدب، أو ترَك الإنصاف بعد ظهور الحق، أو أكثر الصياح بغير فائدة، أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين، أو ترفّع في المجلس على مَن هو أولى منه، أو نام، أو تحدَّث مع غيره، أو ضحِك أو استهزأَ بأحد من الحاضرين، أو فعَل ما يخلُّ بأدب الطالب في الحلْقة، هذا كلُّه بشرط ألا يترتب على ذلك مفسدة تربو عليه».

وقال الإمام الدارمي رحمه الله: أخبرنا عُبيدُ الله بنُ سعِيدٍ قال سمِعتُ سُفيان بن عُيينة رحمه الله يقُولُ: (يُرادُ لِلعِلمِ: الحِفظُ والعملُ والإِستِماعُ والإِنصاتُ والنّشرُ)[٣].

📖 لا يشوش على الحاضرين إذا استفهم عن شيء

الأصل في الطالب والمستمع لزوم السكينة، والإنصات، لكن قد يحتاج إلى ما يخرجه عن ذلك، كاستفهامه عما لم يتضح له؛ مثلا، فحينئذ ينبغي ألا يشغل الحاضرين، أو يشوش عليهم، بل عليه أن يترفَّق في قضاء حاجته بحيث لا يشعر به كبير أحد.

قال الخطيب رحمه الله: «وإن عرض للطالب أمر احتاج أن يذكرَه في مجلس الحديث،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٧٠).

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» (٤١).

(٣) «مقدمة سنن الدارمي» (١٥٩/ العرف الوردي)، باب: فضل العِلْم والعالم، وسنده صحيح.

وجب عليه أن يخفض صوته؛ لئلا يفسد السماع عليه أو على غيره»[١].

📖 كيف يجلس

ينبغي لمن وفقه الله تعالى لحضُور حِلَق العِلْم والذِّكْر أن يوقِّرها، لما يُلقى فيها من الآيات والسُّنن، واعلم أنَّ من توقيرها: حسن الجلوس فيها، فلا يتماوت في جِلسته، أو يستلقي، أو يسند ظهره ويمدد رجليه ـ دون حاجة ـ فإنَّ ذلك أدعى للغفلة، والنعاس، لا للانتباه وحضور الذهن المطلوب توفُّره فيه، بل عليه أن يجلس جِلسة المؤدب الوقور المنتبه المستفيد[٢].

– قال محمد بن الحسين الآجري *رحمه الله*[٣]: «مَن كان يقرأ على غيره ويتلقَّن فينبغي له أن يحسن الأدب في جلوسه بين يديه ويتواضع في جلوسه ويكون مقبلًا عليه فإنْ ضجر عليه احتمله ورفق به واعتقد له الهيبة الاستحياء منه».

وقال الخطيب ثم السمعاني رحمهما الله[٤]: «ويستحب له أن يجلس متربِّعًا متخشِّعًا».

📖 وينبغي أن يقرب من المحدث

وقد جعل العراقيُّ *رحمه الله* قُربَ الراوي من المحدِّث حالةَ تحمُّله؛ أحد أوجه الترجيحات![٥].

قال النووي *رحمه الله* عند حديث أبي واقد رضي الله عنه وفيه «**أوى فآواه الله**»: «فيه استحباب القُرب مِن كبير الحلْقة ليسْمع كلامه سماعًا بيِّنًا، ويتأدّب بأدبه».

وقال القرطبي *رحمه الله*[٦]: «وفيه التحلُّق لسماع العلم في المسجد حول العالم، والحض

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٩٥ـ ١٩٦).
(٢) انظر «تذكرة السامع والمتكلم» (٩٧ ـ ١٠٠) لابن جماعة.
(٣) «أخلاق أهل القرآن» (٦١)، ط: مكتبة الدار، بالمدينة.
(٤) «الجامع» (١/ ٤٠١)، و«أدب الإملاء والاستملاء» (٣٦) ط: الباز.
(٥) «التقييد والإيضاح» (٢٧٢).
(٦) «المفهم» (٥/ ٥٠٨).

على سدّ خلَل الحلقة، لأنَّ القُرب من العالم أولى؛ لما يحصُل من ذلك من حُسْن الاستماع والحفظ، والحال في حلقة الذِّكر كالحال في صفوف الصَّلاة، يتمّ الصَّف الأول، فإن كان نقص ففي المؤخَّر».

وقال الخطيب البغدادي *رحمه الله*[١]: «ينبغي للمبتدئ إذا حضَر مجلس التفقُّه، أن يقرب من الفقيه، حتى يكون بحيث لا يخفى عنه شيء مما يقوله، ويصمت ويصغي إلى كلامه».

وقال *رحمه الله*[٢]: «ويُقبل على المحدِّث بوجهه، ولا يلتفت عنه، ولا يُسارَّ أحدًا في مجلسه، ولا يحكي عن غيره خلافَ روايته».

قلت: وقد شرع استقبال الخطيب.

وقال النووي *رحمه الله*[٣]: «وينبغي أيضًا أن يتأدَّب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ، فإنَّ ذلك تأدُّبٌ مع الشيخ وصيانة لمجْلسِه، ويقعُد بين يدي الشيخ قِعدة المتعلِّمين، لا قعدة المعلِّمين! ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجَة، ولا يضحك ولا يُكثر الكلام من غير حاجَة، ولا يعبث بيده ولا بغيرها، ولا يلتفت يمينًا ولا شمالًا من غير حاجَة، بل يكون متوجِّها إلى الشيخ مصْغيا إلى كلامه».

وقال الآجري *رحمه الله*[٤]: «فإذا أحبَّ مجالسَة العلماء جالسهم بأدَب، وتواضع في نفسه، وخفضَ صوتَه عن صوتهم، وسألهم بأدب، ويكون أكثر سؤاله عن علم ما تعبَّده الله به، ويخبرهم أنه فقير إلى علْم ما يَسأل عنه، فإذا استفادَ منهم علمًا أعلمَهُم: أني قد أفدت خيرًا كثيرًا، ثمَّ شكرهم على ذلك. لا يُضجرهم في السؤال، رفيق في جميع أموره، لا يناظرهم مناظرةً يُريهم: أني أعلم منكم! وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهُم، مع حسْن التلطُّف لهم.

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٩٩).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٩٨).

(٣) «التبيان» (٣٩).

(٤) «أخلاق العلماء» (ص(٣٣).

🕮 أن يقيد العِلْم

فإن العِلْم صيدٌ والكتابة قيدُه، وهذا الأمر مما يحضُّ العلماءُ عليه، ويؤكدون أهميته، فينبغي لمن يشهد حِلَق العِلْم، أن يُعدّ عدَّته، ويأخذ أُهْبَته، لتقييد الفوائد، وكتابة العِلْم، ولقط الدرر المتناثرة، ولا يعتمد على فهمه واستيعابه في ذلك الوقت، فإنَّ الحفظ خوّان، وقد تجرَّعنا من هذا التساهل ما جرَّ علينا الندم. والله المستعان.

والأدلَّة على أهمية كتابة العلم كثيرة، أذكر بعضها:

قال الإمام البخاري *رحمه الله* : باب كِتابةِ العِلم[1]. وذكر عدة أحاديث، منها: حديث أبِي جُحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قُلتُ لِعلِيٍّ بنِ أبِي طالِبٍ: هل عِندكُم كِتابٌ؟ قال: (لا، إلّا كِتابُ الله، أو فهمٌ أُعطِيهُ رجُلٌ مُسلِمٌ، أو ما فِي هذِهِ الصّحِيفةِ) قال قُلتُ فما فِي هذِهِ الصّحِيفةِ؟ قال: (العقلُ وفكاكُ الأسِيرِ ولا يُقتلُ مُسلِمٌ بِكافِرٍ).

وعن أبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ خُزاعة قتلُوا رجُلًا مِن بنِي ليثٍ عام فتحِ مكّة بِقتِيلٍ مِنهُم قتلُوهُ فأخبر بِذلِك النّبِيُّ ﷺ فركِب راحِلتهُ فخطب فقال: «**إنّ الله حبس عن مكّة الفِيل وسلّط عليهِم رسُول الله ﷺ والمُؤمِنِين ألا وإنها لم تحِلّ لِأحدٍ قبلِي ولم تحِلّ لِأحدٍ بعدِي ألا وإنها حلّت لِي ساعةً مِن نهارٍ ألا وإنها سَاعتِي هذِهِ حرامٌ لا يُختلى شوكُها ولا يُعضدُ شجرُها ولا تُلتقطُ ساقِطتُها إلّا لِمُنشِدٍ فمن قُتِل فهُو بِخيرِ النّظرينِ إمّا أن يُعقل وإمّا أن يُقاد أهلُ القتِيلِ**» فجاء رجُلٌ مِن أهلِ اليمنِ فقال: اكتُب لِي يا رسُول الله، فقال: «**اكتُبُوا لِأبِي فُلانٍ**» فقال رجُلٌ مِن قُريشٍ إلّا الإذخِر يا رسُول الله فإنّا نجعلُهُ فِي بُيُوتِنا وقُبُورِنا فقال النّبِيُّ ﷺ: «**إلّا الإذخِر إلّا الإذخِر**». قِيل لِأبِي عبدِ الله ـ البخاري ـ أيُّ شيءٍ كتب لهُ؟ قال: كتب لهُ هذِهِ الخُطبة.

وعن أبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ما مِن أصحابِ النّبِيِّ ﷺ أحدٌ أكثر حدِيثًا عنهُ مِنِّي إلّا ما

---

(١) (باب: ٣٩)، من كتاب العلم.

كان مِن عبدِ الله بنِ عمرٍو **فإنه كان يكتُبُ ولا أكتُبُ**)[١].

وأخرج الإمام الدارمي *رحمه الله*: عن عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله عنه قال: كُنتُ أكتُبُ كُلّ شيءٍ أسمعُهُ مِن رسُولِ الله ﷺ أُرِيدُ حِفظهُ، فنهتْنِي قُرَيشٌ، وقالُوا: تكتُبُ كُلّ شيءٍ سمِعتهُ مِن رسُولِ الله ﷺ، ورسُولُ الله ﷺ بشرٌ يتكلّمُ فِي الغضبِ والرِّضا؟ فأمسكتُ عنِ الكِتابِ، فذكرتُ ذلِك لِرسُولِ الله ﷺ فأومأ بِأُصبُعِهِ إلى فِيهِ وقال: «**اكتُب فوالّذِي نفسِي بِيدِهِ ما خرج مِنهُ إِلا حقٌّ**»[٢].

وأخرج *رحمه الله* أيضًا: عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنه قال: بينما نحنُ حول رسُولِ الله ﷺ نكتُبُ، إِذ سُئِل رسُولُ الله ﷺ أيُّ المدِينتينِ تُفتحُ أولاً قُسطنطِينِيّةُ أو رُومِيّةُ؟ فقال النّبِيُّ ﷺ: «**لا، بل مدِينةُ هِرقل أولًا**»[٣].

وأخرج أيضًا: عن ثُمامةُ بنُ عبدِ الله بنِ أنسٍ أنّ أنسًا كان يقُولُ لِبنِيهِ: (يا بنِيّ قيِّدُوا هذا العِلْم)[٤].

وقال أبو الزناد *رحمه الله*: (كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف، يكتبُ كلَّما سمع)[٥].

وقال يحيى بن معين *رحمه الله*ح: (إذا رأيتَ الرجل يخرج من منزله بلا مَحْبَرة ولا قلَم يطلب الحديث، فقد عزَم على الكذْبة؟!)[٦].

📖 **فائدة:**

قال الْقاضِي عياض *رحمه الله*: «كان بين السّلف مِن الصّحابة والتّابعين اختلاف في

---

(١) أرقامها على التوالي (١١١، ١١٢، ١١٣).

(٢) «مقدمة السنن» (٢٠٦/ العرف)، وهو في «الجامع الصحيح» (١/ ٢٥). لشيخنا *رحمه الله*.

(٣) «المقدمة» (٢٠٧/ العرف)، وسنده حسن.

(٤) (٢٠٨) وسنده صحيح.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٢٩) ترجمة: الزهري.

(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٨١).

كتابة العِلم، فكرهها كثيرُون منهُم، وأجازها أكثرُهم، ثُمّ أجمع المُسلمُون على جوازها، وزال ذلك الخلاف.

قلت: وعمدة من كرهها حديث أَبِي سعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال: «**لا تكتُبُوا عنِّي ومن كتب عنِّي غير القُرآنِ فليمحُهُ**»(١). لكن هذا كان أول الأمر، ثم أجمع العلماء على كتابة العِلم.

قال الحافظ ابن حجر *رحمه الله*(٢): «استقرّ الأمر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعُد وُجُوبه على من خشي النِّسيان ممّن يتعيّن عليه تبليغ العلم».

🕮 لا يلقن

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله*: «وينبغي للمتعلِّمين ألا يردُّوا على مَن أخطأ بحَضْرة العالم، ويتركوا العالم حتى يكونَ هو الذي يردُّ عليه»(٣).

ومن أجاب، أو تكلم بما قاله غيره، فقد قارب الكذب إن لم يكُن من الكذب، لأنه ادَّعى ما ليس عنده، وهو من التشبُّع بما لم يُعط، وفيه تعليم للمغالطة، والانتحال، وهو وسيلة للسرقة (أعني السرقة المعنوية)، وهو بابٌ للكسل، ودليل على الغفلة، ولهذا يردُّ العلماء حديثَ الذي يتلقَّن، وفيه مفاسد أخرى.

🕮 أن يذاكر الدرس من حضره معه

وهذا أيضًا من أدب المجلس، أنْ يذاكرَ ما فهمه ووعَاه قلبُه من الحلقة، من العِلْم، سواء كان: أحاديث، أو مسائل فقهيه، أو أخلاقية، أو غيرها.

وهذه المذاكرة بمثابة اجتناء الثمَرة التحصيلية، وتثبيتها، وتأكيدها، وحفظها من الزلل والخلل، وهي تعطي الحاضر دافعًا لشَّهود غيره، ورغبة في مواصلة سيره.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٤).
(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٦٩).
(٣) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٨٨).

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله*[١]: «ثم يعتزل الذين حضروا الدرس، فيتذاكرونه، ويعيد بعضهم على بعض، وينبغي أن يراعي ما يحفظه، ويستعرض جميعه كلما مضت له مدة، ولا يُغفل ذلك، فقد كان بعض العلماء إذا علم إنسانا مسألة من العِلْم، سأله عنها بعد مدة، فإن وجده قد حفظها علم أنه محب للعلم، فأقبل عليه وزاده وإن لم يره قد حفظها وقال له المتعلم: كنت قد حفظتها فأنسيتها أو قال: كتبتها فأضعتها أعرض عنه ولم يعلمه

وأخرج الإمام الدارمي *رحمه الله*: عن أَبِى سعِيدٍ الخُدرِىِّ قال: (تذاكرُوا، فإِنّ الحدِيث يُهيِّجُ الحدِيث) [٢].

وأخرج *رحمه الله* أيضا: عن علقمة قال أنه: (تذاكرُوا الحدِيث، فإِنّ ذِكرهُ حياتُهُ)[٣].

وقال *رحمه الله*: أخبرنا أبو معمر عن هُشيم أخبرنا يونُسُ قال: (كُنّا نأتِى الحسن فإِذا خرجنا مِن عِندِهِ تذاكرنا بيننا)[٤].

وقال ابن جماعة *رحمه الله*[٥]: «وينبغي أن يتذاكر مواظبوا مجلس الشيخ ما وقَع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، وأن يعيدُوا كلامَ الشيخ فيما بينهم، فإنَّ في المذاكرة نفعًا عظيمًا، وينبغي المذاكرة في ذلك عند القيام من مجلسه قبل تفرق أذهانهم، ثم يتذاكرونه في بعض الأوقات».

قال الخطيب *رحمه الله*: «وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل، وكان جماعة من السلف يبدؤون في المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح!».

قال ابن جماعة *رحمه الله*: «فإن لم يجد مَن يذاكره؛ ذاكرَ نفسَه بنفسه وكرَّر معنى ما سَمعه

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠٣،٢٦٣).

(٢) «مقدمة السنن» (٢٣٨/ العرف الوردي)، باب: مذاكرة العلم، وسنده حسن.

(٣) السابق: (٢٤٠)، وسنده صحيح.

(٤) السابق: (٢٤١). وسنده صحيح.

(٥) «تذكرة السامع والمتكلم» (١٤٣ ـ ١٤٤)

ليعلَق ذلك على خَاطره، **وقلَّ أن يُفلح من يقتصر على الفكر والعقل بحضرة الشيخ خاصة ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده»**.

🕮 العمل بما يسمع والتأثر به

العِلْم والقرآن حجَّة لك أو عليك والعمَلُ هو الثمرةُ الحقيقية لحضور مَجَالِس العِلْم والذِّكْر قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

يبين الله تعالى في هذه الآيات ما يحصل لهم على فعْل ما يُوعظون به، **وهو أربعة أمور**:

أحدها: الخيرية في قوله: ﴿**لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ**﴾ أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أُمروا بها، أي: وانتفى عنهُم بذلك صفَة الأشرار، لأنَّ ثبوت الشيء يستلزم نفي ضدّه.

الثاني: حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وُعظوا به، فيثبِّتُهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات، يُوفّقون لفِعْل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعْلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد، فيوفَّق للتثبيت بالتوفيق للصَّبر أو للرِّضا أو للشُّكر، فينزل عليه معونةٌ من الله للقيام بذلك، ويحصُل له الثبات على الدِّين، عند الموت وفي القبر.

وأيضًا فإنَّ العبدَ القائم بما أُمر به، لا يزال يتمرّن على الأوامر الشرعية حتى يألَفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

الثالث: قوله: ﴿**وإِذًا لآتيْناهُمْ مِنْ لدُنّا أجْرًا عظِيمًا**﴾ أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطَر على قلْب بشر.

الرابع: الهداية إلى صراطٍ مستقيم، وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإيثاره والعمل به، وتوقُّف

السعادة والفلاح على ذلك، فمن هُدِي إلى صراط مستقيم، فقد وُفِّق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير[١].

وشهِد الله تعالى، لمن عمل بالعلم بأنَّه ممن أراد الله له الهداية، والرُّشد، وأنه صاحب عقل راجح، وفِقه راسخ، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله في مقدمة كتابه «اقتضاء العِلْم العمل»، وهو يوصينا بوصية بليغة: «إني موصيك يا طالب العِلْم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العِلْم شجرةٌ والعمل ثمرة، وليس يُعدُّ عالما من لم يكُن بعلْمِه عاملًا، وقيل: العِلْم والد والعمَل مولودٌ، فلا تأنَس بالعمل ما دمْتَ مستوحشًا من العِلْم، ولا تأنَس بالعلم ما كنت مقصِّرًا في العمل، ولكن اجْمع بينهما، وإنْ قلّ نصيبك منهما، **وما شيء أضعف من عالم تركَ الناسُ علمَه لفساد طريقته!** وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته، والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجى في العاقبة، إذا تفضَّل الله بالرحمة، وتمّم على عبده النعمة، فأما المدافعة والإهمال، وحُب الهُوينى والاسترسال، وإيثار الخفض والدّعة والميل مع الراحة والسعة، فإن خواتم هذه الخصال ذميمة، وعقباها كريهة وخيمة، **والعلم يُراد للعَمَل كما العمَل يُراد للنجاة**، فإذا كان العمل قاصرًا عن العِلْم، كان العِلْم كلًّا على العالم، ونعوذ بالله من علم عَاد كلًّا، وأورثَ ذُلًّا، وصارَ في رقبة صاحبه غِلًّا.

قال بعض الحكماء: العِلْم خادم العمل، والعمل غاية العِلْم، فلولا العمل لم يُطلب علْمٌ ولولا العِلْم لم يُطلب عمَل، ولأنْ أدَعَ الحقَّ جهلًا به أحبّ إليّ مِن أنْ أدَعه زهدًا فيه، وقال سهْل بن مزاحم: الأمر أضيق على العالم من عقْد التسعين، مع أنَّ الجاهل لا يُعذر بجهالته، لكن العالم أشدّ عذابًا إذا ترَكَ ما عَلم فلمْ يعمَل به».

---

(١) انظر «تفسير» العلامة السعدي رحمه الله (١٥٠).

وأسند الإمام الدارمي عن سُفيان بنِ عُيينة *رحمه الله* أنه قال: (أجهلُ النّاسِ من ترك ما يعلمُ، وأعلمُ النّاسِ من عمِل بِما يعلمُ، وأفضلُ النّاسِ أخشعُهُم لله)[١].

وقال ابن الصلاح *رحمه الله*[٢]: «وليستعمل ما يسمعُه من الأحاديث الواردة بالصلاة والتسبيح وغيرهما من الأعمال الصالحة».

فينبغي لطالب العِلْم أن يتميَّز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السُّنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

قال الحسن *رحمه الله*: (**الذي يفوق الناس في العِلْم جديرٌ أنْ يفوقَهم في العمَل**).

وقال ابن حزم *رحمه الله*[٣]: «فرض على الناس تعلُّم الخير والعمل به، فمن جمع الأمرين فقد استوفى الفضيلتين معًا، ومن علِمَه ولم يعمَل به فقد أحسَن في التعليم، وأساء في ترْك العمَل به، فخلَط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وهو خير من آخَر لم يعلمْه ولم يعمل به».

وقال الماوردي *رحمه الله*: «وليكُن من شِيمتِهِ العملُ بعِلمِهِ، وحثُّ النّفسِ على أنْ تأتمر بما يأمرُ به، ولا يكُن ممّن قال الله تعالى فِيهِم ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥].

قلت: فهذا ذم شديد من الله عز وجل لمن تخلّف عن العمل بعد أن علم، ومثلُه قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٥]، وقال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

---

(١) «مقدمة السنن» (١٥٩)، باب: فضل العِلم والعلماء، وسنده صحيح.

(٢) «المقدمة» (١/ ٧٤٥).

(٣) «الأخلاق والسير» (١٢٩)، ضمن «مجموع رسائل في الأخلاق»، ط: دار البصيرة.

واعلم أن ترك العمل بالعلم من تلبيسات إبليس اللعين.

قال ابنُ الجوزي *رحمه الله*: «وقد لبَّس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مَجَالِس الذِّكْر ويبكُون ويكتفون بذلك ظنًّا منهم أنَّ المقصود إنما هو العمل –يعني مجرَّد الحضور بجثته والسماع– وإذا لم يعمَل بما يسمَع كان زيادةً في الحجة عليه، وإني لأعرف خلقًا يحضرون المجلس منذ سنين، ويبكون ويخشعون، ولا يتغيَّر أحدُهم عما قد اعتادَه من المعاملة في الربا والغش في البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين!، وهؤلاء قد لبَّس عليهم إبليس فأراهم أنَّ حضورَ المجلس والبكاء يدفعُ عنه ما يُلابس من الذنوب، وأرى بعضَهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنهم، وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة، وأقام قومًا منهم للتفرُّج فيما يسمعُونه وأهملوا العمل به»[(١)].

قال ابن عبد البر *رحمه الله* : «ويروى أن سفيان الثوري *رحمه الله* كان يُنشد متمثّلًا ـ وهي لسابق البربري في شعر له مطول ـ:

إذا العِلْـم لم تعمـلْ بـه كـانَ حجـةً ... عليـكَ ولم تُعـذر بـما أنـت جاهِلُـه

فـإنْ كـنتَ قـد أُوتيـت عِلْـما فـإنَّما ... يُصـدِّق قـولَ المـرءِ مـا هـو فاعـلُه

ويروى أن الحسن بن أبي الحسن البصري كان يتمثل بهذا أيضًا والله أعلم[(٢)].

قال ابنُ رجب *رحمه الله* : «**فإذا انقضى مجلس الذِّكْر فأهله بعد ذلك على أقسام:**

– فمنهم من يرجع إلى هواه، فلا يتعلَّق بشيء مما سمعه في مجلس الذِّكْر، ولا يزداد هدى ولا يرتدعُ عن ردَى، وهؤلاء أشر الأقسام، ويكون ما سمعوه حجَّةً عليهم فتزداد به عقوبتهم وهؤلاء الظالمين لأنفسهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [النحل:١٠٨].

– ومنهم من ينتفع بما سمعه، وهم على أقسام: **فمنهم**: من يردُّه ما سمعَه عن

---

(١) «تلبيس إبليس» (٤٤٠)، ط: دار المغني.

(٢) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٩٩، ٧٠١).

المحرَّمات ويوجب له التزام الواجبات وهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين. **ومنهم**: من يرتقي عن ذلك إلى التشمير في نوافل الطاعات والتورع عن دقائق المكروهات ويشتاق إلى إتباع آثار من سلف من السادات وهؤلاء السابقون المقربون»[١].

(١) «لطائف المعارف» (٤٧ـ٤٩) ط: دار ابن كثير.

المبحث الثاني: آداب فيما بين السامع والمتكلم

توقير المعلم والواعظ

وهذا من أهمِّ المهمات، وآكد الواجبات، فبه يتحصَّل الطالب على مطلوبه، ويبارك له فيه. قال النّبِيِّ ﷺ: «**مَن لم يرْحَم صغِيرنا ويعرِف حقَّ كبِيرِنا فليسَ مِنّا**»(١).

وفي الصحيح: عن عُبيد بن حُنينٍ ـ وهُو مولى العبّاسِ ـ قال سمِعتُ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما يقُولُ: كُنتُ أُرِيدُ أن أسألَ عُمر رضي الله عنه عن المرأتينِ اللّتينِ تظاهرتا على عهدِ رسُولِ الله ﷺ ؛ فلبِثتُ سنةً ما أجِدُ لهُ موضِعًا!، حتّى صحِبتُهُ إلى مكّة، فلمّا كان بِمرِّ الظّهرانِ ذهب يقضِي حاجتهُ، فقال: أدرِكنِي بِإداوةٍ مِن ماءٍ، فأتيتُهُ بِها فلمّا قضى حاجتهُ ورجع؛ ذهبتُ أصُبُّ عليهِ وذكرتُ فقُلتُ لهُ يا أمِير المُؤمِنِين: من المرأتانِ فما قضيتُ كلامِي حتّى قال: (عائِشةُ وحفصةُ رضي الله عنهما)(٢).

قال المُهلّب رحمه الله: «وفيه توقير العالم ومهابته عن استفسار ما يخشى من تغيُّره عند ذِكْره، وترقُّب خلوات العالم ليسأل عما لعلَّه لو سُئل عنه بحضْرة الناس أنْكَره على السائل، ويُؤخذ من ذلك مُراعاة المروءة، وفيه مهابة الطالب للعَالم، وتواضُع العالم له وصبْره على مساءَلَتِه، وإن كان عليه في شيء من ذلك غضاضة»(٣).

وبوَّب عليه ابنُ عبد البر رحمه الله (٤): (باب هيبة المتعلم للعالم) وقال: «لم يمنع ابن عباس من سؤال عمر عن ذلك إلا هيبته».

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وأبو داود (٤٩٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٤)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٧)، من طريق سفيان ثنا ابن أبي نجيح عن عبيدالله بن عامر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وهذا سند صحيح، وهو في «الجامع الصحيح» (٥/ ٣١٥) وقال: هذا حديث صحيح، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٦).

(٢) مسلم (١٤٧٩)، والبخاري أيضًا (٤٩١٤)، والحديث مطوَّل، وهذه رواية لمسلم مختصرة.

(٣) «الفتح» (٩/ ٢٩١).

(٤) في «الجامع» (١/ ٤٥٥) ط: ابن الجوزي.

وأخرج عبد الرزاق[١]: عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: (منَ السُّنة أنْ يُوقَّر أربعةٌ: العالم، وذو الشيبة، والسلطان والوالد)، قال: (ويُقال إنَّ من الجفاء أنْ يدعوَ الرجلُ والدَه باسمِه).

شذرات من كلام أهل العِلْم في هذه النقطة:

قال ابنُ عبد البر *رحمه الله*[٢]: «وحقيق على مَن جالسَ عالمًا أنْ ينظرَ إليه بعين الإجلال، ويُنصت له عند المقَال، وأن تكونَ مُراجعته له تفهُّما، لا تعنُّتا، وبقدْر إجلال الطالب للعالم ينتفع بما يفيد منه».

وقال ابنُ الصلاح *رحمه الله*[٣]: «ويعظِّم شيخَه ومَن يَسمع منه، فذلك من إجلال الحديث والعلم، ولا يثقِّل عليه، ولا يطوِّل بحيث يُضجره، فإنه يخشى على فاعل ذلك أن يُحرم الانتفاع. وقد روّينا عن الزهري أنه قال: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب».

وقال النووي *رحمه الله*[٤]: «وينبغي أن يُشاور معلِّمه في أموره ويقبلُ قولَه كالمريض العاقل يقبلُ قولَ الطبيب الناصح الحاذق وهذا أولى، وعليه أن ينظرَ إلى معلِّمه بعين الاحترام، ويعتقدُ كمال أهلِّيته ورُجحانَه على طبقته فإنه أقرب إلى انتفاعه به وكان بعض المتقدِّمين إذا ذهب إلى معلِّمه قال: (اللهم استُر عيبَ معلِّمي عني ولا تُذهب بركةَ علْمِه منِّي)، وقال الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله: (ما اجترأتُ أنْ أشربَ الماءَ والشافعي ينظر إليّ ، هيبةً!).

وفَصَل النووي *رحمه الله* في مقدمة المجموع[٥] فصلًا في: «النهي الأكيد والوعيد

---

(١) «مصنف» عبد الرزاق (١١/ ١٣٧)، وابن عبدالبر في «الجامع» (١/ ٤٥٩)، وسنده صحيح.
(٢) «النبذ في طلب العِلْم» (١٢١) عن «الجامع للآداب» (٧).
(٣) «المقدمة» (١/ ٧٤٦).
(٤) «التبيان» (٣٧).
(٥) (١/ ٢٤).

الشديد لمن يؤذى أو ينتقص الفقهاء والمتفقهين والحث على إكرامهم وتعظيم حرماتهم» .

ومما ذكر فيه؛ قولَ الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر *رحمه الله*: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلَنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أنَّ لحومَ العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقِّصيهم معلومَة، وأنَّ من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلْب، بلاه الله قبل موته بموت القلب».

وقال الخطيب البغدادي *رحمه الله*[١]: «وإذا خاطبَ الطالبُ المحدِّثَ عظّمه في خطابه بنسبته إياه إلى العِلْم، وينبغي أنْ يلاطفَ الفقيه إذا سأله، ويُحسن خطابه».

وقال ابن القيم *رحمه الله*، عند حديث: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء»: «وفيه أيضًا إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم، واحترامهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة، وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أنَّ محبتهم من الدِّين، وبغضَهم مناف للدِّين، كما هو ثابت لمورِّثهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في مورثهم»[٢].

وقال الماوردي *رحمه الله*[٣]: «اعلم أن للمتعلم تملُّقًا إن استعملهُ غنم، وإن تركَه حُرم؛ لأنَّ التملُّقَ للعالم يُظهر مكنونَ عِلْمه، وسببٌ لإدامة صبره وبإظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الإكثار. ثمَّ ليعرفْ له فضْلَ علمه، وليشكرْ له جميلَ فعله.

قال بعْضُ الشُّعراءِ:

إنّ المُعلِّـــم والطّبِيـــب كِـلاهُـــما ... لا ينْصحـــانِ إذا هُمـــا لمْ يُكْـــرما

فاصْـــبِرْ لِـــدائِك إنْ أهنْـــت طبِيبـــهُ ... واصْـــبِرْ لجِهْلِـــك إنْ جفـــوْت مُعلّـــما

ولا يمنعه من ذلك علوُّ منزلته إن كانت له، وإن كان العالم خاملًا؛ فإنَّ العلماء

---

(١) «الجامع» (١/ ١٨٣) ط: مكتبة المعارف. وانظر «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٩٥) ط: ابن الجوزي.
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٦١)، دار ابن عفان. وانظر: «تذكرة السامع والمتكلم» (٨٧ـ٨٨).
(٣) «أدب الدنيا والدين» (٧٥ـ٧٧).

بعلْمهم قد استحقُّوا التعظيمَ لا بالقُدرة والمال، وليحْذَر المتعلِّم البسطَ على مَن يُعلِّمه وإنْ آنسه، والإدلال عليه وإنْ تقدَّمت صُحبتُه، ولا يُظهر له الاستكفاء منه والاستغناء عنْه، فإنْ في ذلك كفرًا لنعمته، واستخفافًا بحقه.

وربما وجدَ بعضُ المتعلِّمين قوةً في نفسه لجودَة ذكائه وحدَّة خاطِره، فقصدَ مَن يُعلِّمه بالإعنات له والاعتراض عليه، إزراءً به، فيكون كمَن تقدَّم فيه المثل السائر لأبي البطحاء: (أُعلمه الرماية كلَّ يوم ❊ فلما اشتدَّ ساعدُه رمَاني). وهذه من مصائب العلماء وانعكَاس حُظُوظهم أنْ يصيرُوا عندَ مَن يُعلِّمُوه مستَجْهَلين، وعند مَن قدَّموه مستَرذَلين!!».

فخلَصْنا من هذا : أنَّه يجب إجلال المعلِّم وتوقيره، لما يحمله من العلم والدِّين، ولما يقوم به من واجب عظيم.

بل ويتعدَّى ذلك إلى توقير الكبير علمًا وسنًّا في مجلس العالم، وتقديمه في القول، وعدَم التقدُّم عليهم، وذلك من توقير الشيخ

قال ابنُ جماعة *رحمه الله*(١): «وعليه أن يتأدَّبَ مع حاضري مجلس الشيخ، فإنه أدبٌ معه، واحترام لمجلسِه، وهُم رفقاؤه، فيوقِّر أصحابَه ويحترم كبراءه».

ويرشد إلى ذلك: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِن الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ**»، فوقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي، قَالَ عَبدُ الله: وَوَقَعَ فِي نَفسِي أَنَّهَا النَّخلَةُ ن فَاستَحيَيتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**هِيَ النَّخلَةُ**»(٢). وفي رواية للبُخاري: «فالتفتُّ؛ فإذا أنا عاشر عشرة، **أنا أحدَثُهُم، فسكتُّ**»(٣)، وفي روية لمسْلم: «وَأُلقِيَ فِي نَفسِي أَنَّهَا النَّخلَةُ فَجَعَلتُ أُرِيدُ أَن أَقُولَهَا **فَإِذَا أَسنَانُ القَومِ فَأَهَابُ أَن أَتَكَلَّمَ**».

قال ابنُ القيم *رحمه الله*: «وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء من أكابرهم، وإجلالهم،

---

(١) «تذكرةُ السَّامع» (١٥٢).

(٢) البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

(٣) البخاري (٥٤٤٤).

وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم»[١].

ومنه حديث سَمُرَةُ بنُ جُندُبٍ رضي الله عنه قال: «لَقَد كُنتُ عَلَى عَهدِ رَسُولِ الله ﷺ غُلَامًا فَكُنتُ أَحفَظُ عَنهُ، فَمَا يَمنَعُنِي مِن القَولِ إِلَّا أَنَّ هَا هُنَا رِجَالًا هُم أَسَنُّ مِنِّي، وَقَد صَلَّيتُ وَرَاءَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى امرَأَةٍ مَاتَت فِي نِفَاسِهَا فَقَامَ عَلَيهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي الصَّلَاةِ وَسَطَهَا»[٢].

تنبيه :

لا نعني بـ: توقير العالم، وتعظيمه: تقليدَه، واعتقادَ صحةِ قولِه مطلقًا، أو التبرُّك به، هذا لا نعنيه من قريب ولا بعيد، بل المقصود: التوقير الشرعي.

وما أحسن مَا قالهُ الماوردي بهذا الصدد، قال رحمه الله: «ولا ينبغي للمتعلِّم أنْ يبعثَه معرفةُ الحقِّ له –العالم– على قبول الشُّبهة منه، فإنه ربما غَلَا بعضُ الأتباع في عالمهم حتى يرَوا أنَّ قولَه دليل! وإن لم يستدِلّ، وأنَّ اعتقادَه حجةٌ، وإن لم يحتجّ، فيُفضي بهم الأمر إلى التسليم له فيما أُخذَ منه.

ولقد رأيتُ من هذه الطبقة رجلًا يناظرُ في مجلس حفْل وقد استدلَّ عليه الخصْم بدلالة صحيحة، فكان جوابُه عنها أنْ قال: إنَّ هذه دلالة فاسدة، وجه فسادها أنَّ شيخي لم يذكرها! وما لم يذكرْه الشيخ لا خير فيه!!.

فأمسك عنه المستدلُّ تعجّبًا؛ ولأنَّ شيخه كان محتَشَمًا.

وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل، ثم أقبلَ المستدِلّ علي وقال لي: والله لقَد أفحمني بجهْلِه، وصارَ سائرُ الناس المبرئين من هذه الجهالة ما بين مستهزئ ومتعجِّب، ومستعيذٍ بالله من جهل مُغْرب.

وإذا كان المتعلِّم معتدلَ الرأي فيمَن يأخذُ عنه، متوسِّط الاعتقاد ممن يتعلَّم منه، حتى

---

(١) «الزاد» (٤/ ٣٩٧).

(٢) البخاري (٣٣٢)، ومسلم (٩٦٤) واللفظ له.

لا يحمله الإعنات على اعتراض المبكتين، ولا يبعثُه الغلوُّ على تسليم المقلِّدين، برئ المتعلِّم من المذمتين، وسلم العالم من الجهتين»[١].

🕮 لا يثقل عليه

وهذا في الحقيقة من توقير العالم، فهو داخل في النقطة السابقة، وإنما أفردتها، لكثرة من يقع في ذلك، وهو لا يشعُر، وسيأتي في فقرة (ترديد الأسئلة) ما يتعلَّق بهذه الفقرة.

قال الآجري رحمه الله [٢]: «ولا ينبغي له أنْ يُضجرَ مَن يُلقِّنه فيزهد فيه، وإذا لقَّنه شكَر له ذلك، ودَعا له، وعظَّم قدْرَه».

وقال ابنُ الصلاح رحمه الله[٣]: «ولا يثقِّل عليه ولا يطوِّل بحيث يُضجره، فإنه يخشى على فاعل ذلك أنْ يحرم الانتفاع.

وقد بين الخطيب البغدادي رحمه الله ضرر إضجار المعلم، بقوله: «والإضجار: يُغير الأفهام، ويُفسد الأخلاق، ويُحيل الطباع»[٤].

وفي الصحيحين[٥] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال «**الصلاة لوقتها**» قال قلت ثمَّ أيّ؟ قال «**بر الوالدين**» قال قلت ثم أي؟ قال «**الجهاد في سبيل الله**»، **فما تركت أستزيده إلا إرعاءً عليه**.

قال النووي رحمه الله [٦]: «فيه رفق المتعلِّم بالمعلِّم ومراعاة مصالحه والشفقة عليه».

🕮 الإنصاف فيه ونشر علمه والثناء عليه

إنَّ من العدل الذي يحبه الله، ويأمر به: إحالة الفضل إلى أهله، والاعتراف بالجميل،

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (٧٧ ـ ٧٨).
(٢) «أخلاق أهل القرآن» (٦١).
(٣) «مقدمة ابن الصلاح» (١/ ٧٤٦).
(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢١٨).
(٥) البخاري (٥٢٧) ومسلم (٨٥).
(٦) «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٦٠).

وشكر ذي النعمة. وإنَّ من الظلم الذي حرّمه الله: كفران النعم، ونكران الجميل، ونسيان المعروف.

وفي سنن أبي داود [١] عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَشكُرُ الله مَن لَا يَشكُرُ النَّاسَ**». فدلّ هذا الحديث: على وجوب شكر المعروف، والاعتراف بالجميل.

وإنَّ مِن أعظَم معروفٍ صُنع إليك: معروف العالم، الذي يهديك سبل الرشاد، ويرفع عنك الجهل، ويعينك على نفسك.

فيتعيَّن شكره، والثناء عليه، وتوقيره، والإقرار بأنه أخذ بيده إلى سبيل النجاة، وهكذا نشر علمه، وفضائله بين الناس، وإبراز المزايا الحسنة من سيرته.

وهذا شأن الفضَلاء من السَّلف مع أشياخهم، وعلمائهم، يحبونهم، ويثنون عليهم، ويعترفون لهم بالجميل، وهذه سِمَةٌ من انتفعَ بعلْمه، وكمْ ترَى من هذا في كتب «السير» و«التاريخ»، وذلك شيء أشهَرُ مِن أن يُذكر.

وفي الجانب الآخر: قوم أردياء، يمكث الواحدُ منهم عند العالم حقْبة من الزمن، يأتيه: صغيرًا، جاهلًا، وضيعًا، خاملًا، ويتخرَّج من عنده، كبيرًا، عالمًا، معروفًا، ثمَّ لا يلبث أن يقْلِبَ لمعلِّمه ظهْرَ المجن!!، ويسَخِّر جهدَه في ثلْب شيخِه، والحطِّ من قَدْره!!؟، شيخه: الذي طالما تعبَ مِن أجْل تعلِيْمه وتربيته، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فإياك إياك أن تكون من هذا الصنف، الرَّدِي الشَّقي.

قال الخطيب *رحمه الله* [٢]: «وكذا يجبُ على المتعلِّم الاعتراف بفضل الفقيه، والإقرار بأن العِلْم من جهته اكتسبه، وعنه أخذه».

وقال الآجري *رحمه الله*: فإذا أحبَّ مجالسة العلماء جالسَهم بأدب، وتواضع في نفسه،

---

(١) (٤٨١١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا *رحمه الله* (٢/ ٣٥١)، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٨١).

فإذا استفاد منهم علما أعلمهم: أني قد أفدتُ خيرًا كثيرًا، ثم شكرهم على ذلك»[١].

وقال ابن جماعة رحمه الله: «(ومن أدب الطالب مع شيخه) أن يعرفَ له حقَّه، ولا ينسى له فضله، ومن ذلك: أن يعظِّم حُرمته، ويردُّ غيبتَه، ويغضبُ لها، فإنْ عجزَ عن ذلك قامَ وفارقَ ذلك المجلس. وينبغي أن يشكرَ للشَّيخ على توقيفِه على ما فيه فضيلَة، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصَة، أو على كسَل يُعانيه، ويُعدّ ذلك من الشيخ من نِعَم الله تعالى عليه باعتناء الشَّيخ به، ونظَره إليه»[٢].

📖 الاستفادة من خُلق وسمْت وأدب المعلِّم

وحسن معاملته وجميل سيرته في معظم حالاته، ولا يقتصر الطالب على أخذ المعلومات فقط، دون أن يستفيدَ من معلِّمه، الأخلاقَ، والمعاملة، والسيرة، والأدب.

قال ابن مفلح رحمه الله [٣]: «وعن الأعمش قال: كانُوا يتعلّمُون مِن الفقيه كُلّ شيءٍ حتّى لباسهُ ونعليه. وقيل لابن المُبارك أين تُريدُ؟ قال: إلى البصرة، فقيل لهُ مَن بقي؟ فقال ابنُ عونٍ آخُذُ من أخلاقه، آخُذُ من آدابه!.

وقال عبدُ الرّحمن بنُ مهديٍّ: كُنّا نأتي الرّجُل ما نُريدُ علمَهُ ليس إلّا أنْ نتعلّمَ من هدْيه وسَمْته ودلِّهِ، وكان عليُّ بنُ المدينيِّ وغيرُ واحدٍ يحضُرُون عند يحيى بن سعيدٍ القطّان ما يُريدُون أن يسمعُوا شيئًا إلّا ينظُرُوا إلى هدْيه وسَمْته.

وقال عبدُ الله بنُ أحمد سمعت ابن عليٍّ بن المدينِيِّ يقُولُ: رأيت في كُتُب أبي ستّة أجزاءٍ: مذهب أبي عبد الله وأخلاقهُ، ورأيت أحمد يفعلُ كذا ويفعلُ كذا، وبلغني عنهُ كذا وكذا.

وذكر الذهبي رحمه الله [٤]: عن الحسين بن إسماعيل، عن أبيه، قال: (كان يجتمع في

---

(١) «أخلاق العلماء» (٣٣).

(٢) «تذكرة السامع» (٩٠، ٩١ ـ ٩٢).

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٤٥). فصل في سمْت العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم وهديهم.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦).

مجلس أحمد زهاءَ خمسَة آلاف أو يزيدُون نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلَّمون منه حُسْن الأدب والسَّمْت!).

🕮 النصح والتنبيه للمتكلم

قد يردُ الخطأ، وسبْق اللسان، والوهم، على المعلم والمذكِّر، فإنه بشر، يعلمُ ويجهل، وينسى ويَذْهَل، فمن غير الجائز أن تُتخذ هذه الهفَوات مطعنًا عليه، بل الواجب أن يُنبّه عليها بكلِّ أدَب، واحترام.

هذا أمْر، والآخر: أنه قد يقعُ في خطأ يحتاج أن يُنصَح فيه إلى الصَّواب، أو يُشار عليه بما يُرى أنه الصَّواب.

وليس ذلك موكولًا إلى كلِّ أحد، فيا لله كم من جاهل ظنَّ أنَّ المعلم أخطأ؛ فبادر بالتصحيح! فيما يزعم، وإنما أُتي من جهله، فكانت شهادةً منه على نفسه بالتعجُّل والجهل، فليس من السَّهل الحكم بخطأ المتكلِّم العالم.

فمَن تيقَّن من أهل القُدرة بحصول الخطأ من المتكلِّم، فلينصح له، بأيسر الطرق التي لا تُشعر بالحطِّ مِن قَدْره. ومن جميل كلام ابن حزم *رحمه الله* ، قوله:

«النصيحة مرتان: فالأولى فرض وديانة، والثانية تنبيه وتذكير، وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع، وليس وراء ذلك إلا التركُّل واللطام، اللهم إلا في معاني الدِّيانة، فواجب على المرء تزداد النصح فيها؛ رَضِي المنصوح أو سَخِط، تأذَّى الناصح بذلك أو لم يتأذّ، وإذا نصحْتَ فانصح سرًّا لا جهرًّا، وبتعريض لا تصريح، إلا أن لا يفْهَم المنصوح تعريضَك، فلا بد من التصريح. ولا تنصَحْ على شرط القبول منك، فإذا تعدَّيت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة ومُلْك لا مؤدِّي حقّ أمانة وأُخوَّة، وليس هذا حُكْم العقل، ولا حكم الصَّداقة، لكن حُكم الأمير مع رعيَّته، والسيد مع عبيده»[1].

وقال ا لخطيب البغدادي *رحمه الله*: «وأما إذا أخطأ الفقيه، وتبيَّن لصاحبه الآخذ عنه

---

(١) «الأخلاق والسير» (٩١).

خطؤه، فإن الصَّاحب [١] يتلطف في ردِّه عليه. حدثني قاضي القضاة أبو عبد الله: محمد بن علي الدامغاني، قال: سمعت القاضي أبا عبد الله الصيمري، يقول: «درَّسَنَا يومًا أبو بكر الخوارزمي، فحكى في تدريسه عن محمد بن الحسن، شيئًا، وهِمَ في حكايته، وكان محمَّد قد نص في الجامع الصغير على خلافه، فلما انقضى تدريسه، تركْت الإعادة على الأصحاب، ومضيت إلى أبي بكر وقد دخَل منزلَه ومعي كتاب الجامع لمحمد بن الحسن، واستأذنت على أبي بكر، فأذِن لي في الدخول، فدخلْتُ، وسلَّمت عليه، ثم قلت له: هاهنا باب فيه شيء قد أشكَل عليَّ، وأحتاج إلى قراءَته على الشيخ، فقال: افعَل، فقرأتُ مِن قَبل الموضع الذي قصدْتُ لأجْله إلى أن انتهيتُ إليه، وجاوَزْته، فقال أبو بكر: قد كنا حكينا في الدَّرس عن محمد بن الحسن شيئًا، والنص هاهنا عنه بخلافه وهو كذا، فعرِّف الأصحاب ذلك حتى يذكُروه ويعلِّقوه على الصواب، أو كما قال»[٢].

ومن أسوأ ما يحصُل للمستمعين حينما يسبق لسان المتكلِّم إلى غير ما يريده؛ ضحكهم منه!؟، بل ليس ذلك من الأدب في شيء.

🕮 لا يداخل المعلم والواعظ ويقاطعه فيما يعلَم

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله* [٣]: «وإذا روَى المحدِّث خبرًا قد تقدَّمت معرفته، فينبغي له أن لا يداخلَه في روايته، ليريَه أنه يَعرفُ ذلك الحديث، فإنَّ مَن فعل مثل هذا كان منسوبًا إلى سوء الأدب».

وقال ابن عبد البر *رحمه الله*: «ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطعَ على جليسك

---

(١) أي الطالب، يطلقون الأصحاب على طلاب الشيخ، يقولون أصحاب ابن مسعود، أصحاب الزهري.

(٢) «الفقيه والمتفقه» (١/ ٢٨٨ـ ٢٨٩). وقال ابن جماعة *رحمه الله*: «إذا تحقَّق خطأ الشيخ في جواب مسألة لا يفوت تحقيقه ولا يعسُر تداركه، فإن كان كذلك كالكتابة في رقاع الاستفتاء وكون السائل غريبًا أو بعيد الدَّار، تعيَّن تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بإشارة أو تصريح، فإنَّ ترك ذلك خيانةٌ للشيخ فيجب نصحه بما أمكن من تلطُّف». «تذكرة السامع» (١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٠٠).

حديثَه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به خبرًا كان أو شعرًا، تتمُّ له البيت الذي بدأ به، وتريْهِ أنّك أحفَظ منه. فهذا غايةٌ في سوء المجالسَة، بل يجبُ أن تُصْغي إليه كأنك لم تسمعْه قط إلا منه!»[1].

📖 عندما يسألُه المعلِّم

فعليه أن يجيبَ بما يعلم، ولا يتكلَّف عِلْم ما لم يعلم، فإن أحال السؤال إلى غيره؛ فليُصْغ إلى الجواب، ليفهَم الصواب، كلَّ ذلك بتواضع.

ولا يأنف من سؤال المعلِّم إياه، ويتبرَّم أنْ قصدَه به، وربما لم يكن عنده جواب، وليحسِن الظن بالمعلم، ولا يظنّ أنَّه أرادَ تعجيزه، أو نحو ذلك، ولا يكُن ممن تسلط الشيطان عليه، فيحمله ذلك على بُغض المعلِّم؛ كما هي طباع أهل السُّوء، والله المستعان.

وإن سأل المعلمُ طالبًا فأخطأَ في الجواب، فليس من الأدب الضَّحِك منه!؟.

📖 لا يرفع للمعلم ما يغضبه

لا ينبغي للطالب أن يرفَعَ للمعلِّم ما يُغضبه أثناء الدرس، وذلك أنه يحتاج إلى راحة بال، وسعةَ صدْر، ليتسنَّى له إلْقَاء الدَّرس مشبّعًا بالفوائد، فإذا ضاقَ صدره؛ ربما ضاق عن نثر الفوائد وشردَت منه، وأدى ذلك إلى قصُور الشرح والإلقاء.

وأيضًا فلا ينبغي تضييق صدْر الشيخ، لشيء لا حاجة لمعرفته، أو طرْحه، ككلام الأقران والحُسَّاد مثلًا.

وقد رفعَ ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرةً للنبي ﷺ كلامًا أغضبه، فعزم على ترك ذلك، وعدم العود إليه، ونعمَّا علَّم غيره.

فقد أخرج الشيخان عنه أنه قال: لمّا كان يومُ حُنينٍ آثر رسُولُ الله ﷺ ناسًا فِي القِسمةِ، فأعطى الأقرع بن حابِسٍ مِائةً مِن الإِبِلِ، وأعطى عُيينة مِثل ذلِك، وأعطى أُناسًا مِن أشرافِ العربِ وآثرهُم يومئِذٍ فِي القِسمةِ، فقال رجُلٌ: والله إِنّ هذِهِ لقِسمةٌ ما عُدِل فِيها

---

(١) «بهجة المجالس».

وما أُرِيد فِيها وجهُ الله!؟ قال فقُلتُ والله لأخبرنّ رسُول الله ﷺ، قال فأتيتُهُ فأخبرتُهُ بِما قال، قال فتغيّر وجهُهُ حتّى كان كالصِّرفِ ثُمّ قال: «**فمن يعدِلُ إن لم يعدِل الله ورسُولُهُ**» قال ثُمّ قال: «**يرحمُ الله مُوسى قد أوذِي بِأكثر مِن هذا فصبَر**» قال قُلتُ: لا جَرَم لا أرفعُ إليه بعدَها حدِيثًا[(١)].

تنبيه:

لا يدخُل في هذا ما إذا انتهكت حُرُمات الله تعالى فلا بأس برفع المنكر إلى العلماء لإنكاره، وإن غضب لله تعالى، والله الموفق.

📖 الاستئذان

الاستئذان من الآداب الرفيعة التي جاء الأمر بها، والتأكيد عليها في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة، ولا تتظافر الأدلة على بيان حكمٍ مَا؛ إلا دلَّ ذلك على مزيّة فيه.

والاستئذان حقٌّ للمستأذَن عليه، وقد قال النبي ﷺ: «**فأعْطِ كُلّ ذِي حقٍّ حقّهُ**»[(٢)].

والذي يهمُّنا معرفته هنا من مسائل الاستئذان، استحباب استئذان القادم على حِلَق العِلْم، عندما يتطلَّبه المكان والحال، واستحباب استئذانه عند انصرافه مطلقًا.

ومما يرشد إلى هذا الأدب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ [النور:٦٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أيضًا أدبٌ أرشدَ اللهُ عبادَه المؤمنين إليه، فكما أمرَهم بالاستئذان عند الدخول (يعني قوله تعالى ـ في نفس السورة ـ ﴿يا أيُّها الّذِين آمنُوا لا تدْخُلُوا بُيُوتًا غيْر بُيُوتِكُمْ حتّى تسْتأْنِسُوا﴾ [النور:٢٧]، كذلك أمرَهم بالاستئذان عند الانصراف ـ لا سيما إذا كانوا في أمْر جامِع مع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، مِن

---

(١) البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) البخاري (١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشوْرة ونحو ذلك -أمرهم الله تعالى ألا ينصَرفُوا عنه والحالة هذه إلا بعدَ استئذانه ومشاوَرَته. وأنَّ مَن يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين»[١].

وقد فسر بعض المفسرين (الأمر الجامع) بأمور خاصَّة!، والصواب عدم القصْر على ما ذكروه، كما قالَ القرطبيُّ رحمه الله[٢]: «القول بالعموم أولى وأرفع وأحسن وأعلى».

وقال ابنُ العربي رحمه الله[٣]: «الآية تدُلُّ بقُوّة معناها على أنّ مَن حضر جماعةً لا يخرُجُ إلّا لعُذر بيِّن أو بإذن قائم من مالك الجماعة ومُقدِّمها؛ وذلك أنّ الاجتماع كان لغرض، فما لم يتمّ الغرضُ؛ لم يكُن للتّفرُّق أصلٌ، وإذا كمُل الغرضُ جاز التّفرُّقُ».

وقال ابنُ مفلح رحمه الله[٤]: قال ابنُ منصُور لأبي عبد الله: إذا جلس رجُلٌ إلى قوم يستأذنُهُم إذا أراد أن يقُوم؟ قال: قد فعلَ ذلك قومٌ؛ ما أحسَنهُ! وقال إسحاقُ بنُ راهويه كما قال».

🕮 تحمُّل المعلِّم إن جفا أو هفا

المعلم والواعظ بطبيعة الحال بشر، يطرأ عليه ما يطرأ على سائر البشر، من الضيق والضجَر. فقد يحصل من المعلم في بعض الحالات ما يعتقده الطالب إساءةً في حقِّه، وحينئذ فالواجب التماس العذر له، وتحمُّله، والصبر على ذلك، وغمر ذلك في حسناته.

وإياك إياك؛ أن تقرّ تلك الهفوة في قلبك، فإن الشيطان يذكِّرك إياها بين الفينة والأخرى!، ثم يوسْوس لك ويُحلِّل؛ حتى يذهبَ بك بعيدًا، صدًّا لك عن الخير، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦، ٣٧] ، وكم من طالب للخير والهدى؛ صُرف عن ذلك الخير بسبب تلْك الوساوس الشيطانية، تقول له:

---

(١) «تفسيره» (٦/ ٢٥٣٤) ط: ابن حزم.

(٢) «تفسيره» (١٢/ ٣٢١).

(٣) «أحكام القرآن» (٣/ ٣٦٢)، ط: إحياء التراث.

(٤) «الآداب الشرعية»، فصلٌ: في الاستئذان في القيام من المجلس.

يا فلان ما لك لا تشهد معنا حلْقة كذا؟، مالك لا تطلب العِلْم في مكان كذا؟، فيجيب: هؤلاء جفاة!؟، هؤلاء لا يقدِّرون قدْر أحد!؟، ونحو ذلك، والله المستعان.

قال النووي رحمه الله[1]: «ومن آدابه ـ أي الطالب ـ أن يتحمَّل جفوة الشيخ وسوء خلُقه، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته، ويتأوَّل لأفعاله وأقواله التي ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة، فما يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق أو عديمُه، وإن جفاهُ الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ، وأظهر أنَّ الذنْب له والعتب عليه، فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة، وأنقى لقلب الشيخ، وقد قالوا: مَن لم يصبر على ذلّ التعليم، بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عزِّ الآخرة والدنيا».

(١) «التبيان» (٤٠). وانظر: «أخلاق أهل القرآن» (٦١) للآجري. و«تذكرة السامع والمتكلم» (٩١) لابن جماعة.

المبحث الثالث: آداب تتعلق بالمجلس

التبكير إلى شهودها ما استطاع

وهو من المسَارعة إلى الخيرات، والمسابقة في الطاعات، وهو دليل على حرص المسلم على الخير والعلم والذِّكْر والهدى.

وقد أثنى الله على مستبقي الخيرات، وحثَّ على التنافُس في القربات، الموصلة إلى الجنات، فقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، وقال ﷺ: «**ولوْ يعْلمُون ما فِي التّهْجِيرِ لاسْتبقُوا إليه**»(١).

والحضور إلى مَجَالِس العِلْم مبكرا؛ فيه فوائد كثيرة:

منها: الوقار والسكينة، إذ قد أعدَّ مكانه، وتهيأ للاستفادة، فإن من يأتي متأخرًا يُشغل عادةً، ويأتي وقد حفزه النفَس، وقد لا يجد المكان المناسب إذا كان المجْلس مزدحمًا.

ومنها: القرب من المعلِّم والمذكِّر، ومَن أوَى آواه الله.

ومنها: إدْراك الخير مِن أوَّله، فإنَّ مَن فاتَه شيء مِن أوَّل المجْلس، صعُب عليه ربْط الأوَّل بالآخر، وربما بعدَ وقت.

ومنها: البركة التي يحصُل عليها. فقد بوَّب الخطيب البغدادي *رحمه الله* في الجامع، باب: (البكور إلى مَجَالِس الحديث)(٢)، وذكر تحته حديث أن النّبِيِّ ﷺ قال: «**اللهمّ بارِكْ لِأُمّتِي فِي بُكُورِها**»(٣).

وقال الخطيب *رحمه الله*: «ينبغي لمن أراد سماعَ الإملاء: البكور، خوفًا من فوات المجْلس بتأخير الحضُور، وأنْ يتعذَّر عليه مع ذلك إعادته، وقد كانَ خلقٌ من طلبة العِلْم

---

(١) البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٤٩).

(٣) حديث حسن لغيره، وقد جاء هذا الحديث عن أكثر من خمسة وعشرين صحابيًّا، بالإضافة إلى بعض المراسيل، وقد قمت بجمعها وبحثها رواية ودراية في جزء مفرد، باسم «الرق المنشور لحديث فضل البكور»، والحمد لله.

بالبصْرة في زمَن علي بن المديني يأخذون مواضعَهم في مجلِسه في ليلة الإملاء! ويبيتون هناك حرصًا على السَّماع وتخوّفًا من الفوات»[١].

📖 من أدب المشي إلى مَجَالِس العِلْم:

قال الآجري رحمه الله [٢]: «يمشي برفْق وحِلْم، ووَقار، وأدب، مُكتسِب في مشْيه كل خير، تارة يحب الوُحدة، فيكون للقرآن تاليًا، وتارةً بالذِّكر مشغولًا، وتارة يحدِّث نفسه بنعم الله عزَّ وجل عليه، ويقتضي منها الشكر، يستعيذُ بالله من شرِّ سَمْعه، وبصَره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه، فإنْ بُلي بمُصَاحبة النَّاس في طريقِه، لم يُصاحب إلا مَن يعود عليه نفعُه، قد أقام الأصحابَ مقام ثلاثة:

- إما رجُل يتعلَّم منه خيرًا إن كان أعلَم منه.
- أو رجل هو مثله في العِلْم فيذاكره العِلْم لئلا ينسى ما لا ينبغي أنْ ينْسَاه.
- أو رجل هو أعلم منه فيعلِّمه، يريد اللهَ عز وجل بتعلِيمِه إيَّاه».

📖 يسلم على الحلقة

أخرج الإمام أبو داود رحمه الله عن عِمران بنِ حُصينٍ رضي الله عنه قال: جاء رجُلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: السّلامُ عليكُم، فردّ عليهِ السّلام ثُمّ جلَس، فقال النّبِيُّ ﷺ: «**عشرٌ**» ثُمّ جاء آخرُ فقال: السّلامُ عليكُم ورحمةُ الله، فردّ عليهِ فجلس فقال: «**عِشرُون**» ثُمّ جاء آخرُ فقال السّلامُ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُهُ فردّ عليهِ فجلس فقال: «**ثلاثُون**»[٣].

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله في «الأدب المفرد»[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا مرَّ على رسول الله ﷺ وهو في مجلسٍ فقال: السلام عليكم، فقال: «**عشر حسنات**»، فمرَّ رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: «**عشرون حسنة**»، فمرَّ رجل آخر

---

(١) «الجامع» (٢/ ١٣٥).

(٢) «أخلاق العلماء» (٣١) بتحقيق: شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله تعالى.

(٣) «السنن» برقم (٥١٩٥).

(٤) (٩٨٦) «صحيح الأدب المفرد».

فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: «**ثلاثون حسنة**»، فقام رجل من المجلس ولم يسلِّم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أوشك ما نسي صاحبكم، إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، وإذا قام فليسلم، ما الأولى بأحق من الآخرة**».

صحَّح الحديثين شيخُنا ـ *رحمه الله* ـ في «الجامع الصحيح»[(١)]، وبوَّب عليهما فقال: (القادم إلى المجلس يُسلِّم). قلتُ: فإن خشي التشويش على مجلس الحديث فليسلم تسليمًا خفيفًا يسمعه من قرب منه، فيحوز الفضيلتين، السلام وعدم التشويش.

📖 يجلس حيث ينتهي به المجلس ولا يتخطى الرقاب

عنْ جابِرِ بْنِ سمُرة رضي الله عنه قال: «كُنّا إِذا أتيْنا النّبِيّ ﷺ جلس أحدُنا حيْثُ ينْتهِي»[(٢)].

خرَّج الحديثَ العلامةُ الألباني *رحمه الله* [(٣)]، وقال: «في الحديث تنبيه على أدب من آداب المجالس في عهد النبي ﷺ، طالما أهملهُ الناس اليوم، حتى أهل العِلْم، وهو أن الرجل إذا دخل المجلس؛ يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولو عند عتبة الباب، فإذا وجد مثله فعليه أن يجلس فيه، ولا يترقَّب أن يقومَ له بعضُ أهل المجلس من مجلسه، كما يفعل بعضُ المتكبرين من الرؤساء، والمتعجرفين من المتمشيخين، فإن هذا منهي عنه صراحة في قوله ﷺ: «**لا يقيم الرجل الرجل من مقعده، ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا**» أخرجه مسلم».

قلت: وأسند الخطيب حديث جابر في «الجامع»[(٤)]، وبوَّب عليه بقوله: (جلوس الطالب حيث ينتهي به المجلس).

قال النووي *رحمه الله* [(٥)]: «ولا يتخطَّى رقابَ الناس بل يجلس حيث ينتهي به المجلس،

---

(١) (٥/ ٥٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٤١).

(٣) (١/ ٢/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨) رقم (٣٣٠).

(٤) (١/ ١٧٤).

(٥) «التبيان» (٣٩)، وبنحوه لابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم بأدب العالم والمتعلم» (١٤٦).

إلا أن يأذَن له الشيخ في التقدُّم أو يعلَم مِن حالهم إيثار ذلك، ولا يقيم أحدًا من موضعه فإنْ آثره غيرُه لم يقبَلْ اقتداء بابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إلا أن يكون في تقديمه مصلحة للحاضرين أو أمرَه الشيخ بذلك».

📖 **تنبيه:**

بوَّب البخاري *رحمه الله* بابًا في صحيحه فقال: باب من قعد حيثُ ينتهِي بِهِ المجلِسُ ومن رأى فُرجةً فِي الحلْقةِ فجلَس فِيها.

وذكرَ حديث أَبِي واقِدٍ اللَّيثِيِّ أنّ رسُول الله ﷺ بينما هُو جالِسٌ فِي المسجِدِ والنّاسُ معهُ إِذ أقبلَ ثلاثةُ نفَرٍ فأقبل اثنانِ إلى رسُولِ الله ﷺ وذهبَ واحِدٌ قال فوقَفَا على رسُولِ الله ﷺ فأمّا أحدُهُما فرأى فُرجةً فِي الحلقةِ فجلس فِيها وأمّا الآخرُ فجلس خلفهُم وأمّا الثّالِثُ فأدبر ذاهِبًا فلمّا فرغ رسُولُ الله صلّى ﷺ قال: «**ألا أخبركُم عن النّفرِ الثّلاثةِ أمّا أحدُهُم فأوى إلى الله فأواهُ الله وأمّا الآخرُ فاستحيا فاستحيا الله مِنهُ وأمّا الآخرُ فأعرض فأعرض الله عنهُ**» (١).

قال الحافظ (٢) *رحمه الله*: «فيه استحباب الأدب في مَجَالس العِلم، وفضل سدّ خلل الحلقة، كما ورد التّرغيب في سدّ خلل الصُّفُوف في الصّلاة، وجواز التّخطِّي لسدِّ الخلل ما لم يُؤذ، فإن خُشي اُستُحِبّ الجُلُوس حيثُ ينتهي كما فعل الثّاني. وفيه الثّناء على من زاحم في طلب الخير».

قال ابن عبد البر *رحمه الله* وهو يشرح هذا الحديث (٣): «وفي هذا الحديث: الجلوس إلى العالم في المسجد، وفيه التخطي إلى الفُرَج في حلْقة العالم، وترك التخطِّي إلى غير الفُرج، وليس مَا جاء من حمد التزاحم في مجلس العالم والحض على ذلك؛ بمبيح تخطِّي الرقاب إليه، لما في ذلك من الأذى، كما لا يجوز التخطِّي إلى سماع الخطبة في الجمعة والعيدين

---

(١) قد تقدم في الفضائل.

(٢) «الفتح» (١/ ١٥٧)، وبنحوه في «شرح السنة» للبغوي (١٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٣) «التمهيد» (١/ ٣١٦).

ونحو ذلك، فكذلك لا يجوز التخطِّي إلى العالم، إلا أنْ يكون رجلًا يفيدُ قربُه من العالم فائدةً ويُثير علمًا، فيجبُ حينئذ أن يُفتح له لئلَّا يؤذي أحدًا حتى يصلَ إلى الشيخ، ومِن شرْط العالم أن يليه مَن يفهم عنه لقَول رسول الله ﷺ: «**لِيَلِني منْكم أولوا الأحْلَام والنُّهى**»، يعني: في الصَّلاة وغيرها ليفهموا عنه، ويؤدُّوا ما سَمعوا كما سمعُوا من غير تبديل معنى ولا تصحيف».

🕮 لا يقيم أحدًا ويجلس في مجْلِسه

قال الإمام البخاري رحمه الله: (باب لا يُقِيمُ الرّجُلُ الرّجُل مِن مجلِسِهِ)[١]. وذكر حديث ابنِ عُمر رضي الله عنهما عن النّبيِّ ﷺ قال: «**لا يُقِيمُ الرّجُلُ الرّجُل مِن مجلِسِهِ ثُمّ يجلِسُ فِيهِ**»[٢]. وقال رحمه الله: باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [المجادلة: ١١]. وذكر حديث ابنِ عُمر رضي الله عنهما عن النّبيِّ ﷺ: «**أنه نهى أن يُقام الرّجُلُ مِن مجلِسِهِ ويجلِس فِيهِ آخرُ ولكِن تفسّحُوا وتوسّعُوا**»، (وكان ابنُ عُمر يكرهُ أن يقُوم الرّجُلُ مِن مجلِسِهِ ثُمّ يجلِس مكانه)[٣].

قلت: وأسنده الخطيب في «الجامع»[٤]، وبوَّب عليْه بقولِه: «الكراهةُ له أنْ يقيمَ رجلًا ويجلس مكانه».

قال الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله: «قال ابنُ أبي جمرة: هذا اللّفظ عامّ في المجالس، ولكنّهُ مخصُوص بالمجالس المُباحة:

- إمّا على العُمُوم كالمسَاجد ومجالس الحُكّام والعلم.
- وإمّا على الخُصُوص كمَن يدعُو قومًا بأعيانهم إلى منزلِهِ لوليمةٍ ونحوها.
- وأمّا المجالس الّتي ليس للشّخْص فيها ملك ولا إذن لهُ فيها فإنه يُقام ويُخرج منها،

---

(١) صحيح البخاري (ك: الاستئذان، ب: ٣١).
(٢) (٦٢٦٩)، مسلم (٢١٧٧).
(٣) (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).
(٤) (١/ ١٧٤).

قال: والحكمة في هذا النّهي منع استنقاص حقّ المُسلم المُقتضي للضّغائن، والحثّ على التّواضُع المُقتضي للمُوادة، وأيضا فالنّاس في المُباح كُلّهم سواء، فمَن سبق إلى شيء استحقّهُ، ومَن استحقّ شيئًا فأخذ منهُ بغير حقّ فهُو غصْب والغصب حرام»[١].

قال القرطبي رحمه الله[٢]: «وقوله: «**ولكن تفسَّحوا وتوَسَّعُوا**»: هذا أمرٌ للجلوس بما يفعلون مع الداخل، وذلك أنه لما نُهي عن أنْ يُقيمَ أحدًا من موضعِه، تعيَّن على الجلوس أن يوسِّعوا له ولا يتركوه قائما، فإنَّ ذلك يؤذيه، وربما يُخجِله».

🕮 هل يقومُ من مجلس ليجْلس فيه أحد

إذا قام له أحد من نفسه، فهل للداخل أن يجلس في مجلسه ذلك؟. تقدَّم أنَّ ابنَ عمر رضي الله عنه: «**كَانَ يكرهُ أن يقُوم الرّجُلُ مِن مجلِسِهِ ثُمّ يجلِس مكانه**».

وجزم الخطيب رحمه الله بالكراهة وإن قام له عن مجلسه باختياره[٣]. وساق من طريق أبي داود حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: «جاء رجُلٌ إلى رسُولِ الله ﷺ فقام لهُ رجُلٌ مِن مجلِسِهِ فذهب لِيجلِس فِيهِ فنهاهُ رسُولُ الله ﷺ»[٤].

وقال العلامة الألباني رحمه الله: «وهو ظاهر الدِّلالة على أنه ليس من الآداب الإسلامية أن يقومَ الرجلُ عن مجلسه ليجلِسَ فيه غيرُه، يفعل ذلك احترامًا له، بل عليه أنْ يفسَح له في المجلس، وأن يتزحزحَ له إذا كان الجلوس على الأرض، بخلاف ما إذا كان على الكرسي، فذلك غير ممكن، فالقيام والحالة هذه مخالف لهذا التوجيه النبوي الكريم، ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه (يكره أن يقوم الرجل من مجلسه، ثم يجلس هو فيه)،

---

(١) «الفتح» (١١/ ٦٣) باختصار.

(٢) «المفهم» (٥/ ٥١٠).

(٣) «الجامع» (١/ ١٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٢٨)، وفي سنده أبو الخصيب زياد بن عبد الرحمن، قال الحافظ: مقبول، أي إن توبع وإلا فليّن، لكن للحديث شواهد يحسَّن بها، ذكرها العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١/ ١/ ٤٥٠ ـ ٤٥٣) رقم (٢٢٨).

والكراهة هو أقلّ مَا يدلُ عليه».

وقد قرَّر هذا أيضًا النووي *رحمه الله*، باستثناء جيِّد، فقال: «فإن آثره غيرُه؛ لم يقبَل، اقتداءً بابن عمر رضي الله عنه، إلا:

- أن يكونَ في تقديمِه مصلَحةٌ للحاضريْنَ.
- أو أمرَه الشيخ بذلك»[١].

وقال الحافظ ابن حجر *رحمه الله* [٢]: «وفي الحديث من الفوائد: أنَّ مَن سبَق إلى مجلس علم، أو مجلس رئيس، لا يُنحَّى منه لمجيء مَن هو أولى منه بالجلوس في الموضع المذكور، بل يجلس الآتي حيث انتهى به المجلس، **لكنْ إن آثرَه السَّابق جاز**».

وقال ابن عبد البر *رحمه الله* [٣]: «ومَن تقدَّم إلى موضع فهو أحقُّ به، ألا أنْ يكونَ ما ذكرنا من قرب أُوْلى الفهم من الشيخ، فيُفسَح له، ولا ينبغي له أن يَتَبطَّأَ ثم يتخطَّى إلى الشيخ ليُري الناس موضعَه منه، فهذا مذموم، ويجب لكلِّ من عُلم موضعُه أن يتقدَّم إليه بالتبكير، والبكور إلى مجلس العالم كالبكور إلى الجمعة في الفضل إن شاء الله».

📖 لا يجلس بين اثنين بدون إذن

أخرج الإمام أبو داود *رحمه الله* عنْ عمْرِو بْنِ شُعيْبٍ عنْ أبِيهِ عنْ جدِّهِ أنّ رسُول الله ﷺ قال: «**لا يُجْلسْ بيْن رجُليْنِ إلّا بِإذْنِهِما**»[٤].

وفي رواية: «**لا يحِلُّ لِرجُلٍ أنْ يُفرِّق بيْن اثْنيْنِ إلّا بِإذْنِهِما**»[٥].

---

(١) «التبيان» (٣٩).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٩٠) عند حديث أنس «الأيمن فالأيمن» وهو في البخاري (٥٦١٢) ومسلم (٢٠٢٩). وقوله: جاز، لأنه آثَرَهُ بحقِّه عن طيبةٍ من نفسِهِ. مع قولنا بالكراهة بالنسبة للجالس.

(٣) «التمهيد» (١/ ٣١٦)، وقوله: (ما ذكرنا) يشير إلى ما نقلته عنه في فقرة (يجلس حيث ينتهي به المجلس).

(٤) (٤٨٤٤).

(٥) (٤٨٤٥).

قلت: سنديهما حسن.

وأسنده الخطيب *رحمه الله* في «الجامع»[١] من طريق أبي داود، وبوَّب عليه بقوله: (كراهية الجلوس بين اثنين بغير إذنهما). وقال *رحمه الله*: «ومتى فسَحَ له اثنان ليجلسَ بينهُما فعلَ ذلك، لأنها كرامة أكرمَاه بها، فلا ينبغي أنْ يردَّها، وعليه أنْ يجمعَ نفسه».

وقال النووي *رحمه الله*: «ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما، وإن فسحا له؛ قعَد وضمَّ نفسه»[٢].

وقال ابن عبد البر *رحمه الله*[٣]: «قال بعضُ الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقّهما:

- رجلٌ وُسِّع له في مجلسٍ ضيّق فتربّع وتفتَّح.
- ورجلٌ أُهدِيتْ إليه نصيحةٌ فجعلَها ذنبًا».

📖 لا يجلس في مجلس أحد قام وهو يريد أنْ يعود

روى الإمامُ مسلم *رحمه الله* عنْ أَبِي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال «**منْ قام مِنْ مجْلِسِهِ ثُمّ رجع إليه فهُو أحقُّ بِهِ**»[٤].

قال النووي *رحمه الله* في الشرح: «قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاةٍ مثلًا، ثُمّ فارقهُ ليعُود، بأن فارقهُ ليتوضّأ أو يقضي شُغلًا يسيرًا ثُمّ يعُود لم يبطُل اختصاصه، بل إذا رجع فهُو أحقّ به في تلك الصّلاة.

فإن كان قد قعد فيه غيره فلهُ أن يُقيمهُ، وعلى القاعد أن يُفارقهُ لهذا الحديث. هذا هُو الصّحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على مَن قعَد فيه مُفارقته إذا رجعَ الأول.

قال بعض العُلماء: هذا مُستحبّ، ولا يجب، وهُو مذهب مالك، والصّواب الأوّل».

---

(١) (١/ ١٧٧)، (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) «التبيان» (٣٩).

(٣) «بهجة المجالس»

(٤) (٢١٧٩). وبوَّب عليه الخطيب *رحمه الله* في «الجامع» (١/ ١٧٩): (كراهة القعود في موضع من قام وهو يريد العود إلى المجلس).

🕮 المبادرة إلى مَجَالس العلْم خشية أن يقتطع عنها

فإنَّ العمرَ قصيرٌ، والوقت يمرُّ مرَّ السحاب، والصَّوارف أكثر من أنْ تُحصَر، وأنت اليوم في فراغ، وغدًا في شُغل، واليوم في سَعة، وغدًا في ضيق. يقول النبي ﷺ: «**نعْمتان مغْبُونٌ فيهما كثيرٌ منْ النّاس الصّحّةُ والْفراغُ**»(١).

قال ابن الجوزي *رحمه الله*: «قد يكون الإنسانُ صحيحًا ولا يكون متفرّغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعَا فغلبَ عليه الكسَل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أنَّ الدُّنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحُها في الآخرة، فمن استعمل فراغَه وصِحَّته في طاعة الله فهو المغبوْط، ومَن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأنَّ الفراغ يعقبُه الشغْل، والصحة يعقُبها السَّقم»(٢).

وقال ﷺ: «**بادرُوا بالأعمال فتنًا كقطع اللّيل المُظلم يُصبحُ الرّجُلُ مُؤمنًا ويُمسي كافرًا أو يُمسي مُؤمنًا ويُصبحُ كافرًا يبيعُ دينهُ بعرضٍ من الدُّنيا**»(٣).

قال النووي *رحمه الله*: «في الحديث: الحثُّ على المبادرة إلى الأعمال الصَّالحة قبل تعذُّرها، والاشتغال عنها بما يحدُث من الفتن الشَّاغلة المتكاثرة المتراكِمَة».

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ بالحرص على ما ينفَع، فقال ﷺ: «**احْرصْ على ما ينْفعُك واسْتعنْ بالله ولا تعْجزْ**»(٤).

وليس ثمَّ أنفع من حَلَقات العلْم، المتضمنة لقوت القُلوب، وحياة الشعوب، فينبغي الحرص الشديد عليها، والتردُّد إليها، قبل فوات الفرصة، وحضور ساعة الندم.

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله* (٥): «ينبغي لمن اتسع وقته وأصح الله تعالى له جسمه،

---

(١) البخاري (٦٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٠).
(٣) مسلم (١١٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٧٠).

وحبّب إليه الخروج من طبقة الجاهلين، وألقَى في قلبه العزيْمَة على التفقُّه في الدِّين، أنْ يغتنمَ المبادرَة إلى ذلك، خوفًا من حُدوث أمر يقتطعُه عنه، وتجدُّد حال يمنعُه منه».

وقال رحمه الله [١]: «التفقُّه في زمن الشبيبة وإقبال العُمر، والتمكُّن منه بقلَّة الأَشغال، وكمال الذِّهن وراحة القريحة:

- يرسَخُ في القلب.
- ويَثبتُ.
- ويتمكَّنُ.
- ويستَحْكم، فيحصُل الانتفاع به والبركة، إذا صَحِبه مِن الله حُسن التوفيق.

وإذا أهملَ إلى حالة الكِبر المغيِّرة للأخلاق، الناقصَة للآلات، كان كما قال الشاعر:

إذا أنـــت أعيـــاك الـــتعَلُّم ناشـــئًا فمطلَبُـــه شـــيخًا عليْـــكَ شَـــديدُ

وقال النووي رحمه الله [٢]: «وينبغي أنْ يأخُذَ نفسَه بالاجتهاد في التحْصِيل في وقتِ الفَراغ، والنشاط، وقوَّة البدن، ونبَاهة الخاطر، وقِلَّة الشاغلات، قبل عوارض البطالة، وارتفاع المنزلة».

📖 الالتفاف والاجتماع في المجلس

وهذا أيضًا من الآداب المهمة في مجالس الذكر والعلم، الالتفاف، بحيث ينضمُّ بعضُهم إلى بعض، ولا يتفرَّقوا عند الأعمدة، والجدُر، وفي أطراف المسجد.

أخرج الإمام أبو داود رحمه الله عن أبي ثعلبة الخُشنيِّ رضي الله عنه قال: (كان النّاسُ إذا نزلُوا منزلًا تفرّقُوا في الشّعاب والأودية فقال رسُولُ الله ﷺ: «**إنّ تفرُّقكُم في هذه الشّعاب والأودية إنّما ذلكُم من الشّيطان**».

فلم ينزل بعد ذلك منزلًا إلّا انضمّ بعضُهُم إلى بعضٍ، حتّى يُقال لو بُسط عليهم ثوبٌ

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٧٩).

(٢) «التبيان» (٤١).

لعمّهُم[١].

وقد مضى حديث أبي واقدٍ اللّيثيّ رضي الله عنه: «أنّ رسُول الله ﷺ بينما هُو جالسٌ في المسجد والنّاسُ معهُ، إذ أقبلَ ثلاثةُ نفرٍ فأقبل اثنان إلى رسُول الله ﷺ، وذهب واحدٌ، قال: فوقَفَا على رسُول الله ﷺ فأمّا أحدُهُما فرأى فُرجةً في الحلْقة فجلس فيها ... الحديث.

قال الحافظ رحمه الله: «وفيه استحباب التّحليق في مجَالس الذّكر والعلم، وفضل سدّ خلل الحلْقة، وفيه الثّناء على من زاحم في طلب الخير»[٢].

والتحلُّق والاجتماع في مجَالس العلْم، من هدي النبي ﷺ في مجالسه مع أصحابه.

وقد ورد فيه أحاديث كثيرة وذكرنا منها هنا ما فيه كفاية، وأبان العلامة ابن مفلح رحمه الله أنها كثيرة وذكر جملةً منها[٣].

📖 الاشتغالُ بالذِّكر

ينبغي للمُسلم أنْ يعمرَ وقتَه بذِكْر الله تعالى، امتثالًا لأمْر الله واقتداء بالنبي ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٩١].

وفي سنن أبي داود[٤] من حديث ابْن عُمر رضي الله عنهما قال: «إنْ كُنّا لنعُدُّ لرسُول الله ﷺ في المجْلس الواحد مائة مرّةٍ: «**ربّ اغْفر لي وتُب عليّ إنّك أنْت التّوّابُ الرّحيمُ**».

فمَن كانَ في مجلس عِلْمٍ فليستغِلّ الأوْقَات التي قَبل بدْء المتكلِّم، وهكذا الفواصل التي في أثناء الدَّرس؛ بذكْر الله تعالى، وينشغل بالتسبيح والاستغفار، ونحو ذلك، فإنه

---

(١) السنن برقم (٢٦٢٨)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا رحمه الله (٢/ ٢٦٢)، وقال: هذا حديث صحيح، والوليد بن مسلم وإن كان مدلسا؛ فقد صرَّح بالتحديث عند الإمام أحمد (٤/ ١٩٣).

(٢) «الفتح» (١/ ١٥٧)، ومضى نحوه من كلام القرطبي رحمه الله، في فقرة: «كيف يجلس».

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ٧٦).

(٤) برقم (١٥١٦)، ذكره شيخنا في «الجامع الصحيح» (٥/ ٢٩٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين.

من أعظم الأسباب التي تفتح له أبواب العلْم والفهم والمعرفة[١].

وقد كنت في حلْقة شيخِنا العلامة الوادعي رحمه الله مرَّة، فاستنصت الطلاب فقال: لا أرينَّ رجلًا يحرِّك شفتيه، إلا بذكر الله.

فنفع الله باستثنائه ذلك، وأنا ممن انتفعَ به، ونبَّه به كثيرًا من الغافلين.

كفارة المجلس

يُستحبُّ لمن قَام من مجلسه، أيّ مجلس كان، أنْ يقولَ هذا الذّكْر العظيم، الذي علَّمناهُ حبيبنا المصطفى ﷺ، بقوله وفعله.

وهذا الذّكْر هو: «**سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**».

ومِن أصحِّ مَا ورد فيه:

ـ عن السَّائب بن يزيد رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من إنسان يكونُ في مجلس فيقول حين يريد أنْ يقومَ: سُبحانك اللهمَّ وبحمْدِكَ لا إلهَ إلا أنتَ أستَغْفركَ وأتُوب إليْكَ، إلا غُفر لهُ مَا كَان في ذلك المجْلِس**»[٢].

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلسًا قطُّ ولا تلا قرآنًا ولا صلَّى صلاة إلا خَتم ذلك بكلمات، قالت فقلتُ يا رسول الله: أراك ما تجلس مجلسًا ولا تتلو قرآنًا ولا تصلِّي صَلاةً إلا ختمْتَ بهؤلاء الكلمات؟، قال: «**نعم مَنْ قالَ خيرًا خُتم لهُ طابع على ذلك الخير، ومَن قال شرًا كنَّ له كفَّارة: سُبحانك وبحمْدِك لا إله إلا أنْتَ أستَغْفرُك وأتوبُ إليك**»[٣].

---

(١) وهكذا المعلم إذا أمسك عن التحديث خلال المجلس للاستراحة؛ يذكر الله تعالى في تلك الحالة، وقد كان جماعة من أكابر السلف يفعلون ذلك انظر «الجامع» للخطيب (١/ ٤١٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٠)، وسنده صحيح.

(٣) رواه أحمد (٦/ ٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (٢/ ٩٧) و(٩/ ١٥٣). والحديثان في «الجامع الصحيح» (٥/ ٢٩٥) لشيخنا رحمه الله، وقد ختمَ الحافظ ابن حجر رحمه الله كتابه «فتح الباري»؛ بالكلام على هذا الحديث، وجمع طرقه، فراجعه إن شئت فقد جمع فأوعى.

قال ابنُ عبد البر رحمه الله: «كفارةُ مَا يكونُ في المجلس من اللّغط أن تقولَ: «**سبحانك اللّهمّ وبحمدك، لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».

- فإنْ كانَ مجلس لغْوٍ كان كفّارته.

- وإن كان مجلس ذِكْرٍ كان كالطّابع عليه.

وروي عن جماعةٍ من أهل العلْم بتأويل القرآن، في قول الله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور:٤٨]، منهم مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا: حين تقوم مِن كلِّ مجلس تقول فيه: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك**»، قالوا: ومَن قالها غُفر له ما كان منه في المجلس. وقال عطاء: (إنْ كنت أحسنتَ: ازدَدْتَ إحسانًا، وإن كانَ غير ذلك كان كفَّارة)[١].

قلتُ: وقال بعضُ المفسرين:

- ﴿حين تقُومُ﴾ أي: من نومك، فحملَه على قيام الليل! وضُعِّف هذا القول؛ لقوله بعد هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩].

- وقيل: صلِّ صلاة الظُّهر إذا قُمْت من نوم القائلة واستظْهَره ابنُ جرير رحمه الله في «تفسيره»[٢].

- وقيل: المعنَى سبِّح حينَ تقوم في الصَّلاة، تقول: «**سُبْحانكَ اللهم وبحمدك**..» حُكي عن الضحاك.

قال الشوكاني رحمه الله: «وفيه نظر؛ لأنَّ التكبير يكون بعد القيام لا حالَ القيام، ويكون التسبيح بعد التكبير، وهذا غير معنى الآية».

قلتُ: الآية مطْلقة، وتقييدها بحالة خاصَّة يحتاج إلى دليل، والأقوال في هذه الآية تفاسير جزئية، فلا تنافي بينها، كما نبَّه على هذا شيخ الإسلام رحمه الله في رسالته في «أصول

---

(١) «بهجة المجالس».

(٢) (٢٢/ ٤٨٩) ط: شاكر.

التفسير».

وفي كلام الإمام ابن عبد البر رحمه الله إشارة إلى تقوية أنها في كفارة المجلس، ورجَّحه الشوكاني رحمه الله.

المبحث الرابع : في الأسئلة

السُّؤال عن العِلْم من الأمور المطلوبة المأمور بها، ولكنَّه ليس مفتوحًا، ولا ممدُوحًا مطلقًا، بل لهُ حالات، وأحوال.

والأسئلة الممدوحة لها: غاية، وهدف، وكيفية، ووصف، ووقت، وآداب مختلفة، يأتيك ذكرها في الفقرات الآتية إن شاء الله.

🕮 صفَة سؤال المتعلِّم

بيَّن ابنُ حزم *رحمه الله* الهدَف والغاية من سؤال المتعلِّم، وبعض صفته وآدابه فقال *رحمه الله* [١]: «وصفة سؤال المتعلِّم: أن تسأل عما لا تدْري لا عما تدري! فإن السؤال عما تدريْه سخفٌ، وقلَّة عقْل، وشغل لكلامك، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك، وربما أدَّى إلى اكتساب العدَاوات، وهو بعدُ عينُ الفُضول، فيجبُ عليك أن لا تكونَ فضُوليًا فإنها صفةُ سُوء.

فإنْ أجابَك الذي سألتَ بما فيه كفاية لك، فاقطعْ الكلام، وإن لم يجبْك بما فيه كفاية أو أجابكَ بما لم تفْهَم، فقل له: لم أفهم واستزدْه، فإن لم يزدْك بيانًا وسكَت، أو أعادَ عليك الكلامَ الأول ولا مزيد، فأمسكْ عنه، وإلا حصَّلت على الشر والعداوة، ولم تحصُل على ما تريد من الزيادة.

وإياكَ وسؤال المعنِّت، ومراجعةَ المكابر، الذي يطلبُ الغلبةَ بغير عِلْم، فهُما خُلُقَا سوء، دليلان على قلَّة الدِّين، وكثرة الفضول، وضعف العقل، وقوة السخف، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

🕮 الملاطَفَة في السؤال

قال الخطيبُ البغدادي *رحمه الله* [٢]: «وينبغي أنْ يلاطفَ الفقيهَ إذا سألهُ ويحسنُ خطابَه،

---

(١) «الأخلاق والسير» (١٢٨ ـ ١٢٩).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٩٥)، وانظر فتح الباري حديث (٦١٨٤).

وإنْ فدَّاه بأبويه فلا بأس بذلك».

وقال رحمه الله[١]: «ينبغي للطالب أن يلاطفَ المحدِّث في المسألة، ويرفق به ويخاطبه بالسؤدد، ويديم الدعاء له، فإن ذلك سبيل إلى بلوغ أغراضه منه».

وما تقدَّم من الملاطفة والأدب مع العالم في سؤاله ونحوه، عليه عمل السلف، وهكذا كان حال الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، مع النبي ﷺ، «**والعلماء ورثة الأنبياء**»، وليس ذلك من التقديس المنْهي عنه، بل من التوقير المأمور به.

وإليك مثالان على هذا من حال الصحابة رضي الله عنهم: روى الإمام مسلم[٢] من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ وفد عبد القيس لما أتوا نبي الله ﷺ قالوا: يا نبي الله **جعلنَا الله فداءَك** ماذا يصلح لنا من الأشربة؟ فقال: «**لا تشربوا في النقير**» الحديث.

وروى الحاكم في المستدرك [٣] عن فضالة بن عبيد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم على راحلته وأصحابه معه بين يديه، فقال معاذ بن جبل: يا نبي الله أتأذن لي في أنْ أتقدَّم إليك على طيبة نفس؟ قال: «**نعم**» فاقترب معاذٌ إليه فسارَا جميعًا، فقال معاذ: بأبـي أنت يا رسول الله، أن يجعل يومنا قبل يومك أرأيت إن كان شيء ولا نرى شيئا إن شاء الله تعالى فأي الأعمال نعملها بعدك؟ فصمَت رسول الله ﷺ فقال: «**الجهاد في سبيل الله**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**نعم الشيء الجهاد، والذي بالناس أملك من ذلك فالصيام والصدقة**» قال: «**نعم الشيء الصيام والصدقة**» فذكر معاذ كل خير يعمله ابن آدم فقال رسول الله ﷺ: «**وعاد بالناس خير من ذلك**» قال: فماذا بأبي أنت وأمي عاد بالناس خير من ذلك؟ قال: فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه قال: «**الصمت إلا من خير**» قال: وهل نؤاخذ بما تكلمت به ألسنتنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٠٩).

(٢) (١٨ / ٢٨/ نووي)، وانظر البخاري (٦٤٤٣).

(٣) (٤/ ٢٨٦)، وذكره شيخنا رحمه الله في «الجامع الصحيح» (١/ ١٢٥) وصححه، وأثبتّ الحديث بطوله للفوائد التي فيه.

معاذ، ثم قال: «**يا معاذ ثكلتك أمُّك - أو ما شاء الله أن يقول له من ذلك - وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في جهنَّم إلا ما نطقَتْ به ألسنتُهم فمَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليَسْكُت عن شرٍّ، قولُوا خيرًا تغنمُوا واسكتُوا عن شرٍّ تسلَمُوا**».

قلت: وفي هذا الحديث أنَّ من الملاطفة في السؤال: أن يستأذنه في إلقاء سؤاله.

وفي البخاري[١] عن سعيد بن جبير *رحمه الله* قال: إنا لعند ابن عباس في بيته، إذ قال: سلوني، قلت: يا أبا العباس جعلني الله فداءَك، بالكوفة رجلٌ قاصّ يقال له: نوف ...» وذكر الحديث.

📖 متى يسأل

ينبغي للطالب أن يتحيَّن الوقت المناسب لإلقاء سؤاله، فليس كلّ وقت صالح لذلك. ومتى فعل ذلك ظفر بمطْلُوبه.

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله*: «وليتجنب الطالبُ سؤالَ المحدِّث إذا كان قلبه مشغولًا، وليتحيَّن أن يسأله عند طيب نفسه، وليتَّقِ سؤالَه عند الغضب، وكذلك لا يسأله حين يشتد فرحُه، لأنه في تلك الحال يتغير فهمُه، وهكذا إذا رآه يحدِّث نفسه بشيء، أو كان مشغولَ القلب، فليصدف عن سؤاله في تلك الحال»[٢].

ومما استدل به الخطيب *رحمه الله* ما أسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال: «**سلوني**». فقام رجل فقال يا رسول الله من أبي؟ قال «**أبوك حذافة**» ثم قام آخر فقال يا رسول الله من أبي؟ فقال «**أبوك سالم مولى شيبة**» فلما رأى عمرُ ما بوجْه رسول الله ﷺ من الغضَب قال: إنا نتوب إلى الله عز وجل[٣].

* وسئل الثوري مرَّة عن مسألة، وهو يشتري شيئًا!، فقال: دعْني، فإنَّ قلبي عند

---

(١) برقم (٤٧٢٦).

(٢) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢١٢)، و«الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٩٦).

(٣) البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩).

درهمي[١].

وفي مقابل ذلك: فالطالب نفسه ينبغي أنْ يسألَ في الوقت الذي يعرف من نفسه شدة الانتباه، والتيقُّظ، ليستوعبَ ما يُقال له.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله[٢]: «وينبغي ألَّا يسألَ الفقيهَ أنْ يذكرَ له شيئًا إلا ومعه سلامةُ الطبع وفراغ القلْب، وكمال الفهم، لأنه إذا حضرَه ناعسًا أو مغمومًا، أو مشغولَ القلب، أو قد بطِرَ فرحًا، أو امتلأ غضبًا لم يقبل قلبُه ما سمع وإن ردَّد عليه الشيء وكرَّر، فإنْ فهم لم يثبُت في قلبه ما فهمه حتى ينساه، وإن استعجم قلبه عن الفهم، كان ذلك داعية للفقيه إلى الضجر وللمتعلِّم إلى الملل.

وكلما ذكرتُ أنه يلزم المتعلم افتقادَه من نفسه، فإن على الفقيه مثله إلا أن المتعلم يحتاج من ذلك إلى أكثر مما يحتاج إليه الفقيه، لأنه يريدُ أن يسمَع ما لم يكن سمعَه من قبل، فيريد أن يتعرَّفه، وأن يحفظه، والفقيه فهِمٌ لما يريد أنْ يُلقِيه، حافظ لما يقصد أن يحكيه ـ فإذا كان الفقيه من الحفظ والمعرفة على ما ذكرت، ويلزمه من افتقاد نفسه ما وصفت؛ والمتعلم يريد أن يُلقي إلى قلبه ما لا يعرفه، وقلبه نافر عنه، ونفسه تستثقل التعب، والإكباب على الطلب: فهو يحتاج من فراغ القلب إلى أكثر مما يحتاج إليه الفقيه، ويحتاج إلى صبر شديد على الاستذكار والترديد».

📖 لا يمنعه الحياء من السؤال

قال الخطيب البغدادي رحمه الله[٣]: «وينبغي أن لا يمنعه الحياء من السُّؤال عن أمر نزلَ به، فإنْ غلبَ عليه الحياء، واحتشم من سؤال الفقيه؛ ألقَى مسألتَه إلى مَن يأنس به وينبسط عليه ليسألَ الفقيهَ عنها ويخبره بحكمها».

ثم أسند حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ رجُلًا مذّاءً، وكُنْتُ أسْتحْيي أنْ أسْأل النّبيّ ﷺ

(١) «سير النبلاء» (٧/ ٢٤١).
(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٩٩).
(٣) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٩٩).

لمكان ابْنته، فأمرْتُ الْمِقْداد بْن الْأَسْود فسألهُ فقال: «**يغْسلُ ذكرهُ ويتوضّأُ**»[١].

وقال رحمه الله: «والأولى أن يكون هو السائل للفقيه عن الأمور التي تُصلِح دينَه»[٢]

وفي مقدِّمة سُنن الدارمي[٣]: «عن جريرٍ قال: قال إبْراهيمُ [النخعي]: (منْ رقّ وجْهُهُ رقّ علْمُهُ).

ولهذا كان العلماء ربَّما حثُّوا طلابَهم على الأسئلة، كما سبق في أثر ابن عباس رضي الله عنه، وأخرج الدارمي: عن سعيد بن يزيد قال سمعتُ عكرمة يقُولُ: (ما لكُم لا تسألُوني أفْلستُم؟)[٤].

🕮 يسأل عما ينفع

قال الآجري رحمه الله[٥]: «ويكون سؤاله عن علمِ مَا تعبَّده اللهُ به».

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله[٦]: «وينبغي أنْ تكونَ مساءَلته عما يكثُر نفعه، ويُقلّ المساءلة عن العضل والأغلوطات[٧].

فينبغي أن يسألَ سؤال متعلِّم، لا سؤال متعنِّت يتطلَّبُ عثرةً، أو زللًا، فإن ذلك من صفة الأشقياء».

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (٣٠٣).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٠٠).

(٣) (٢٢٥/ العرف الوردي) وسنده صحيح.

(٤) «مقدمته» (٢٢٥/ العرف)، وسنده حسن.

(٥) «أخلاق العلماء» (٣٣).

(٦) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٠٣).

(٧) قال الأوزاعيُّ: هي شذاذُ المسائل وصعابُها، واحدةُ الأُغلُوطات أُغلُوطةٌ وهي الّتي يُغالطُ بها وتُجمعُ أيضا على أغاليط، قال الحسنُ البصريُّ: (شرارُ عباد الله ينتقُون شرار المسائل يُعمُون بها عباد الله)، وقال مالكٌ قال رجُلٌ للشّعبيّ: إنّي خبّأتُ لك مسائل، فقال: (أخبئها لإبليس حتّى تلقاهُ فتسألهُ عنها).

وقال الآجري رحمه الله [١]: «وأما ما ذكرنا في الأغلوطات، وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن ينزّه نفسَه عن البحث عنها مما لم يكُن، ولعلَّها لا تكون أبدًا، فيشغلُون نفوسَهم بالنظر، والجدل، والمراء فيها، حتى يشتغلوا بها عما هو أولى بهم، ويغالط بعضُهم بعضًا، ويطلبُ بعضُهم زللَ بعض، ويسأل بعضُهم بعضًا، هذا كلُّه مكروه منهي عنه، لا يعودُ على من أراد هذا منفعة في دينه، وليس هذا طريق من تقدَّم من السلف الصالح، ما كان يطلبُ بعضُهم غلطَ بعض، ولا مرادهم أن يخطِّئ بعضُهم بعضًا، بل كانوا علماء عقلاء، يتكلمون في العلْم مناصَحة، وقد نفعهم الله بالعلم».

قلت: وفي «الآداب الشرعية» لابن مفلح رحمه الله ، فصلٌ في: (كراهة السُّؤال عن الغرائب وعمّا لا يُنتفعُ ولا يُعملُ به وما لم يكُن)، أتى فيه بخير كثير، فليراجعه من أحب[٢].

📖 له أن يسأل عن الدليل

إذا أغفلَ المجيبُ ذكرَ الدليل، فللسائل أنْ يسأله عن الدَّليل الذي اعتمدَ عليه.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «وإذا أجابه الفقيه عن مسألة جاز أن يستفهمَه عن جوابه، أقاله عن أثر، أو عن رأي»[٣].

قلت: ومنه ما رواه النسائي[٤] عن عبد الرّحمن بن الأصمّ قال: سُئل أنسُ بنُ مالكٍ

---

(١) «أخلاق العلماء» (٧٥).

(٢) ومما جاء فيه: قال الأثرم: سمعتُ أحمد سئل عن مسألة قال دعنا ليت أنّا نحسن ما جاء فيه الأثر وقال مهنّا سألت أحمد عن رجل استأجر من رجُل داره سنةً بعبد فلم يسكن الدّار وأبق العبد، فقال لي اعفنا من هذه المسائل، وقال أحمد بن جيّان القطيعيّ: دخلت على أبي عبد الله فقلت: أتوضّأ بماء النّورة؟ فقال ما أحبّ ذلك، فقلت: أتوضّأ بماء الباقلّا قال: ما أحبّ ذلك قال: ثمّ قمت فتعلّق بثوبي وقال: ايش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت فقال: ايش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت فقال: اذهب فتعلّم هذا.

(٣) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣١١).

(٤) برقم (١١٧٩)، وهو في «الصحيح المسند» (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).

عن التّكبير في الصّلاة؟ فقال: يُكبّرُ إذا ركع وإذا سجد وإذا رفع رأسهُ من السُّجُود وإذا قام من الرّكعتين. فقال حُطيمٌ: عمّن تحفظُ هذا؟ فقال عن النّبيّ ﷺ وأبي بكرٍ وعُمر رضي الله عنهما ثُمّ سكت، فقال لهُ حُطيمٌ: وعُثمان؟ قال: وعُثمان.

📖 التريث في السؤال

قد يُشْكل على السَّامع بعض ما يقولُه المعلِّم، فلا ينبغي أن يتعجَّل في طرح إشكاله ذلك، بل عليه أن يتريَّث ولا يتعجَّل في طرح الأسئلة، لأمرين:

الأول: أنه ربما يتضح لهُ ما أشكلَ عليه؛ عن قريب من كلام المعلِّم المتأخِّر، وكثيرًا ما يحصُل هذا، فتجد المستمع يبادر بالسؤال! وما قد أنهى المتكلِّم كلامه!، فيضطر المعلم أن يقولَ: سيأتي، سيأتي، لم ينته كلامي بعد.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله[1]: «لا ينبغي أن يستفهمَ من الفقيه حُكمَ الفصل الذي يذكرُه له قبل أن يتمِّم الفقيه ذِكْره، فربما وقعَ له البيان عند انتهاء الكلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

الثاني: ليس من الأدب أن يقطعَ على المحدِّث كلامَه، حتى وإن لم يتضح له شيء مما دار في ذهنه، فإنَّ الإنسان إذا قُوطع كلامُه؛ يُشغل وينتقِل ذهنُه شيئًا مَا، ويُشوِّش تركيزه، وربما ذهلَ عن بعض ما كانَ أرادَ الإفادة به.

فالواجب الصبر حتى ينتهي المتكلِّم من كَلامه، فإنْ ظهَر له المقال، وارتفع عنه الإشكال، فبها ونعمَت، وإلا استفسَر عما يريد.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله[2]: «ومن الأدب إذا روَى المحدِّث حديثًا، فعرَض للطالب في خلاله شيء أرادَ السؤال عنه، أنْ لا يسأل عنه في تلك الحال، بل يصبر حتى يُنهي الراوي حديثَه، ثم يسأل عما عرَض له.

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠٢).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢١١).

قال الإمام البخاري *رحمه الله*: (باب من سُئل علمًا وهُو مُشتغلٌ في حديثه فأتمّ الحديث ثُمّ أجاب السّائل)[١]. وساق حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النّبيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحدّثُ القوم جاءهُ أعرابيٌّ فقال: متى السّاعةُ؟ فمضى رسُولُ الله ﷺ يُحدّثُ فقال بعضُ القوم: سمعَ ما قال فكرِهَ ما قَال، وقال بعضُهُم بل لم يسْمَع، حتّى إذا قضى حديثَهُ قال: «**أين أُراهُ السّائلُ عن السّاعة**» قال: ها أنا يا رسُول الله! قال: «**فإذا ضُيّعت الأمانةُ فانتظر السّاعة**» قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «**إذا وُسّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر السّاعة**»[٢].

🕮 ترديد السؤال

عندما يسألُ الطالبُ عن مسألة ما، فيجيبه المعلِّم بما يُفهَم؛ فلا يعيد السؤال!، فإن ذلك عبثٌ محض، وتكلُّف لا حاجة له به.

قال الخطيب البغدادي *رحمه الله*[٣]: «إذا أجابَ المحدِّث الطالب إلى مسألته وحدَّثه، فيجب أن يأخذ منه العفْوَ ولا يُضجره، وليتَّقِ إعادة الاستفهام لما قَد فَهمه، وسؤال التكرار لما قد سَمِعه وعَلِمه؛ فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى إضجار الشيوخ».

أما إذا لم يفهم الجواب، أو ظهر له فيه إشكال، أو أراد أن يستفسر عن شيء آخر فله ذلك. قال الإمام البخاري *رحمه الله*: (باب مَن سمع شيئًا فلم يفهمْهُ فراجع فيه حتّى يعرفهُ)، وذكر حديث أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت لا تسمعُ شيئًا لا تعرفُهُ إلّا راجَعت فيه حتّى تعرفهُ وأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**من حُوسب عُذّب**»، قالت عائشةُ فقُلتُ: أوليس يقُولُ الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قالت فقال: «**إنّما ذلك العرضُ ولكن من نُوقش الحساب يهلك**»[٤].

قلت: ولهذا نظائر كثيرة:

---

(١) كتاب العلم، (باب: ٢).
(٢) رقم (٥٩).
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢١٤)، (١/ ١٩٦).
(٤) رقم (١٠٣).

منها: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصُر أخاكَ ظالما أو مظْلُومًا**» قالوا: يا رسول الله؛ هذا أنصرُه مظلومًا، فكيف أنصرُه ظالما؟ قال: «**تأخذ فوق يديه**»(١).

ومنها: حديث البراء رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علِّمني عملًا يُدخلني الجنة؟ فقال: «**لئن كنتَ أقصرْتَ الخطبة لقد أعْرَضْت المسألة أعتِق النَّسَمة وفكّ الرَّقبةَ**» فقال يا رسول الله: أو ليستا بواحدة؟ قال: «**لا إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها وفكّ الرقبة أنْ تُعين في عِتْقها، والمنحة الوكوف والفيء على ذِي الرَّحِم الظالم، فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائع واسْقِ الظمآن وأْمُر بالمعروف وانْهَ عن المنكر فإنْ لم تُطِقْ ذلك فكفّ لسَانك إلا من الخير**» (٢).

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «وإذا استفهم المتعلِّمُ الفقيهَ فأفهمه، ثمَّ عاد فاستفهمهُ، جاز للفقيه أن يزيدَه»(٣). ثم أسند حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسُول الله ﷺ رأى رجُلًا يسُوقُ بدنةً فقال: «**اركبها**» فقال يا رسُول الله أنها بدنةٌ؟ فقال: ـ في الثّالثة أو في الرّابعة ـ «**اركبها، ويلَك أو ويحَك**»(٤).

قلتُ: ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجُلًا قال للنّبيّ ﷺ أوصني؟ قال: «**لا تغضب**» فردّد مرارًا! قال: «**لا تغضب**»(٥).

قالَ: الخطيبُ البغدادي رحمه الله: «فإنْ راجَعَه بعد ذلك، فلُه أن يأخذَه بلِسَانه»(٦). ثم أسند حديث أبي ذر رضي الله عنه(٧) أنه قال أتيتُ النّبيّ ﷺ وهُو نائمٌ عليه ثوبٌ أبيضُ ثُمّ أتيتُهُ

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٣).

(٢) «مسند» أحمد (٤/ ٢٩٩)، وبوّب عليه شيخُنا في «الجامع الصحيح» (١/ ١٠٥): استفسار الطالبُ المعلّمَ عما أشكل عليه، وقال: حديث صحيح.

(٣) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣١٥).

(٤) البخاري (١٦٨٩)، ومسلم (١٣٢٢).

(٥) البخاري (٦١١٦).

(٦) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣١٦). وقول الخطيب: يأخذه بلسانه: أي يوبخه بالكلام ونحوه.

(٧) الخطيب رحمه الله ذكره من حديث أبي الدرداء، وفيه بحث راجع له: «فتح الباري» (١١/ ٣١٤ ـ =

فإذا هُو نائمٌ ثُمّ أتيتُهُ وقد استيقظ فجلستُ إليه، فقال: «**ما من عبدٍ قال لا إله إلّا الله ثُمّ مات على ذلك إلّا دخل الجنّة**» قُلتُ وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» قُلتُ وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**»، ثلاثًا؟ ثُمّ قال ـ في الرّابعة ـ: «**على رغم أنف أبي ذرٍّ**» قال فخرج أبُو ذرٍّ وهُو يقُولُ وإن رغم أنفُ أبي ذرٍّ [١].

٣١٨)، ح: (٦٤٤٣).

(١) البخاري (٥٨٢٣)، ومسلم (٩٤).

الفصل الخامس

المجالس المشوهة

الأصْل الذي تقرَّر عندَك ـ باركَ اللهُ فيك ـ أنَّ حِلَق الذِّكْر ومجالسَ العِلْم تحتلُّ منزلةً رفيعةً، ومكانةً عليَّةً، وأهميةً بالغة في حياة المسلمين.

لكن هُناك أمورٌ تطرأُ على هذه المجَالس العظيمة، فتحطُّ مِن قَدرها، وتسلُبها بهجَتها، وتقلِّل من شَأنها، بل رُبَّما أثَّرتْ عليها حتى تجعلها في حيِّز المنُوع المنهي عنه!، بعدَ أنْ كانت مطلوبة مأمورًا بها.

وجَامع هذه (المفسدات) التي تُفسد ما ظاهره أنه (حَلْقة ذِكْر): **المعاصي، والبدع**.

فمَتى وُجدت المعاصي عمدًا، أو البدَع قصْدًا، وقُرّرت أقوالُ أهل الأهواء في تلك الحِلَق؛ فإنَّ المتعيِّن ترْك هذه المجالس، والبُعد عنها، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ [النساء:١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢].

وسنذْكُر إنْ شاء اللهُ فصلًا في التحذير من مجالسة أهل الأهواء والبدع والدراسة عندهم، صيانة للدِّيانة، وحماية للاستقامة. ثمَّ أُنبِّه على بعض البدَع التي خُصِّصَت بإحْدَاث مجالس واجتماعات ومواعِظ بسببها مما عمَّ به البلوى في كثير من بلدان المسلمين، والله المستعان.

مَجَالِس أهل الأهواء والبدع

لا ريبَ أنَّ المسلم حينما يُكلِّف نفسَه حضور مَجَالِس العِلْم والذِّكْر، إنما يقصدُ تحقيقَ غايةٍ، وبلوغَ مَرامٍ. وأهم ما هنالك:

ـ نيل رضا الله تعالى.

ـ السُّلوك في سبيلٍ يوصلُ إلى الجنات والنعيم الأبديّ.

ـ معرفة الدِّين، وأحكامه فالعلم إنما يُراد للعمل، والعلم بحقيقة الإسلام، والسُّنة، والثبات عليها، وذلك يحصُل بالعلم النافع، الموروث عن النبي ﷺ، بنقل أئمة السلف رضوان الله تعالى عليهم.

ـ مع ما يتبع ذلك من الفوز بالأجور العظيمة، والفضائل الكريمة.

فإنْ كلَّف المسلمُ نفسَه حضورَ بعض المجالس ـ التي ظاهرها أنها مَجَالِس علم وخير ـ ولم يحصُل له شيء من تلك الغايات الشريفة، بل لا يكادُ يسلمُ من أضدادها؛ **فالواجب تَرْك تلك المجالس، والمتعيِّن النأي والنَّهي عنها، صيانة للدِّين.**

فإن قُلتَ ما هذه المجالس ـ التي ظاهرها أنَّها مَجَالِس علم وخير ـ وليست كذلك، ولا يحقِّق مَن يشهدُها ما رامَه من مقاصد مَجَالِس العِلْم، بل لا يَسلمُ من أضداد ذلك؟!

فأقول:

هي **مَجَالِس أهل البدع والأهواء**، فإنَّها:

* **مَجَالِس زُور وضِرار**، نهى الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ، عن شهودها والجلوس فيها، فكيف ينال العبدُ رضا الله عز وجل ـ وذلك من أعظم مقاصده ـ بما نهاه عنه!؟.

* **وهي سُبُل تصرفُ المغرورين بها عن الصِّراط المستقيم**، الموصل إلى جنَّات النعيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابنُ عطية رحمه الله: «وهذه الآية تعمُّ أهلَ الأهواء، والبدع، والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمُّق في الجدل، والخوض في الكلام، هذه كلُّها عرضة للزلل

ومظنَّة لسُوء المعتقد»[(١)].

ومن حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ رسولُ الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: «**هذا سَبِيلُ الله مُسْتقِيمًا**»، وخطَّ على يمينِه وشمالِه، ثمَّ قال: «**هذه السُّبُل ليس منها سَبيل إلا عَليه شَيطَان يدعُو إليْه**». ثم قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[(٢)].

قال شيخُ الإسلام رحمه الله[(٣)]: «وإذا تأمَّل العاقلُ الذي يرجُو لقاءَ الله هذا المثال، وتأمَّل سَائر الطوائف من الخوارج، ثمَّ المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومَن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل: الكرَّامية، والكُلَّابية، والأشعريَّة، وغيرهم، وأنَّ كلًّا منهم له سَبيل يخرجُ به عما عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل الحديث، ويدَّعى أنَّ سبيلَه هو الصواب؛ وجدتَ أنهمُ المراد بهذا المثال الذي ضرَبه المعصُومُ الذي لا يتكلَّمُ عن الهوى إنْ هو إلَّا وحْي يُوحى».

* **وكيفَ يعرفُ مَن يشهدُها حقيقةَ الدِّين**، والحقَّ والسُّنة ويثبُت على ذلك ـ وذلك من أعظم غاياته ـ وهي مَجَالِس شقاق ومحادَّة، وصدّ عن السنة والهدى، يتعلَّم فيها أهلُها مخالفةَ السنة الصحيحة الصريحة، ويدرُس فيها العِلْمَ الضار، السالك بصاحبه أَغلالَ النار!.

ومن أين ظهَرتْ وانتشرت وتوسَّعت البدَع: كالرفْض والتجهُّم والاعتزال، والجبْر، والقدَر، والتصوُّف، والإرجاء، والباطنية، والأشعريَّة، والكلَّابية...، إلا بواسطة حِلَقهم ومجالسِهم، يتخطَّفون النَّاس بزُخرفٍ من القول غُرورًا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

---

(١) «المحرر الوجيز» (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) حسن، أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٦٥ء) والطيالسي (٢٤٤) والدارمي (١/ ٦٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٧) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨) وغيرهم.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٥٧).

فالحذر الحذر؛ من تِلْكَ المجَالس، وعليك بالحقِّ وأهلِه، والعِلْم ومظانِّه، والهُدَى ومحالِّه، وإذا عَرفْت فالْزَم، هُنالِكَ تَغْنَم، ومِن الضَّلالة تَسْلم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

وهذه بعضُ الأدلَّة من الكتاب والسُّنة، والآثار المنقولَة عن السَّلف الصَّالح، وشذرات من أقوال العلماء في هذا الموضوع، من باب ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠] ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

* **قال الله تعالى:** ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال الشوكاني رحمه الله[1]: «وفي هذه الآية موعظةٌ عظيمةٌ لمن يتسمَّح بمُجالسة المبتدعة، الذين يحرِّفون كلامَ الله، ويتلاعَبون بكتابهِ وسنة رسوله، ويردُّون ذلك إلى أهوائهم المضِلَّة، وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم يُنكِر عليهم ويُغيّر ما هم فيه فأقلّ الأحوال أن يَترك مجالسَتهم، وذلك يسيرٌ عليه غير عَسير. وقد يجعلون حضُوره معَهم ـ مع تنزُّهه عما يتلبَّسون به ـ شُبهةً يشبِّهون بها على العامَّة، فيكون في حضوره مفسدةٌ زائدةٌ على مجرَّد سماع المنكر.

وقد شاهَدْنا من هذه المجالس الملْعُونة ما لا يأتي عليه الحصْر، وقُمنا في نُصرة الحق ودفع الباطل بما قدَرْنا عليه، وبلغَت إليه طاقتُنا، **ومَن عرَف هذه الشريعة المطهرة حقَّ معرفتها، علِم أن مجالسةَ أهل البدع المضِلَّة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة مَن يَعصي الله بفِعْل شيء من المحرّمات**، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدَم في عِلْم الكتاب والسنة، فإنه ربما يَنفُق عليه من كَذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقَدِح في قلبه ما يصعُب علاجه ويعسُر دفْعُه، فيعمَل بذلك مدّة عُمره ويلْقَى الله به معتقدًا أنه مِن الحقّ، وهو من أبْطَل الباطل وأنكر المنْكر».

---

(١) «فتح القدير» (٢/ ١٨١)، ط: دار الوفاء.

* **ومجالس أهل البدع من الزور**، إذ يُقرِّرون فيها الزُّور، ويَنسبون للشريعة ما ليس منها عُدوانًا وظُلمًا، واتباعًا للأهواء، وقد وصفَ اللهُ المؤمنين بأنَّهم لا يشهدُون الزور، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢].

قال ابنُ كثير *رحمه الله*[١]: «والأظهر من السِّياق أنَّ المراد: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، أي: لا يحضُرونه؛ وإذا اتفق مرورهم به مرُّوا، ولم يتدنَّسُوا منه بشيء، بل ﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾».

والأَولى عدم تخصيص ﴿ٱلزُّورَ﴾ بنوع من أنواع الزُّور، بل المراد: الذين لا يحضرون ما يصدُق عليه اسم الزُّور كائنًا ما كان.

* **والجليس له أكبرُ أثَرٍ على جَليسه**، ومما قيل: الصَّاحب سَاحب، وقيل: جالس تُجانس، وهذا صحيح ظاهر، ولهذا أمَر النبي ﷺ بتخيُّر الجليس، فقال: «**الرجلُ على دِينِ خليلِه، فلينظُر أحدُكم مَن يُخالل**»[٢].

وضرَبَ النبيُّ ﷺ للجليس مثلًا، فقال: «**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[٣].

قال الحافظُ ابن حجر *رحمه الله*: «وفي الحديث النَّهيُ عَن مُجالسة مَن يُتأَذَّى بمُجالسَتِهِ في الدِّين وَالدُّنيا، وفيه التَّرغيب في مُجالسَة من يُنتَفَع بمُجالسته فيهما».

وقال النووي *رحمه الله*: «وفيه فضيلة مُجالسة الصّالحين وأهل الخير والمُرُوءة ومكَارم الأخلاق والورَع والعِلم والأدب، **والنّهي عن مُجالسة أهل الشّر وأهل البدع**، ومن يغتاب النّاس، أو يكْثُر فُجْرُه وبطالته، ونحو ذلِك مِن الأنْواع المذمُومة».

* **ومما ورد في التحذير من مَجَالِس أهل الأهواء** حديثُ أمِّ المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٥٢).

(٢) حديث حسن، راجع له «السلسلة الصحيحة» (٩٢٧) للعلامة الألباني *رحمه الله*.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَلَا رَسُولُ الله ﷺ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران: ٧]، قَالَتْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

قال النووي رحمه الله: «وفي هَذَا الحَديث التَّحذِير مِن مُخالطة أهل الزَّيغ، وأَهل البِدَع، ومَن يَتَّبع المُشكلَات للفتنَة».

* وعن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَالله إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ**»(٢).

قال ابنُ بطّة رحمه الله -معلِّقا على الحديث-: «هذا قولُ الرسول ﷺ، وهو الصادق المصدُوق، فالله الله معشر المسلمين، لا يحملنَّ أحدًا منكم حُسنُ ظنه بنفسه، وما عَهِده من معْرفته بصِحَّة مَذْهبه على المخاطَرة بدِينه في مجالسَة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أُداخله لأُناظره، أو لأَستخرج منه مذهَبه، فإنهم أشد فتنة من الدَّجال، وكلامُهم ألصَق من الجرَب، وأحْرَق للقلوب من اللهَب، ولقد رأيتُ جماعةً من الناس كانوا يلعنُونهم، ويسبُّونهم!، فجالسوهم على سبيل الإنكار، والردّ عليهم، فما زالت بهم المباسَطة وخفيِّ المكْر، حتى صَبُوا إليهم»(٣).

* فهذه بعض الأدلة التي تحذِّر من مَجَالِس أهل البدع، وعلى ما دلَّت عليه هذه النصوص أجمع السَّلف، من الصحابة والتابعين فمَن بعدهم، فالتزموا بها في أنفسهم، ونطقت بها ألسنتهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٣١٩/ صحيحه)، والحاكم (٤/ ٥٧٦)، وسنده صحيح، وصححه العلامة الألباني، والعلامة الوادعي رحمهما الله تعالى، «الصحيح المسند» (٢/ ١٣١).

(٣) «الإبانة» (٢/ ٤٧٠) ط: دار الراية.

وإليك بعض الآثار في ذلك:

١ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (**لا تجالس أهل الأهواء** فإنَّ مجالستَهم ممرضةٌ للقلوب)(١).

٢ـ قَالَ أَبُو قِلابَةَ رحمه الله: (**لا تُجَالِسُوا أَهلَ الأَهوَاءِ وَلا تُجَادِلُوهُم، فَإِنِّي لا آمَنُ أَن يَغمِسُوكُم فِي ضَلالَتِهِم أو يَلبِسُوا عَلَيكُم مَا كُنتُم تَعرِفُونَ**)(٢).

٣ـ صحَّ عن أَيُّوبَ رحمه الله قَالَ: رَآنِي سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ رحمه الله جَلَستُ إلى طَلَقِ بنِ حَبِيبٍ فَقَالَ لِي: (أَلَم أَرَكَ جَلَستَ إلى طَلَقِ بنِ حَبِيبٍ؟ **لا تُجَالِسَنَّهُ**)(٣).

٤ـ عَن سَلامِ بنِ أَبِي مُطِيعٍ رحمه الله: أَنَّ رَجُلًا مِن أَهلِ الأَهوَاءِ قَالَ لأَيُّوبَ رحمه الله: يَا أَبَا بَكرٍ أَسأَلُكَ عَن كَلِمَةٍ. فَوَلَّى وَهُوَ يُشِيرُ بِأُصبُعِهِ وَلا نِصفَ كَلِمَةٍ، وَأَشَارَ لَنَا سَعِيدٌ بِخِنصِرِهِ اليُمنَى)(٤).

٥ـ عَن هِشَامٍ عَنِ الحَسَنِ وَابنِ سِيرِينَ أنهما قَالا: (**لا تُجَالِسُوا أَصحَابَ الأَهوَاءِ** وَلا تُجَادِلُوهُم وَلا تَسمَعُوا مِنهُم)(٥).

٦ـ وقال محمد بنِ سِيرِينَ رحمه الله: (لَم يَكُونُوا يَسأَلُونَ عَن الإِسنَادِ فَلَمَّا وَقَعَت الفِتنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُم **فَيُنظَرُ إلى أَهلِ السُّنَّةِ فَيُؤخَذُ حَدِيثُهُم وَيُنظَرُ إلى أَهلِ البِدَعِ فَلا يُؤخَذُ حَدِيثُهُم**)(٦).

٧ـ وقال مُحَمَّد بن سِيرِينَ أيضًا: (**إِنَّ هَذَا العِلم دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّن تَأخُذُونَ دِينَكُم**)(٧).

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الدارمي (٤٥٠/ العرف الوردي) (باب اجْتِنَابِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالْخُصُومَةِ) وسنده صحيح.

(٣) المرجع السابق (٤٠٦)، وسنده صحيح، وذكر هذا الأثر المزي في «التهذيب»، وزاد: قال حماد: وكان يرى الإرجاء.

(٤) نفسه (٤١٢)، وسنده حسن.

(٥) السابق (٤١٥٩)، وسنده صحيح.

(٦) «مقدمة صحيح مسلم» (٤٤)، ومعنى قوله (وقعت الفتنة): أي ظهرت البدع.

(٧) «مقدمة صحيح مسلم» (٤٣ـ٤٤)، وسنده صحيح.

٨ ـ وقال مُصْعَب بن سعد رحمه الله: (**لا تجالسُوا مفْتُونًا**، فإنه لن يخطئك منه إحدى خصلتين:

- إما أن يفتنَك فتتابعه.

- أو يؤذيك قبل أن تفارقه)[١].

*** نصائح من كلام أهل العِلْم في هذا الفصل:**

قال أبو القاسم الأصبهاني قوامُ السنَّة رحمه الله: «وتَرْك مجالسةِ أهل البدْعَة ومعاشرتهم سُنَّة، لئلا:

- **تَعْلق** في قلوب بعض ضعفاء المسلمين بعضُ بدعتهم.

- **وحتى** يعلم النَّاس أنهم أهل بدعة.

- **ولئلَّا** تكون مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدْعَتهم»[٢].

قلتُ: وفي كلامه هذا النفيس المختصَر بيان لثلاثة من أهم الأسباب التي لأجْلها يحذِّر العلماء من مَجَالِس أهل الأهواء، فتأمَّلْها فإنها في غاية الأهميَّة.

وبعدَ أنْ قرَّر الشيخُ ابن عثيمين رحمه الله تحريمَ مجالسةِ المبتدعة[٣]، أوردَ سؤالًا فقال: لماذا لا يجوز مجالستهم؟

قال: «**أولًا**: لأننا نخشى من شرِّه، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**إن من البيان لسِحْرًا**»[٤] وقد يسحرُ عقولَنا حتى نوافقَهُ على بدْعَته.

ثانيا: أنَّ فيه تشجيع لهذا المبتدع، أن يكثُر الناس حولَه، أو أنْ يجلسَ إليه فلانٌ وفلان من الوُجهاء والأعْيَان، فهذا يزيدُه رفعةً واغترارًا بما عنْدَه من البدْعة وغُرورًا في نفسه.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (٣٢٠)، باب: (النهي عن مجالسة أهل السنة، أهل البدع، ومكالمتهم)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٨/ رقم ٤٣٣)، وسنده صحيح.

(٢) «بيان المحجة» (٢/ ٥٥٠) ط: دار الراية.

(٣) «شرح حلية طالب العلم» (١٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٣) وأبو داود (٥٠٠٧) وانظر «الصحيحة» (١٧٣١).

ثالثا: إساءةُ الظن بهذا الذي اجتمع إلى صاحب البدْعة، وقد لا يتبيَّن هذا إلا بعد حين».

وقال أبُو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن أبي زمنين (ت:٣٩٩) [١]: «ولم يزل أهلُ السنة يعيبونَ أهل الأهواء المضلَّة، وينهَونَ عن مُجالستهم، ويُخوِّفون فتنَتهم، ويُخبرون بخِلافهم، ولا يرونَ ذلك غيبة لهم، ولا طَعْنا عليهم».

وقال النووي *رحمه الله*: «ولا يتعلَّم إلا ممنْ كمُلت أهليَّتُه وظهَرت ديانتُه وتحقَّقت معرفتُه واشتهرت صيانتُه فقد قال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف: (هذا العِلْم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)»[٢].

وقال سفيان الثوري *رحمه الله*: (مَن أصغى بسمْعِه إلى صاحب بدعة، وهو يعلمُ، خرجَ من عصمة الله، ووُكِلَ إلى نفسه)، وقالَ: (مَن سمع ببدعةٍ فلا يحكِها لجلسائِه، لا يُلْقها في قلوبهم).

قال الذهبيُّ *رحمه الله*: «أكثرُ أئمة السلف على هذا التحذير، يرونَ أنَّ القلوبَ ضعيفةٌ، والشُّبَه خطَّافة»[٣].

وقال الآجُرِّي *رحمه الله*[٤]: «لأنَّ مِن صِفَة العالم العاقل أنْ لا يُجالس أهل الأهواء، ولا يجادلهم، ويحذِّر من المسَائل المحدَثات، والبدَع، ولا يُصغِي بسمْعه إلى أهْلها، ولا يرضى بمَجالس أهل البِدَع».

وقال الإمامُ مالكٌ *رحمه الله*: «لا يُؤخذُ العِلم عن أربعةٍ ويُؤخذ عمّن سواهُم، لا يُؤخذُ عن مُعلنٍ بالسّفه، ولا عمّن جُرّب عليه الكذبُ، ولا عن صاحب هوًى يدعو النّاس إلى

---

(١) «أصول السنة» (٢٩٣) ط: مكتبة الغرباء. وقوله: (بخلافهم) أي للسُّنَة والحق وأصول الشريعة.
(٢) المجموع (١/ ٣٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١).
(٤) «أخلاق العلماء» (٣٦).

هواه، ولا عن شيخٍ له فضلٌ وعبادةٌ إذا كان لا يعرفُ ما يُحدِّث به»[١].

وقال ابنُ بطة العكبري رحمه الله: «اعلَمُوا إخواني أني فكَّرتُ في السبب الذي أخرجَ أقوامًا من السُّنة والجماعة، واضطرَّهم إلى البدْعة والشناعة، وفتح باب البليَّة على أفئدتهم، وحجبَ نورَ الحق عن بصيرتهم، فوجدتُ ذلك **من وجهين**:

- **أحدهما**: البحث والتنقير، وكثرة السؤال عما لا يغني، ولا يضر العاقل جهلُه، ولا ينفع المؤمن فهمه.

- **والآخر**: **مجالسةُ من لا تُؤمَن فتنتُه**، وتُفسد القلوبَ صحبتُه».

* **ومَن غفَل عن هذا الجانب المهم، أو لم يعلَمْ بحقيقة الحال، فإنه يجب نُصحه**، وتبيين حال المعلِّم له، برفْق، وليس ذلك من الغيبة كما أبانَه النوويُّ رحمه الله فقال: «اعلَم أنَّ الغيبة تُباح لغَرضٍ صحيحٍ شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسبابٍ» ثم قال: «**ومنها: إذا رأى متفقّهًا يتردّدُ إلى مبتدع**، أو فاسقٍ يأخذ عنه العِلْم، وخافَ أن يتضرَّر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله»[٢].

قلتُ: وفي مقدمة الإمام مسلم لصحيْحِه جملة من الآثار في هذا الموضوع، ومن ذلك:

ـ قال سلّام بن أبِي مُطِيعٍ: بلغ أيُّوب [السختياني] أنِّي آتِي عمْرو [بن عبيد المعتزلي]، فأقبل عليّ يومًا فقال: (أرأيت رجُلًا لا تأمنُهُ على دِينِهِ كيف تأمنُهُ على الحدِيثِ؟).

ـ قال أبُو داوُد الطيالسي: قال لِي شُعبةُ: ائتِ جرِير بن حازِمٍ فقُل لهُ: (لا يحِلُّ لك أن تروِي عن الحسنِ بنِ عُمارة، فإنّهُ يكذِبُ).

ـ وكتبَ شعبةُ بن الحجاج إلى معاذ العنبري: (لا تكتب عن أبي شيبة (قاضي واسط!) شيئًا)[٣].

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٣٤) فصلٌ (فِي صِفاتِ من يؤخذ عنهم الحدِيث والدِّين ومن لا يؤخذ عنهم).

(٢) راجع «رياض الصالحين» لبقية الستة (باب ما يباح من الغيبة).

(٣) «مقدمة مسلم» (٦٩، ٧١).

* **فإنْ قالَ قائلٌ: أنا أجلس لكلِّ من يعلِّم ويحدِّث؟!**. قيل: هذه لا مبالاة عاقبتها وخيمة. وقد أسند ابنُ بطة *رحمه الله* ـ بسند مسلسل بالثقات ـ عن مبشر بن إسماعيل الحبلي، قال: قيل للأوزاعي: إنَّ رجلًا يقول: أنَا أُجالس أهلَ السنة، وأُجالس أهلَ البدع؟ فقال الأوزاعي: (**هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل!**).

قال ابنُ بطة *رحمه الله*: «صدق الأوزاعي! أقول: إنَّ هذا رجل لا يَعرف الحقَّ من الباطل. ثم ذكر بسنده عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المنافق في أمتي كَمَثَلِ الشَّاة العَائِرة بين الغَنَمين، تَصيْرُ إلى هَذه مرَّة، وإلى هَذه مرَّة، لا تَدرِي أَيها تَتْبَع**»[(١)]. ثُمَّ قال: «كثُر هذا الضرب من الناس في زماننا هذا، لا كثَّرهم الله»[(٢)].

* **ويلحقُ بهذا: مجالسُ القُصَّاص**:

وقد كثُر التحذير من مَجالسهم، وصنَّفُوا في ذلك المصنفات[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٤).

(٢) «الإبانة» (٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(٣) قال ابن الجوزي: التحقيق أنَّ: القاص: هو الذي يتَّبع القصَّة الماضية، بالحكاية عنها، والشرح لها، وذلك القصص، وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين. انظر: «تلبيس إبليس» (١٣٤ ـ ١٣٦)، فصل: ذكر تلبيسه على الوعاظ والقُصاص. وانظر الأسباب التي من أجلها حذَّر العلماءُ من مجالستهم في: «القصاص المذكرين» (١٤٢ـ١٦١)، ومقدمة «الموضوعات» لابن الجوزي أيضًا «القسم السابع»، و «الباعث على الخلاص من حوادث القُصاص» للعراقي، و«تحذير الخواص» للسيوطي (٢٢٠ ـ ٢٢٢). وقد فَصَلَ أبو بكر الطرطوشي في كتابه «الحوادث والبدع» (١٠٩ ـ ١١٣/ ط: ابن الجوزي) فصلًا في (القصص في المسجد)، وذكر فيه آثارا كثيرة عن العلماء فيها الإنكار على القُصاص، ومما أوردَه: قول أبي إدريس الخولاني *رحمه الله*: (لأنْ أرى في ناحية المسجد نارًا تأجّج، أحبّ إليَّ من أن أرى قاصًّا يقصُّ). وقال ابن الجوزي: «ومن القُصاص من يخلطُ في مجلسه الرِّجال والنساء، وتَرى النساء يُكثرن الصياح، وجْدًا ـ على زعمهن ـ فلا يُنكر ذلك عليهن، جمعا للقلوب عليه!» «تلبيس إبليس» (١٣٦). قلت: وننبه بالمناسبة إلى بدعة وعْظ بعض الوُعّاظ النساء الأجنبيات وجهًا لوجه دون حجاب وهن كاشفات وجوههن وربما =

وألَّف السيوطي *رحمه الله* «تحذير الخواص من أكاذيب القُصَّاص» وبيَّن في مقدمة كتابه هذا سببَ تأليفه وهو: أنه استُفتي عن رجل من القُصَّاص يوردُ في مجالسه أحاديث مكذوبة باطلة ينسبُها إلى النبي ﷺ، فأفتى السيوطي *رحمه الله* ببطلان تلك الأحاديث، وأنه يجب على ذلك القاصّ أنْ يصحِّح ما يُورده، على أهل العلم. قال: فغضب القاصُّ من تلك الفتوى وأجَّجَ العوام على السيوطي!. فأفتى مرَّة أخرى وقال: «ومتى لم يصحِّح الأحاديث التي يرويها على المشائخ، وعادَ إلى رواية ما بُيِّن له بطلانه؛ واستمر مصرًّا على نقل الكذب عن رسول الله ﷺ، أفتيت ضربَه سياطًا!».

*** حِلَق الذِّكْر والمناسبات المبتَدَعة:**

هناك مناسبات مبتدَعة مُحْدَثة، ليس لها أصل من الدِّين ولا من عمل السَّلف الماضين، يُقيم بمناسبتها كثيرٌ من الناس اليوم اجتماعات سواء في المساجد أو في غيرها، ويشهدها الوُعّاظ والمتهوِّكون، ويعتبروْنَها من أهم حِلَق الذِّكْر، ويتديَّنون بها، وهذا الذي دعاني إلى إفراد هذه الفقرات.

وهذه الاجتماعات كثيرة ـ والله المستعان ـ ومنها:

- عقْد حِلَق التذكير يوم المولِد[١].
- وكذا ليلة الإسراء والمعراج[٢].
- وكذا الاجتماع والتذكير ليلة النصف من شعبان[٣].

شعورهن متعطرات متزيِّنات بكامل زينتهن وربما مختلطات مع الرجال!! وترتج (حلقة التذكير) أحيانًا بضحكات النساء، وتصفيقهن مع الرجال!!.

(١) يعنون به مولد النبي ﷺ، وأوَّل من أحدَث هذا الاجتماع هم بنو عبيد القداح (الفاطميون) ادعاءً، (الباطنيون) حقيقة، في نحو القرن الرابع. وفي إنكار هذه البدعة مؤلفات كثيرة، منها: رسالة «التحذير من البدع» لسماحة الشيخ: عبد العزيز ابن باز *رحمه الله* ، و«القول الفصل» للشيخ إسماعيل الأنصاري *رحمه الله*

(٢) انظر: رسالة «التحذير من البدع» لابن باز، و«البدع الحولية» (٢٦٨).

(٣) انظر «البدع الحولية» (٢٩٠).

- والاجتماع لوداع شهر رمضان. والاجتماع لذكرى غزوة بدر. والاحتفال بالولاية في غدير خمّ. وعقد مجالس التذكير ليلة رأس السنة الهجريَّة.

ومحصَّل الكلام في الرد على هذه الاجتماعات المحدَثة التي تقرَّب أصحابها بها ما يلي:

١- **أنَّ الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون** رضي الله عنهم، ولا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة، وهم أعلم الناس بالسُّنة، وأكمل حُبًّا لرسول الله ﷺ، وأعظم متابعة لشرعه ممن بعدهم. وما كان كذلك فهو من البدع المحدثة في الدِّين.

٢- وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١).

٣- وقال ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدِي تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدَثات الأمور فإنَّ كُلَّ مُحدَثة بِدْعة وكُلَّ بدعة ضلالة**»(٢).

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها.

٤- وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧] وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وما لم يكن في عهد النبي ﷺ دِينًا فليس اليوم دِينًا.

٥- وإحداث مثل هذه الاجتماعات يُفهم منه: أنَّ الله سبحانه لم يُكمل الدِّين لهذه الأمة، وأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلِّغ ما ينبغي للأمة أن تعملَ به، حتى جاءَ

---

(١) متفق عليه، البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وغيرهم، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

هؤلاء المتأخِّرون فأحدَثُوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين: أنَّ ذلك مما يُقرِّبهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ ، والله سبحانه قد أكمَل لعباده الدِّين، وأتمَّ عليهم النعمة.

٦- ومعلوم أنَّ نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأعمّهم بلاغًا ونصحًا، فلو كان الاحتفال بالموالد ونحوها من الدِّين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنهُ الرسول ﷺ للأمة، أو فعلَه في حياته، أو أرشد إليه، وفعلهُ أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته، وهكذا يقال في غيره من المحدثات[١].

٧- ونذكر في هذا المقام نموذجًا من فِقْه السَّلف، متمثلًا في قصَّة ابن مسعود رضي الله عنه التي أخرجها الدارمي[٢] عن عمْرو بن يحيى قال سمعتُ أبى يحدِّث عن أبيه قال: كنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلَاة الغَداة، فإذا خرجَ مشَينا معه إلى المسجد، فجاءَنا أبو مُوسى الأشعري فقال: أخرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعدُ؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرًا أنكرتُه، ولم أرَ والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه، قال: رأيتُ في المسجد قومًا حِلَقا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كلِّ حلْقة رجُل، وفى أيديهم حَصَى، فيقول: كبِّروا مائة، فيكبِّرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك، أو انتظار أمْرك. قال: (**أفلا أمرتَهم أنْ يعدُّوا سَيئاتهم وضمْنَت لهم أن لا يضيع من حسناتهم**) ثم مضَى ومضينا معه حتى أتى حَلقة من تلك الحِلَق، فوقف عليهم فقال: (**ما هذا الذي أراكم تصنعون؟**) قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح! قال: (**فعدُّوا سيئاتِكم فأنا ضامِنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء،**

---

(١) «البدع الحولية» (١٣٦ ـ ١٩٥).

(٢) في «مقدمة السنن» (٢١٠) وغيره، وهو أثر عظيم، وقصة ثابتة من طرق.

ويحكم يا أُمَّة محمَّد ما أسرع هلَكتكُم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لم تبل، وآنيته لم تُكْسَر، والذي نفسي في يده إنكم لعَلى مِلّة هي أهدى من مِلّة محمد، أو مفْتَتِحِي باب ضلالة) قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: **(وكم من مريد للخير لن يصيبه)**، إنَّ رسول الله ﷺ حدثنا: «**أنَّ قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**»، وايم الله ما أدْرى لعل أكثرهم منكم، ثمَّ تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامَّة أولئك الحِلَق يطاعنُونَا يوم النهروان مع الخوارج!؟).

الفصل السادس

الجامع

هذه جملة من المباحث المهمة المتفرِّقة جمعتها في هذا الفصل، وهي كما يلي:

- التذكير عند النوازل
- تخصيص بعض النَّاس بمجلس علم أو تذكير
- افتتاح حلقة الذّكْر أو مجلس العلْم بتلاوة شيء من القرآن
- الترهيب من الجلوس في مجلس لا يذكر الله فيه.
- الإعراض عن مَجَالِس العِلْم والذِّكْر

التذكير عند النوازل

قد تنزلُ نازلةٌ يُتوقَّع أو يُتيقَّن من ورائها فتنةٌ، أو شرٌّ، أو استفحال شبهات يتولَّد من ورائها باطل أو خطَر عظيم على دين المسلمين أو دنياهم، وحينئذ يحتاج المسلمون من يكشف لهم السِّتار عن تلك الفتن، ويُحذِّرهم من تلك الشرور والمِحَن، ويقوم ببيان الحق، ويرشد إلى سبل النجاة.

فمَن يقومُ بذلك ؟ وأين؟

إنهم ـ بدون تردد ـ خُلفاء الأنبياء من العلماء الأتقياء، والدُّعاة الأصفياء من شوائب الأردياء.

الذين يقومون بكلِّ ذلك انقيادًا لما أوجب الله عليهم، ونُصرة لدِين الله الحقِّ مِن أنْ يُخلط بغيره، وغَيرةً على المسلمين كما قال ربنا العظيم في كتابه الكريم ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]

ويا لله كم من البلاء ارتفع عن المسلمين لـمَّـا قامَ رجالُ الدِّين بالنصح والوعظ والتعليم والتبيين، وكم لمجالس العِلْم وحِلَق الذِّكْر من أثر إيجابي عظيم في تصحيح سير المسلمين، وتقويم ما اعوجَّ من أحوال مجتمعات المسلمين، مما نبتَ في أوساطهم، أو وَردَ عليهم من أعدائهم.

وقد كانَ النبي ﷺ يهتمُّ بهذا الأمر جدًّا، وكلما جاءَ أمرٌ يحتاج إلى بيان أو تنبيه؛ بيَّنه ونبَّه عليه، أو انتشر بين الناس شيء: فِعْل أو كلام أو نحو ذلك، قام فبيَّنه أتمَّ بيان، سواء كان مصدره منهم، أو من غيرهم، ولهذا أمثلة كثيرة، أذكر بعضها، ليظهر دور (حِلَق الذِّكْر، ومجالس العِلْم).

فمن ذلك:

* **حديث الكسوف**: لما قال الناس: إنما كسفت لموت عظيم!، قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: انكسفت الشّمسُ على عهدِ رسُولِ الله ﷺ فصلّى رسُولُ الله ﷺ والنّاسُ معهُ...ووصف الصلاة، قال: ثُمّ انصرف وقد انجلت الشّمسُ فقال: «**إنّ الشّمس والقمر آيتانِ مِن آياتِ**

الله لا ينكسِفانِ لِموتِ أحدٍ ولا لِحياتِهِ فإذا رأيتُم ذلِك فاذكُرُوا الله...»[١].

وفي حديث جابِرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وأنهم كانُوا يقُولُون إنّ الشّمس والقمر لا يخسِفانِ إلّا لِموتِ عظِيمٍ، وإنهما آيتانِ مِن آياتِ الله يُرِيكُمُوهُما، فإذا خسفا فصلُّوا حتّى تنجلِي**»[٢].

* **ومنهـا**: ما في «الصحيحين» عن عبدِ الله بنِ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ لمّا فتح حُنينًا قسَم الغنائِم فأعطَى المُؤلَّفة قُلُوبَهُم، فبلغهُ أنّ الأنصار يُحِبُّون[٣] أن يُصِيبُوا ما أصاب النّاسُ فقام رسُولُ الله ﷺ فخطبهُم فحمِد الله وأثنى عليهِ ثُمّ قال: «**يا معشر الأنصارِ ألم أجِدكُم ضُلّالًا فهداكُم الله بِي، وعالةً فأغناكُم الله بِي، ومُتفرِّقِين فجمعكُم الله بِي**»، ويقُولُون الله ورسُولُهُ أمنُّ، فقال: «**ألا تُجِيبُونِي**» فقالُوا الله ورسُولُهُ أمنُّ، فقال: «**أما إنّكُم لو شِئتُم أن تقُولُوا كذا وكذا وكان مِن الأمرِ كذا وكذا لِأشياء عدّدها فقال ألا ترضون أن يذهب النّاسُ بِالشّاءِ والإبِلِ وتذهبُون بِرسُولِ الله إلى رِحالِكُم الأنصارُ شِعارٌ والنّاسُ دِثارٌ ولولا الهِجرةُ لكُنتُ امرأً مِن الأنصارِ ولو سلك النّاسُ وادِيًا وشِعبًا لسلكتُ وادِي الأنصارِ وشِعبهُم إنّكُم ستلقون بعدِي أثرةً فاصبِرُوا حتّى تلقونِي على الحوضِ**»[٤].

* **ومنهـا**: ما في «صحيح مسلم» عن جرِيرٍ البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنّا عِند رسُولِ الله ﷺ فِي صدْرِ النّهارِ، قال فجاءهُ قومٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُجتابِي النِّمارِ أو العباءِ مُتقلِّدِي السُّيُوفِ عامّتُهُم مِن مُضَر بل كُلُّهُم مِن مُضر، فتمعّر وجهُ رسُولِ الله ﷺ لِما رأى بِهِم مِن الفاقةِ، فدخل ثُمّ

---

(١) البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) رواه مسلم (٩٠٤).

(٣) وفي حديث أنس عند مسلم (١٠٥٩)، أنهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشًا ويترُكنَا، وسيوفنا تقطر من دمائهم!.

(٤) البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، وفي حديث أنس في مسلم (١٠٥٩): قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟**» فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا، يَا رَسُولَ الله، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، قَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا!.

خرجَ فأمر بِلالًا فأذّن وأقام فصلّى ثُمّ خطب فقال: «[يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]، والآية الّتي فِي الحشرِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ] ، **تصدّق رجُلٌ مِن دِينارِهِ مِن دِرهمِهِ مِن ثوبِهِ مِن صاعِ بُرِّهِ مِن صاعِ تمرِهِ حتّى قال ولو بِشِقِّ تمرةٍ**» قال فجاء رجُلٌ مِن الأنصارِ بِصُرّةٍ كادت كفُّهُ تعجِزُ عنها بل قد عجزت قال ثُمّ تتابع النّاسُ حتّى رأيتُ كومينِ مِن طعامٍ وثِيابٍ حتّى رأيتُ وجه رسُولِ الله ﷺ يتهلّلُ كأنه مُذهبةٌ فقال رسُولُ الله ﷺ: «**من سنّ فِي الإِسلامِ سُنّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ من عمِل بِها بعدهُ مِن غيرِ أن ينقُص مِن أُجُورِهِم شيءٌ ومن سنّ فِي الإِسلامِ سُنّةً سيِّئةً كان عليهِ وِزرُها ووِزرُ من عمِل بِها مِن بعدِهِ مِن غيرِ أن ينقُص مِن أوزارِهِم شيءٌ**»(١).

* **ومنهـا**: حديث عائشة رضي الله عنها لما اشترطَ أقوامٌ أنْ يكونَ الولاء لهم والمعتِقُ غيرهم، والحكم في شرع الله: أنَّ الولاء لمن أعتق، قالت رضي الله عنها: «ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَشِيَّةً، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، كِتَابُ الله أَحَقُّ وَشَرْطُ الله أَوْثَقُ، مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتِقْ فُلَانًا وَالْوَلَاءُ لِي، إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**» متفقٌ عليه.

* **ومنهـا**: تحذيره ﷺ من التنفير، كما في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه في الصحيحين قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الحَاجَةِ**».

* **ومنهـا**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين :«أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي

(١) مسلم (١٠١٧).

لَيْثٍ - عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ - بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ» وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلاَ وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلاَ وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ، لاَ يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ القَتِيلِ**».

* **ومنهـا**: ما في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**».

* ومنهـا: حديثها أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في قصة المخزومية التي سَرقَت، فطلبَ أهلُها مَن يشفع فيها، فكلَّموا أسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكلّم النبي ﷺ، قالت: فَقَالَ ﷺ لأسامة: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**».

* ومنها: حديث أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيح في قصة ابن اللُّتْبِيَّة، قال: ثم قام رسولُ الله ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ وَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ رِجَالًا مِنْكُمْ عَلَى أُمُورٍ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ فَيَأْتِي أَحَدُكُمْ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، وَبَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، فَوَاللهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا جَاءَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

فهذه نبذة في هذا الفصل المهم، وفيه حث على الاقتداء به ﷺ في بيان الشريعة، وإنكار المنكر، وتصحيح الأخطاء، وتقويم الأمة، ونصح العامّة، والغيرة على دين الله.

تخصيص بعض النَّاس بمجلس علم أو تذكير

الناسُ طبقات مختلفة، وشرائح متباينة، فقد يحتاجُ طائفة منهم إلى تخصيصهم بحلْقة عِلم أو ذِكر، في وقت معين، لظروف تكتنفهم، من: كبَرٍ، أو صغَرٍ، أو ضيق وقتٍ، أو شغل.

فليس العامَّة كطلبة العلم، ولا يستوي الكبار والصغار، ولا المتفرّغ والمشغول، وليس الذكر كالأنثى، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بأس بتخصيص قوم أو شخص بحَلْقة أو مجلس علمٍ، بحسب الحاجة، واقتضاء المصلحة.

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب: هلْ يُجْعلُ لِلنِّساءِ يوْمٌ على حِدةٍ فِي العِلْم.

حدّثنا مُسدّدٌ حدّثنا أبُو عوانة عنْ عبْدِ الرّحْمنِ بْنِ الْأصْبهانِيِّ عنْ أبِي صالِحٍ ذكْوان عنْ أبِي سعِيدٍ رضي الله عنه قال: جاءتْ امْرأةٌ إلى رسُولِ الله ﷺ فقالتْ يا رسُول الله: ذهب الرِّجالُ بِحدِيثِك، فاجْعلْ لنا مِنْ نفْسِك يوْمًا نأْتِيك فِيهِ تُعلِّمُنا مِمّا علّمك الله، فقال: «**اجْتمِعْن فِي يوْمِ كذَا وكذَا فِي مكانِ كذا وكذا**»، فاجْتمعْن، فأتاهُنّ رسُولُ الله ﷺ فعلّمهُنّ مِمّا علّمهُ الله، ثُمّ قال: «**ما مِنْكُنّ امْرأةٌ تُقدِّمُ بيْن يديْها مِنْ ولدِها ثلاثةً إلّا كان لها حِجابًا مِنْ النّارِ**»، فقالتْ امْرأةٌ مِنْهُنّ يا رسُول الله: أو اثْنيْنِ، قال: «**فأعادتْها مرّتيْنِ، ثُمّ قال واثْنيْنِ واثْنيْنِ**»(١).

(١) البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٣).

افتتاح حلقة الذّكْر أو مجلس العلْم بتلاوة شيء من القرآن

استحبَّ عددٌ من أهل العلم قراءةَ شيء مِن القرآن الكريم في بداية مجلس الإملاء.

فقالَ الخطيبُ البغدادي رحمه الله [١]: «وأَستحِبُّ أنْ يقرأَ بعضُهم سورةً، أو آيات من القرآن، قبل تدريس الفقه أو بعده».

وقال ابن الصلاح رحمه الله [٢]: «يستحبُّ افتتاح المجلس بقراءة قارئ لشيء من القرآن الكريم».

وقال السمعاني رحمه الله في «أدب الإملاء» [٣]: «الرابع -أي من الآداب-: أن يقدّم على الشروع في البحث والتدريس قراءة شيء من كتاب الله».

وتبعه النووي، وكذا السيوطي، كما في «التقريب» وشرحه «التدريب»[٤].

واستدلَّ له الخطيب بما أسنده فقال: أنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله الْمُعَدِّلِ، أنا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، نا الْحَسَنُ بْنُ سَلَّامٍ السَّوَّاقُ، نا عَفَّانُ، نا شُعْبَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي نَضْرَة، قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلْم، وقرأوا سورةً».

وأسنده السمعاني أيضًا فقال: أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك الدباس ببغداد أنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ إذنا أنا محمد بن رزق أنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا الحسن ابن سلام السواق ثنا عفان عن شعبة عن علي بن الحكم عن أبي نضرة قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا ليذكروا العلْم قرأوا سورة).

قلت: وهذا سند حسن صحيح.

علي بن محمد المعدل: ترجمته في «السير»[١]، قال: روى شيئًا كثيرًا على سداد وصدْق

---

(١) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٦٢).

(٢) «المقدمة» (١/ ٧٣٩).

(٣) (٤٨).

(٤) (٢/ ١٢١).

وصحَّة رِوَاية كان عدلًا وقُورًا، وقال الخطيب: «كان تامّ المروءة، ظاهر الديانة، صدوقًا ثبتًا».

وشيخه، الدقاق: ثقة، ترجمته في «اللسان»، و«تاريخ بغداد»[٢].

والحسن بن سلام السواق: قال الدارقطني: ثقة صدوق[٣].

ومن فوقه ثقات مشهورون.

وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك»[٤]، فقال: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا هارون بن سليمان الأصفهاني ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن علي بن الحكم عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: (أصحاب النبي ﷺ إذا جلسوا كان حديثهم يعني الفقه إلا أن يقرأ رجل سورة أو يأمر رجلا بقراءة سورة).

وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

قلت: رجاله ثقات معروفون، ليس فيهم من ينظر في حاله إلا هارون بن سليمان الأصفهاني، وقد قال أبو نعيم: أحد الثقات[٥].

فالسند صحيح بذكر أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فلا بأس بذلك في بعض المجالس العلميَّة، دون أن يستمرَّ عليه، في كلِّ حَلْقة ومجلس علم، فإن ذلك لا يُساعد عليه هدْي النبي ﷺ، ولا عمَل السلف الصالح.

---

(١) (١٧/ ٣٢١).

(٢) (١١/ ٣٠٢).

(٣) «سؤالات الحاكم» (١٠٨)، و«تاريخ بغداد» (٧/ ٣٢٦).

(٤) (١/ ٩٤/ رقم ٣٢٢).

(٥) «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ٣٣٦).

الترهيب من الجلوس في مجلس لا يذكر الله فيه

في السنن عنْ أبِي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ قوْمٍ يقُومُون مِنْ مجْلِسٍ لا يذْكُرُون الله فِيهِ إِلّا قامُوا عنْ مِثْلِ جِيفةِ حِمارٍ وكان لهُمْ حسْرةً**»(١).

فهؤلاء الذين جلسُوا في ذلك المجلِس، دون أنْ يذكُروا الله تعالى فيه، يكون عليهم يوْم الْقِيامة حسرة وندامة لازِمة لهُمْ، لأجْلِ ما فرّطُوا فِي مجْلِسهمْ ذلِك مِنْ ذِكْر الله تعالى، ومن مفهوم المخالفة: أنَّ مَن جلس في مجلسٍ يُذكر الله تعالى فيه، أنه يفرَح به يوم القيامة، ويكون له رفعة في درجاته.

فدل مجموع ذلك على فضل مجالس الذِّكر، وأنه ينبغي الحرص عليها، طلبًا لقُرة العين، وهروبًا من الحسرة، يوم القيامة، والله الموفق.

قال الشيخ الألباني رحمه الله(٢): «دلَّ هذا الحديث الشريف وما في معناه على وجوب ذكر الله سبحانه وكذا الصلاة على النبي ﷺ في كلِّ مجلس، وقوله: «**وإلا قاموا على مثل جيفة حمار**» هذا التشبيه يقتضي تقبيح عملهم كل التقبيح، وما يكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إلا فيما هو حرام ظاهر التحريم، فعلى كل مسلم أنْ يتنبَّه لذلك، ولا يغفَل عن ذكر الله عز وجل، والصلاة على نبيه ﷺ، في كلِّ مجلس يقعُده، وإلا كان عليه ترة وحسرة يوم القيامة».

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٨٥٥)، والحديث في «الجامع الصحيح» لشيخنا (٢/ ٥٣٠)، وانظر «الصحيحة» (٧٧).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٩).

بعض الأخطاء التي تشوِّه مجَالس العِلْم

قد توجد في حِلَق الذِّكْر بعض الأخطاء، التي تؤثِّر سلبًا عليها، وتختلف هذه الأخطاء من حيث كبرها وصغرها، لكن يجمعها أنها أخطاء، وأمور سلبية، ينبغي تفاديها بقدر الاستطاعة، وهي كثيرة، وليس لها ضابط معين، أو حصْر مبين، بل تختلف من حيث البلدان والعادات، وقد يوجد ما يُعتبر خطأ في مكان، ولا يعتبر أو لا يوجد في مكان آخر أصلًا، والغرض التنبيه على وجوب صيانة حِلَق الذِّكْر عن كلِّ ما يُشينها، أو يذهب صفاءها.

ولا بأس أنْ أذكرَ شيئًا من تلك الأخطاء، فمنها:

١) تمكين المتسوِّلين من الدُّخول إلى حِلَق الذِّكْر للتسوُّل، مما يؤدِّي إلى إشغال الناس عن الذِّكر والعِلْم، وإلى استشراء هذه الظاهرة السيئة. والواجب على هذا المتسوِّل أن يجلس ليستمع العلم والخير، ذلك خير له من أن يسأل الناس أموالهم، أعطوه أو منعوه، وينبغي إعانته على نفسه، ونصحه وحضِّه على ذلك.

٢) ومن الأخطاء في بعض حِلَق الذِّكْر، توزيع بعضهم شيئًا من المشروبات، أو المأكولات على الحاضرين **أثناء الموعظة والمرور بين الناس**، وقد شَهِدْنا حِلَقًا حصَلَ فيها مثل هذا، فشُغِل الحاضرون عن كمال إنصاتهم، واستماعهم، وبالتالي أثَّر على وَعْيهم، وتأثُّرهم. لكن عند الحاجة فيمكن أن يوضع ذلك في مكان من المسجد ونحوه فيقوم من احتاج أن يشرب مثلًا دون أن يشغلَ غيرَه.

٣) أخذ رُسوم مالية، مقابل بطاقة دخول إلى حِلَق الذِّكْر؟!.

٤) حجْز بعض الناس مكانًا في المسجد، في الصفّ الأول أو غيره، قبل مجيئه حلقة الذكر، فيأتي متأخرًا لأنَّ مكانه محجوز مُعدٌّ مُسبقا!.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأمَّا ما يفعله كثير من الناس من تقديم مفارش إلى المسجد يوم الجمعة أو غيرها قبل ذهابهم إلى المسجد، فهذا منهي عنه باتفاق المسلمين، بل محرَّم، وهل تصح صلاته على ذلك المفروش؟، فيه قولان للعلماء، لأنه غصَب بقعةً في

المسجد بفرْش ذلك المفروش فيها، ومنعَ غيرَه من المصلين الذين يسبقونه إلى المسجد أن يصلي في ذلك المكان.

وفى الصحيحين[١] عنه ﷺ أنه قال: «**لو يعلمُ الناس ما في النداء والصَّف الأول ثم لم يجدوا إلا أنْ يَستَهِمُوا عليه لاسْتَهمُوا، ولو يَعْلمُون ما في التَّهجِير لاسْتبقُوا إليه**».

والمأمور به: أنْ يسبقَ الرجلُ بنفسه إلى المسجد، فإذا قدَّم المفروش وتأخر هو؛ فقد خالف الشريعة من وجهين:

- من جهة تأخُّره وهو مأمور بالتقدم.

- ومن جهة غصْبه لطائفة من المسجد، ومنعه السابقين إلى المسجد أن يصلوا فيه، وأن يتمّوا الصفَّ الأول فالأول.

- ثمَّ إنه يتخطَّى الناس إذا حضَروا.

فإذا فرش هذا، فهل لمن سبق إلى المسجد أن يرفعَ ذلك ويصلى موضعه؟ فيه قولان:

أحدهما: ليس له ذلك لأنه تصرُّف في ملك الغير بغير إذنه.

والثاني: وهو الصحيح، أنَّ لغيره رفعه والصلاة مكانه، لأنَّ هذا السابق يستحقُّ الصلاة في ذلك الصَّف المقدَّم، وهو مأمور بذلك أيضًا، وهو لا يتمكَّن من فعل هذا المأمور واستيفاء هذا الحق إلا برفع ذلك المفروش، ومالا يتم المأمور إلا به فهو مأمور به. وأيضًا فذلك المفروش وضْعه هناك على وجه الغصْب، وذلك منكر، وقد قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» [٢]. لكن ينبغي أن يراعى في ذلك أن لا يؤول إلى منكر أعظم منه، والله تعالى أعلم والحمد لله وحده»[٣].

---

(١) البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).

(٢) رواه مسلم (٤٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

الإعراض عن مَجَالِس العِلْم والذِّكْر

هذه الظاهرة السيئة التي تفشَّت في مجتمعات المسلمين، والله المستعان.

الإعراض والـ (لامبالاة)، بحِلَق العِلْم، والذِّكر، وهذه ـ والله ـ فاقرة، وبائرة، حلَّت بأصحابها.

واعلم أنَّ إعراضَ هؤلاء المعرضين، عن النور الحقيقي، وعن سرِّ سعادتهم، له أسباب عدَّة، أذكر أهمها هنا باختصار:

الأول: المعاصي التي يعكفون عليها، فإنه ما من محنة، أو فتنة، أو بلاء، إلا بما كسبته أيدي العباد، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤٠] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨٢] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وكلَّما أدْمَن العبدُ مطاوعةَ هواه، أهلكه، وأرداه، وأغواه.

ومما تقرَّر عند أهل السنة والجماعة، أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقُص بالمعصية، فإذا أذنبَ العبد نُكت في قلبه نُكتةٌ سوداء، فإنْ أضاف إليها أخرى غطّت الذنوب قلبَه، فيصبح منكرًا للمعروف، ويقوى عنده الإعراض عن ما ينفعه في الدار الآخرة.

وفي «المسند»[1] و«سنن» الترمذي عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ العَبدَ إِذَا أَخطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَت فِي قَلبِهِ نُكتَةٌ سَودَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاستَغفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلبُهُ، وَإِن عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعلُوَ قَلبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين:١٤].

---

(١) «مسند» أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي (١١٦٥٨/ كبرى)، وابن ماجة (٤٢٤٤)، وسنده صحيح، وهو في «الصحيح المسند» (٢/ ٤٠٥).

الثاني: قرناء السوء، الذين نصبُوا أنفسَهم قطاع طريق عن الخير، والهدى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٧].

فاحذرهم على دينك، لا يصرفوك عن الرشد.

الثالث: حبّ الدُّنيا، وإن شئت فقل: التهالُك على الدُّنيا، الذي وقع أكثر الناس في شباكه، فأصبحوا أَرِقَّاء مستعبدَين لها، وصدَق الرسول الكريم ﷺ حيث يقول: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»(١).

والدنيا ليس للالتِهَاءِ بها نهاية، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال ﷺ: «**وَاللهِ ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢).

حتى عدَّ الذين استغرقَ اللهثُ وراءَ الدِّينار والدرهم، وقتَهم كلَّه، عدّوا: دعوتَه إلى حِلَق الذِّكْر والعلم عبثًا!!، بلسَان الحال أو المقال، وما علم المسكين أن تلك الحِلق هي التجارة التي لا تبور.

الرابع: إعراضُه عن تلك المجالس نفسه، من أعظم أسباب صرْفه عنها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]

هذا إن كان يعتقد حُسنَها، وحاجته إليها، وإنما يَتعلل بخيوط العنكبوت!.

فأما إنْ رأى نفسَه أرفع منها!، فإنَّ الله يقول في حقِّ هذا الصنف: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا

(١) رواه البخاري (٢٧٧٦).

(٢) رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

الخامس: الشبهات التي يُلقيها شياطين الجن والإنس، فتتوارد على ذهنه، حتى يعتقد قُبح تلك المجالس عامة، أو قبح بعضها، لِما قد اجتمع في صدره من تلك الإيحاءات الشيطانية، نحو المتكلِّم فيها، أو السامعين لها.

ولو كانت حلْقةَ علمٍ لأحد العلماء الكبار، فلا تستغرب وطأة الشبهات على القلوب.

وقد قلت مرَّةً ـ لشخص ظهر لي أنه يحب الخير والعلم ـ وأنا أنصحه: عليك بحلقة (فلان) وهو من كبار العلماء، وعليك بسماع أشرطته، فتلكأَ في الجواب! وقال: آآآ يا أخي أسلوبه ... ما يعجبني؟!.

المسكين قد قامَ في نفسه شيء لم يستطعْ أن يعبِّر عنه، مما قد حدَّثهُ القوم، والله المستعان

السادس: الولاء والبراء الضيِّق، الذي ابتُليتْ به فرق من هذه الأمَّة، بسبب تفرقها عن الصراط المستقيم. والذي ولَّده التحزُّب المذموم، والتعصُّب المشئوم، والجمود على التمذْهب.

فأصحاب الفرقة الفلانية، لا يشهدون حلقةَ: فلان، لأنه ليس منهم، ولا يخدم فكرتهم. وأصحاب المذهب الفلاني، لا يشهدون حلقة المذهب المخالف.

بل بلغ الأمر في حِقبة من الزمن أن تعدَّى ذلك إلى صلاة الفريضة، يقام ـ في المسجد الواحد ـ للفريضة عدة جماعات، على أعداد المذاهب!.

ولا تَسأل عن التنفير الذي يُلاقيه العوام من الناس، عن حِلَق دُعاة الحقِّ، والهُدى، والسنَّة، من قِبَل أهل الأهواء المختلفة!.

وحينما لا يكون التنفير أحيانًا مقبولًا، يعمِدُون إلى طريقة أخرى، مثل إقامة حلقة (ضرار) تصرِفُ الناس عن مجالس الهدى!؟. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

السابع: كثرة دعاة السوء، وقوة صولتهم في أوساط بعض المجتمعات، بحيث

يُزهِّدون في حِلَق العلم النافع.

الثامن: هبوط الهمَّة، وضعْف العزيمة، وقِلَّة أو انعدام الشعور بالمسئولية، تجاه الدِّين الحنيف، وما يُحاك ضده، والعيش في سبات عميق، وظلمة حالكة، وغفلة مطبقة، عما خُلِق من أجله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وبعد أنْ ذكرتُ بعض الأسباب، التي تذهب ببعض الناس بعيدًا عن حِلَق العلم والذِّكر، **أنبه على خطورة هذا الإعراض عنها، على صاحبه في الدنيا والآخرة، وأذكر بعض نتائجه السيئة، وعواقبه الوخيمة**(١).

فمن أعظم ذلك:

* **استحقاقه الذم الشديد** على إعراضه ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

* **أن المعرض عنها من أعظم الناس ظلما**، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

* **جعل الأكنَّة على القلوب حتى لا تفقه الحقَّ**، وعدم الاهتداء أبدًا، كما قال تعالى في الآية السابقة مبيّنًا بعض ما ينشأ عنه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

* **ومنها انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة**، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

* **ومنها إنذارُ المعرضين بصَاعقةٍ مثل صَاعقة عاد وثمود**، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

---

(١) راجع «أضواء البيان» (٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

* **ومنها المعيشة الضَّنك، والعمى**، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

* **ومنها سَلْكه العذاب الصَّعَد**، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧].

* **ومنها تقييض القرناء من الشياطين**، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

* **ومنها أَمْرُ الله تعالى بالإعراض عن المتولي عن ذِكْره**، القاصر نظرَه على الحياة الدنيا، وبيانه سبحانه أنَّ ذلك هو مبلغه من العِلْم، فلا علم عنده بما ينفعه في معادِهِ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠].

* **ومنها نهيه جل وعلا عن طاعة مثل ذلك المتولي** عن الذِّكْر الغافل عنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

* **ومنها إخبار الله تعالى أن المعرض عن الذكرى شقيٌّ** من الأشقياء، وتوعُّده بالنار، وهذه ـ والله ـ قاصمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى:٩-١٣].

فالناس ينقسمون في الذكرى إلى قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي، والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴾ .

* **ومنها التوعُّد بالعذاب الأكبر**، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ [الغاشية:٢١-٢٤].

الخاتمة

وبهذا أكون قد انتهيت مما أحببت التذكير به في هذا السِّفْر النافع إن شاء الله تعالى، مِن الحض على حِلَق العلم والذِّكْر، وبيان فضلها، وشي من آدابها.

واللهَ أسأل يوفقنا للبر والتقوى، وللعمل بما يرضى، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

مُحتويات الكِتَاب

الـمُـقَـدِّمَـة ٥

المحتويات ١١

الفصل الأول : فضائل مجالس العلم والذِّكر ١٣

أمر الشارع بالجلوس في مَجَالِس العِلْم وحلق الذِّكْر ١٦

شهود مَجَالِس العِلْم والذِّكْر من عمارة بيوتِ الله ١٩

جملة من فوائد عمارة المساجد بالعلم والوعظ والتذكير: ٢٢

١- سلوك طريق الجنة: ٢٢

٢- نزول السكينة عليهم: ٢٣

٣- الملائكة يَحفُّون مجالس العلم ويستمعون الذكر ويكتبون من يشهدها: ٢٤

٤- غشيانهم الرحمة: ٢٥

فائدة: في إطلاق حِلَق الذِّكْر على مجَالس التعليم: ٢٦

مباهاة الرب عز وجل: الملائكةَ، بأهل حِلَق الذِّكْر ٢٧

غفران الله تعالى لمن يشهد حِلَق العِلْم والذِّكْر ٢٧

الأجر العظيم في شهودها ٢٩

ذكر الله تعالى أهل مَجَالِس العِلْم في الملأ الأعلى ٢٩

رب العزة والجلال يُؤي من أوى إلى حِلَق العِلْم والذِّكْر ٣٠

الأجر العظيم في المشي إلى مَجَالِس العِلْم وحِلَق الذِّكْر، وبيوت الله تعالى ... ٣١

فائدة: فضْل جعْل حِلَق العِلْم في المسَاجد: ٣٣

جملةٌ من الفوائد لمن يشهدُ حِلَقَ العِلْم في المسجد: ٣٧

خيرية وأفضلية من يشهد حِلَق تعليم القرآن الكريم ٣٧
شهود حِلَق العِلْم دليل على إرادة الله تعالى بالعبد خيرًا ٣٨
مَجَالِس العِلْم والذِّكْر خير من اللهو ومن التجارة ٣٩
من أتى حلق العلم ليتعلم أو يُعلِّم فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله..... ٤١
دعاء الرسول ﷺ لمستمع العِلْم وحافظه ومبلِّغه..... ٤٣
حِلَق العِلْم والذِّكْر من أعظم أسباب الرزق ٤٤
حِلَق العِلْم والذِّكْر: رياض الجنة ٤٤
الفصل الثاني: أثر مجالس العلم والذكر على من شهدها.....٤٩
حِلَق الذِّكْر ترقق القلوب، وتورث الخشية والرقة ٥١
حِلَقُ الذِّكْر ومجَالس العِلْم تقوِّي الإيمان..... ٥٢
مَجَالِس العِلْم والذِّكْر ترفع العبد إلى مرتبة الإحسان ٥٣
نموذج عظيم : غلام يتردَّد على مجلس علم ٥٤
الفصل الثالث: فضل التعليم والوعظ والتذكير ٥٧
المبحث الأول: فضل العِلْم والتعليم ٥٩
المبحث الثاني: فضل التذكير بالله تعالى، ومجالس الوعظ ٦٦
المبحث الثالث: نماذج من اهتمام السلف بمجالس العِلْم وحلق الذِّكْر ٧١
الفصل الرابع : آداب حضور حلق العلم والذكر ٧٥
تمهيد..... ٧٧
المبحث الأول: آداب تتعلق بالجالس نفسه ٧٨
📖 الإخلاص لله تعالى ٧٨
📖 إصلاح هيئته وأخذه زينته ٧٩

- لا يمنعه من شهودها الكبر أو الحياء ٨١
- لا يقتصر على الحضور دون الفهم والتدبر ٨٢
- فائدة ٨٣
- الاستماع والإنصات وملازمة حسن السمت والوقار ٨٤
- فائدة: ٨٥
- لا يشوش على الحاضرين إذا استفهم عن شيء ٨٧
- كيف يجلس ٨٨
- وينبغي أن يقرب من المحدث ٨٨
- أن يقيد العِلْم ٩٠
- فائدة: ٩١
- لا يلقن ٩٢
- أن يذاكر الدرس من حضره معه ٩٢
- العمل بما يسمع والتأثر به ٩٤

المبحث الثاني: آداب فيما بين السامع والمتكلم ٩٩

- توقير المعلم والواعظ ٩٩

تنبيه : ١٠٣

- لا يثقل عليه ١٠٤
- الإنصاف فيه ونشر علمه والثناء عليه ١٠٤
- الاستفادة من خُلق وسمْت وأدب المعلِّم ١٠٦
- النصح والتنبيه للمتكلم ١٠٧
- لا يداخل المعلم والواعظ ويقاطعه فيما يعلَم ١٠٨
- عندما يسألُه المعلِّم ١٠٩

📖 لا يرفع للمعلم ما يغضبه ١٠٩
تنبيه: ١١٠
📖 الاستئذان ١١٠
📖 تحمُّل المعلِّم إن جفا أو هفا ١١١
المبحث الثالث: آداب تتعلق بالمجلس ١١٣
📖 التبكير إلى شهودها ما استطاع ١١٣
📖 من أدب المشي إلى مَجَالِس العِلْم: ١١٤
📖 يسلم على الحلقة ١١٤
📖 يجلس حيث ينتهي به المجلس ولا يتخطى الرقاب ١١٥
📖 تنبيه: ١١٦
📖 لا يقيم أحدًا ويجلس في مجْلِسه ١١٧
📖 هل يقومُ من مجلس ليجْلس فيه أحد ١١٨
📖 لا يجلس بين اثنين بدون إذن ١١٩
📖 لا يجلس في مجلس أحد قام وهو يريد أنْ يعود ١٢٠
📖 المبادرة إلى مَجَالس العلْم خشية أن يقتطع عنها ١٢١
📖 الالتفاف والاجتماع في المجلس ١٢٢
📖 الاشتغالُ بالذِّكر ١٢٣
📖 كفارة المجلس ١٢٤
المبحث الرابع : في الأسئلة ١٢٧
📖 صفَة سؤال المتعلِّم ١٢٧
📖 الملاطَفَة في السؤال ١٢٧
📖 متى يسأل ١٢٩

📖 لا يمنعه الحياء من السؤال ١٣٠
📖 يسأل عما ينفع ١٣١
📖 له أن يسأل عن الدليل ١٣٢
📖 التريث في السؤال ١٣٣
📖 ترديد السؤال ١٣٤
الفصل الخامس : المجالس المشوّهة ١٣٧
مَجَالِس أهل الأهواء والبدع ١٣٩
الفصل السادس : الجامع ١٥٣
التذكير عند النوازل ١٥٥
تخصيص بعض النَّاس بمجلس علم أو تذكير ١٥٩
افتتاح حلقة الذّكْر أو مجلس العلْم بتلاوة شيء من القرآن ١٦٠
الترهيب من الجلوس في مجلس لا يذكر الله فيه ١٦٢
بعض الأخطاء التي تشوِّه مجَالس العِلْم ١٦٣
الإعراض عن مَجَالِس العِلْم والذِّكْر ١٦٥
الخاتمة ١٧٠
الفهرس ١٧١

ـــــ صدر للمؤلف ـــــ

۞ تأليف:

١ـ الدُّرَرُ البَهيَّة شَرْحُ منْظُومَة القَوَاعِد الفقْهيَّة. مجلد.
٢ـ شرح نيل الأرب من قواعد ابن رجب. مجلد.
٣ـ الموسوعة العلمية في الحجر الأسود. مجلد.
٤ـ ذمُّ الكَسَـــل. مجلد.
٥ـ الرق المنشور لفضائل وفوائد البكور. غلاف ٦ـ أَدَبُ البُيُـوْت. غلاف.
٧ـ حُسْنُ الخَاتِمة وَسُوْؤُهَا. غلاف. ٨ ـ صَلاةُ الفَجْر. غلاف.
٩ـ أثر العمل على صاحبه يوم القيامة. غلاف.
١٠ـ تَحذيْر المؤْمِنين مِنْ إضَاعَة الصَّلاة. غلاف.
١١ـ تُـحْفَةُ الجَديـْد من أدلة الشمائل والفقه والتوحيد (١٠٠ حديث). متن.
١٢ـ البحوث النافعة على القواعد والأصول الجامعة. مجلدان.
١٣ـ الظن أنواعه وأحكامه. مجلد. ١٤ ـ المسئولية. مجلد.
١٥ـ الروض المربع شرح القواعد الأربع. غلاف. ١٦ـ الفتاوى الشعرية. غلاف.
١٧ـ عُقُوْدُ الجُمَان في أهمية إصلاح ذاتِ بين أهلِ الإيمان. مجلد.

۞ تحقيق:

١ـ المُخْتَـصَـر فـي عُلُومِ الحَدِيْث. لابن الوزير بتعليق الصنعاني. مجلد.
٢ـ جَامِعُ شُرُوْحِ مَنْظُوْمَة «غَرَامِيْ صَحِيْح». لعدد من العلماء.مجلد.
٣ـ حَاشِية الأَهْدَل عَلَى المنظومة البيقونية. غلاف.
٤ـ شرح منظومة العراقي في الوضوء. لأبي زرعة العراقي.غلاف
٥ـ زَكَاةُ الفِطْر. لابن الوزير. غلاف. ٦ـ جزء: تزويج اليتيمة. لابن الوزير. غلاف.
٧ـ منظومة القَوَاعِدُ الفِقْهيَّة وشرحها للعلامة السعدي. غلاف.
٨ ـ النَّشْـرُ لِفَوَائِدِ سُوْرَةِ العَصْر. للشوكاني. غلاف.
٩ـ رسالتان في الفرائض: (المَبَاحِثُ الدُّريَّة في المسألَةِ الحِمَارِيَّة) (إيضاح القول في إثبات العول) للشوكاني. غلاف. ١٠ـ شَـــرْحُ الوَرَقَـــات. للمحلي. غلاف.
١١ـ العَقِيْدَة السَّفَّارِيْنِيَّة. ومعها: حائية ابن أبي داود، ولامية شيخ الإسلام. متن.